قصة الكنيسة القبطية

تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية
التى أسسها مارمرقس البشير

الكتاب التاسع : خدام أمناء

مكتبة
المحبة

إيريس حبيب المصرى

مكتبة المحبة

الكتـــاب التـــاسع

قصة الكنيسة القبطية

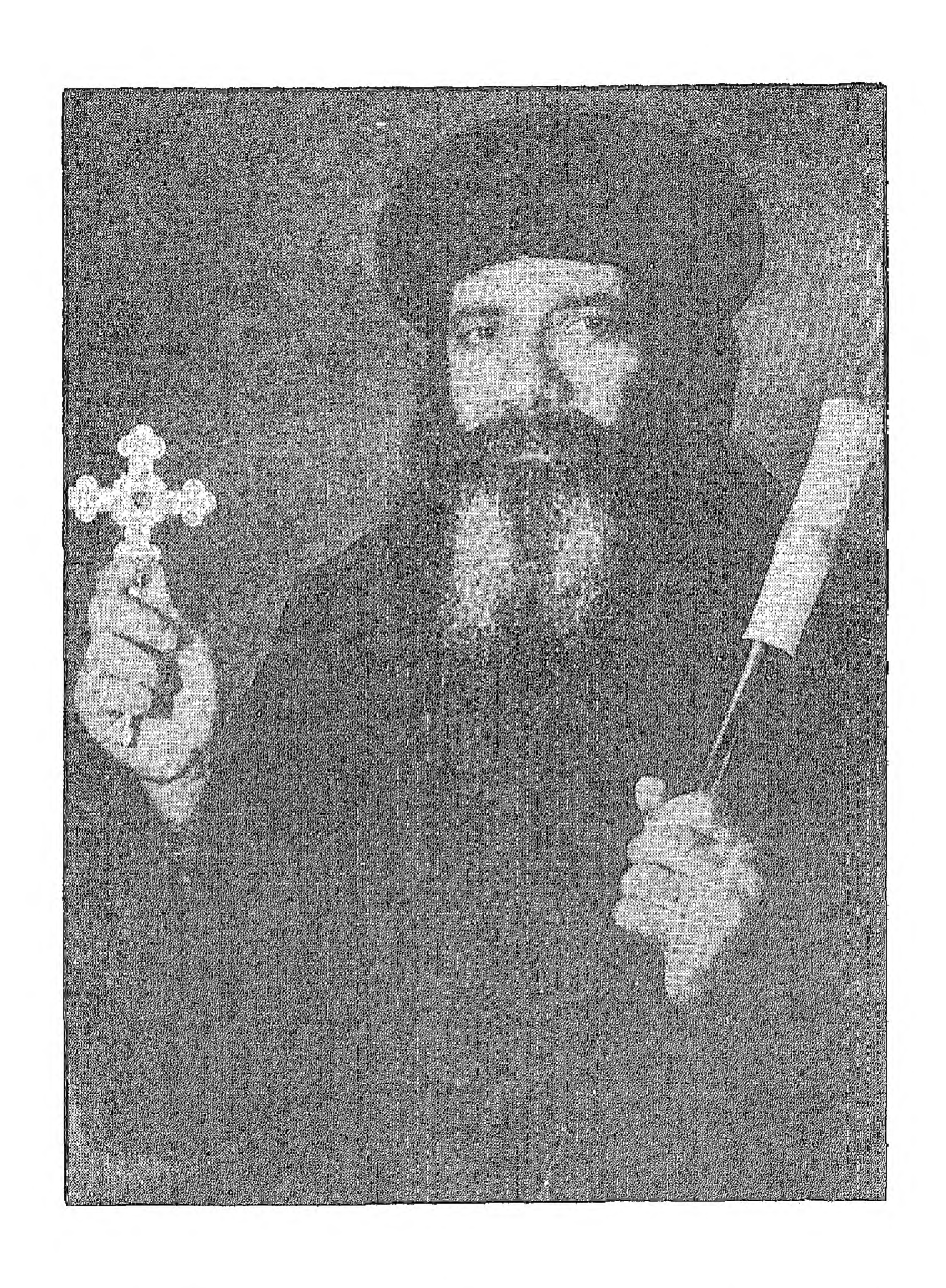
أولاً - لحن تتجاوب أصداؤه

ثانياً - خدام أمناء فى مجالات شتى

إيريس حبيب المصرى



مارمرقس كاروزنا الحبيب
يتوسط فنار الإسكندرية وأسده رمزه الخاص



قداســـة البابا المعظم « الأنبا شــنودة الثالث »

الإهـــداء

إلى كل محب لأمجاد الكنيسة المصرية
راغب فى عزتها وإمتدادها على الدوام

اولاً

تمهيـــــــــد:

١ – رسائله الراعوية وغيرها

٢ – أصالة البابا الوقور

٣ – رعايته لمعاقل الروح ومعاهد العلم

٤ – وأفريقيا مرة أخرى

٥ – الصلة بمارمرقس



أولاً - لحن تتجاوب أصداؤه

تمهيد :

ما كاد يمرّ أمام مخيلتي موكب الخدّام الأمناء الواردة سيرتهم فيما بعد حتى رأيتهم واقفين فى صفٍ أمام البابا كيرلس السادس وهو جالس على كرسيه الرسولى كما كان يفعل وهو معنا على هذه الأرض- فهاجنى الحنين إلى معاودة الكتابة عنه .. فرجل الجبال هذا قد شاءت العناية الإلهية أن تمنحنا نعمة أبوته الحانية فتعطينا بذلك ومضة بارقة من الهدوء النفسي والفرح الروحى-ولئن كانت باباويته قصيرة إن هى قيست بدورات الأرض حول الشمس لكن الذين عاشوها أدركوا طولها وعمقها من حياته ذاتها :إنه عاش الأبدية من هنا-والأبدية لا تقاس بالزمن فهو للآن ،ول لعدد الوفير من الشعب ،أشبه بالشجرة الباسقة التى وإن ذوت يظل أريجها منتشراً يعطّر الأرجاء. ولقد كتب ميخائيل نعيمة شعراً يخاطب فيه نفسه متسائلاً ماذا تكون وإنتهى بالأبيات التالية :

إيه نفسى أنت لحنٌ فىّ قدرنّ صداه
وقّعته يدُ أستاذٍ خفىّ لا أراه ،
أنت ريحٌ ونسيمٌ . أنت موجٌ . أنت بحرُ .
أنت شمسٌ . أنت رعدُ أنت برقٌ . أنت فجرُ .
أنت جزءُ من إله ! (١)

والأنبا كيرلس لحن ولو أنه ليس من شك فى أنه رأى الأستاذ الخفى الذى وقّعه . إنه جمع فى شخصه الوقور الريح والنسيم والموج والبحر والشمس والرعد ولكنه لم يكن فجراً فقط بل كان يوماً ساطع الضياء .

---

(١) تعبير شعرى عن " التأله " فى التعبير الروحى ومعناه أن يحصل الإنسان على ومضة من الألوهه بواسطة النعمة .

١ - رسائله الراعوية :

ولنبدأ بالتمعّن فى بعض رسائله الراعوية (٢) وغيرها لأننا إعتدنا على تصوير البابا الوقور ضارعاً مصلياً ، وإنه لكذلك . ولكن الروح القدس حين يغمر إنساناً يفيض عليه مواهب متنوّعة ، لذلك منح الأنبا كيرلس السادس أن يكون مقتدراً فى القول والفعل إلى جانب اقتداره فى الصلاة .

وأول ما نقتبس بعض ما قاله فى رسالته لعيد القيامة المجيدة سنة ١٩٦٢ : " .. **لقد رسم لنـا السيد المسيح حقيقة أغرب من الخيال ، حقيقة الصليب الذى هو فى التضـحية أعظم مثال ، إنه إختبـار للأجيال يختـاره الأبطال** ،... وإن يسوع له المجد وقد أتى إلى الصليب طواعية وإختيارا ، قصد أن يمنح الفرصة لتابعية ومحبيه ، ولمن أراد أن يثبت فيه ، كى يتعلم بما يتألم .

ومدرسة الألم تتابع الأجيال .. **ومن قلب المصلوب إندفق الحب غـامراً غزيراً ، وشاع السلام عميقاً وفيراً ... »**

وبعد الحديث عمن تجاسروا على الحياة وفقاً للمصلوب قال : « إنها إشتراكية الحياة ، كما أنها إشتراكية العمل ، هى إشتراكية البذل ، كما أنها إشتراكية الأمل ، شركة فى الآلام وشركة فى السلام ، شركة هنا على الأرض لكى تكون لهم هناك شركة فى المجد ... »

أحبائى : ركزوا أنظاركم على الصليب ، وتأملوا رحابة صدر المصلوب ... فارفعوا قلوبكم إلى فوق ، ولتحلّق أفكاركم فى المجد ... فقيامته التى أشرقت علينا بنورها الوضّاء أضاءت على قلوب المؤمنين ... إنها قيامة مزدوجة : قيامة للأرواح من الموت بالخطية ، وقيامة للأجساد التى رقدت فى القبور . . . »

وحين تجلّت أم النور فى كنيستها بالزيتون سنة ١٩٦٨ (١) ، وجّه البابا الوقور رسالة إلى شعوب الكرازة المرقسية فى كافة أنحاء العالم تتلخص فيما يلى : « لنستلهمْ فى ذكريات القيامة قوة للصمود والنهوض .. لن يسمح اللّه للعدوان أن يسود ولا يرضى للغدر أن يعود ... هذه الثورة [المصرية] قامت أصلاً على المحبة والخير وتدعيم الوحدة الوطنية » . ثم إختتمها بقوله :**« قد يخبو الحق حينا تحجبه غيمة سوداء ولكنه لن يغلب أبداً ، فأشرار الأرض لن يقووا على غلبة السماء .. »**

---

(٢) وردت أولى رسائله فى حـ ٧ من هذا الكتاب .

(١) بدأ هذا التجلى يوم إثنين البسخة المقدسة الموافق ٢ إبريل .

والحق يُسلب لأنه حق ولابد من أن يتغلّب، مهما تآمر عليه الشر وتألب ».

أما كلمته لعيد القيامة المجيدة سنة ١٩٧٠ ، فبعد النداء على إخوته المطارنة وأبنائه الكهنة والشعب قال : أحبائى – لقد غيّر رب المجد بحياته التى عاشها على الأرض ملايين من نفوس البشر تغييراً جذريا ، فتحوّلوا من اليسار إلى اليمين ، ومن الشك إلى اليقين . ذلك **لأن نفوسهم قد تذوّقت حلاوة حبه ونقاوة قلبه ، فتشوقّت إلى عذب كلامه وعمق سلامه** .. حبه الذى تجلّى فى الصليب جعله للبذل أساساً ، وكان ولايزال وسيظل نبراساً للعالم كله ألواناً وأجناساً . . . »

« أحبائى .. فى قيامة المسيح له المجد من الأموات منحنا نعمة الحيـاة ، وكما جبل من التراب الجسد ، منح لأتقيائه بقيامته حياة الأبد ..

أحبائى : **هّيا نحتفل بالعيد بروح العهد الجديد .. هيا نترسّم خطاه ، ونعمل على تبليغ رسالته إلى الخطاة** .. هّيا نفيض عطفاً وحباً لإخوتنا المحتـاجين البائسين ، وراحة وعـزاء للمتعبين المتضايقين ، ونوراً ورجاء للخطاة البعيدين . . » .

ولم تقتصر رسائله على عيد القيامة المجيدة . فأعدّ رسالة يفتح بها أعياد مارمرقس ، وأناب عنه نيافة الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج لإلقائها (٢) .

وفى ذكرى مرور سنة على تجلّى السيدة العذراء بكنيستها فى الزيتون ، إختار قداسة البابا نيافة الأنبا أغابيوس أسقف ديروط ليلقى كلمته على المجتمعين . ومما جاء فيها : « .. **فذلك الغصّن من الزيتون فى يد السيدة العذراء تلوحّ وتبارك الحاضرين رمز وذلك . البخور العبق الذى يعطّر أجواء المكان فى تجلّيها رمز . وتلك الحمائم النورانية البيضاء التى تنطلق حولها فى الليل رمز والظهور فى الليل ، فى أوقات مختلفه منه ، فى الهزيع الأول ، وفى الهزيع الثانى ، وفى الهزيع الثالث ، وبالأكثر فى الهزيع الرابع من الليل رمز ، والإبتسامة المشرقة السماوية على فم أم الله رمز ، والآيات والمعجزات والشفاء رمز . . . »**

هذه لمحات من عشرات الرسائل التى أفرح بها البابا الوقور قلب شعبه ، ومنها نتبيّن ما حباه إياه رب الكنيسة من المقدرة على الوصول إلى مكامن القلوب .

---

(٢) أشير إلى هذه الرسالة فى حـ ٧ من هذا الكتاب أما الرسائل المقتبسة هنا فقد أوردت بنصها فى الآخر .

على أنا كلنا يعلم أن البابا المرقسى لا يقصر رسائله الراعوية على عيد القيامة المجيدة بل يبعث بها أيضاً على عيد الميلاد المجيد . فلنتأمل معاً مقتبسات من إحدى هذه الرسائل الميلادية – وهى تلك التى ألقاها ليلة عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٧٠ لنسمعه يقول :

أحبائى : ها نحن نذكر فى لذة وإعتزاز عيد الميلاد المجيد – الميلاد الذى منح البشرية أعظم إمتياز .

فمنذ ذلك اليوم تجلّت نعمة الله ، فأزالت الفوراق بين الطبقات ، فلم يبق بعد سادة وعبيد ، الكل واحد فى الحبيب المجيد . واستُخدمت جميع الثقافات والإمكانيّات ، لإسعاد البشر ، ولتمجيد رب البشر .

ثم تجسد الابن الكلمة ، مصـدر النعمة وسمو القـدرة ، نـاشراً المحبة ، فى حنان لكن فى قوة .

« هـا أنت جميل يا حبيبى وحلو .. (١) – جميل فى كلماتك البانية حلوٌ فى معاملاتك الحانية .

جميل فيما تشوّقت . حلو فيما تذوّقت .أنت الذى خلقت ورزقت . ثم فديت وهديت .

هناك فى بيت لحم تجمّع رعاة الغنم ليصيروا فيما بعد مثلاً أعلا لرعاة الكنيسة الذين قادوا الأمم إلى الصراحة وإلى الحق ، إلى الأمل وإلى الصدق ....

وفى ذات المكان الذى جاء إليه الرعاة ، جاء المجوس بثقافاتهم ومقاماتهم ، بحكمتهم وثرواتهم ، فكان الأئتلاف بين الطبقات ، أو إزالة الفوراق بين جميع الهيئات .

وهذه الطهارة التى أخذها عنه المؤمنون هى عنوان الحياة الصالحة ، وأساس للحياة الناجحة الرابحة . . .

فتجسده وميلاده محبة . تعليمه للخطاة كيف تكون النجاة محبة . فتح قلبه لكل من يأتى إليه ، ويلقى إتكاله عليه ، يؤمن بمجيئه ، ويسمو فى أخلاقه : هذه كلها محبة .. .

وفى ذكريات ميلاده العجيب ، نذكر كلمات ربنا الحبيب ، الكلمات التى فاه بها فى حداثته . فى شبابه . فى رجولته . الكلمات البانية ، التى غيّرت قلوباً من الشر إلى الخير ، ونقلت نفوساً من الدنس إلى البر ، وعتقت أجساداً من الخطية ، وبعثت أرواحاً إلى الحياة الأبدية . . .

وفى محيط الحب تشوّق رب المجـد إلينـا ، لا لأننا نستحق أن نأخذ ، لكن لأنه يشتاق أن يعطى . . .

---

(١) نشيد الأنشار شعر رقيق عميق فى روعته ، يعلمنا عنه الآباء أنه تعبير خفى عن صلة السيد المسيح بكنيسته وأيضاً عن صلته له المجد ، بكل نفس متطلعة نحوه . والآية المذكورة مأخوذة من ١ : ١٦ .

إن الحب طاقة . وطاقة حبه فى قلبه لا يمكن أن تُحجب . لكنها لابد أن توزع . فعلى من بغدقها ؟

إن البشر الذين خلقوا على صورة الله ومثاله هم أولى أن يتلقّوها ويقدّروها . أن يحفظوها ويذكروها . فيجمل بنا إذن أن نتشوّق إلى نفع غيرنا ، وإلى العمل المنتج المثمر لأجل أبنائنا وإخواتنا ، ولكل من هم حولنا . . .

أيها العيد المجيد : مرحباً بعودك الحميد .

ندعو أن نلقاك ، وقد إنجلت الغمة ، وإنتصرت الأمة ، وتفاضلت النعمة . وإنتشرت بروح الحب الخدمة . . .

٢ - أصالة البابا الوقور :

لقد تميّز آباء الكنيسة القبطية بقوميتّهم العارمة إلى درجة أنهم فى دفاعهم عن العقيدة الأرثوذكسية وسط المجامع المسكونية كان خصومهم يتهمونهم بأنهم إنما يدافعون عن مصريّتهم تحت ستار الدين . فتميز الأنبا كيرلس السادس ، كأسلافه ، بهذه العاطفة الوطنية العنيفة . وحديثه عن الوحدة الوطنية لم يكن مجرد ألفاظ ترددها شفتاه : إنه رجل الله الذى عاش ربه ومنه تشبّع بروح المحبة التى سرت من خلاله إلى الجميع . ومن ثمار صداقته الوثيقة مع جمال عبد الناصر وزياراتهما المتبادلة التى كانت تستغرق أحياناً خمسين دقيقة على الرغم من مشاغلهما . ولم يكن البابا بهذه الزيارات بمفرده ، بل كان يستصحب على الدوام بعض مطارنته وأساقفته . وكلما ظهرا معاً كان البشر واضحاً على وجهيهما اللذين تغطيهما إبتسامة عريضة . **وهذه الصورة ، صورة التآلف الصادق بين الراعى الأول للكنيسة والزعيم للدولة كان لها ما يشبه فعل السحر فى القلوب .**

وحين هبّت عاصفة إستيلاء الأثيوبيين على دير السلطان أزر جمال عبد الناصر الكنيسة المصرية قولاً وعملاً مقابل المعتدين . وإذ تجمّعت القلوب نجح بنو مصر فى إستعادة الدير الذى يحمل إسم السلطان لأنه هبة من صلاح الدين . **وكما وقف رئيس مصر إلى جـــانب كنيسة مصر هكذا وقف أبو الكنيسة المصرية إلى جـــانب زعيم مصر : يؤازر كل منهما الآخـــر فى الضيق ويبتهج معه فى الفرج .**

وأمام المشكلة لم يجد البابا الوقور من ينتدبه لمعالجتها خيراً من **الأنبا يؤنس مطران الجيزة** ، فانتدبه للسفر إلى عمان ومقابلة الملك حسين والمسئولين معه تدعيماً لموقف الأنبا باسيليوس مطران الكرسى الأورشليمى . وبالفعل تسلّم الأنبا يؤنس مفاتيح الدير من بهجت التلهونى رئيس الوزارة الأردنية آنذاك .

وجدير بالذكر أن الصلة بين الأنبا كيرلس والأنبا يؤنس كانت وثيقة، فهو لم ينتدبه لهذه المرة فقط بل إنتدبه كلما إعتدى الأثيوبيون على دير السلطان – هذا الإعتداء الذى تكرر مـراراً على الرغم من نجاح الأنبا يؤنس فى إسترجاعه كل مرة !

وبديهى أن المطــران الجليل كان يقدم تقريراً وافياً للبابا الوقور كلما عاد إلى الوطن . كذلك كان يقدم التقرير عينه إلى رئيس مصر وقد عبّر القبط بصفة عامة عن شكرهم بما أرسلوه من برقيات وعرائض تقديراً لموقفه الذى ساهم به فى الإحتفاظ للكنيسة بديرها كممّر دينى بالضبط كما حفظ لمصر قناتها كممّر مائى .

ولقد أعلن لنا رب المجد أن من يأتى إليه لا يردّه ، وهو بهذه الرحابة الإلهية لا يعنى الأفراد فقط بل يشمل المجتمعات أيضاً . فهو لفرحته بالألفة المنسابة داخل النفوس هيأ أن يتوافق – فى سنة ١٩٦٩ – صوم الميلاد المجيد فى الوقت عينه الذى حلّ فيه شهر رمضان المبارك . **فصام المصريون معاً . وكأنه شاء فى شاملية محبته أن يعلمهم أن الوحدة هى سلاحهم الماضى لكسب قضيتهم فى سبيل تحرير مصرهم الغالية من العدوان** الإسرائيلى . وتجاوبت السماء مع هذه الألفة حين خاضوا معركتهم الرابعة سنة ١٩٧٣ ونجحوا فى إقتحام خط بارليف وإنتصروا .

ومن أصـالة الأنباكيرلس الأصالة المصرية أمتد بصداقته إلى « الذين هم من خـارج » ، بل إلى من كان آباؤهم السبب فى الغرفة التى أصـابت المسحيين : فهو قد ذهب شخصياً لزيارة رئيس دير مارجرجس للروم الأرثوذكس بمصر العتيقة يوم ١٦ يناير سنة ١٩٦٠ . وكعادته التى لم يحد عنها قط إستصحب بعض مطارنته وأساقفته . وبعد أن طافوا بمختلف أركان المكان المقدس إستضافهم رئيسه . وحين أراد البابا الوقور أن يعبّر عن شكره **أناب الأنبا يؤنس مطران الجيزة ليلقى كلمته** وهى : « يا صاحب القداسة البابا المعظم ، سيدى الأرشيمندريت رئيس دير القديس مارجرجس ، إخوتى وأبنائى – أيها السادة : إنها لفرصة طيبة تلك التى وطئت فيها أقدام قداسة البابا للمرة الأولى أرض هذا الدير العظيم . هذه الزيارة المقدسة التى ترمز أول ما ترمز إلى المسيحية الكاملة ... تلك المحبة التى أسسها سيدنا وربنا وفادينا يسوع المسيح له المجد هى أساس كل شىء فى العالم إذ هى منبع السلام والعالم الآن فى مسيس الحاجة إلى السلام .

لقد إستحثت المحبة قلب قداسة البابا إلى زيارة هذه البيعة الأرتوذكسية ليدّعم السلام ويعلنه على العالم أجمع . وهو يتمنى من صميم قلبه أن يرى الجميع يدعون إلى السلام - لأن فى السلام وحدة ، وفى الوحدة قوة ، وفى القوة القائمة على السلام والوحدة عظمة المسيحية .

وأستطيع أن أعلن بلسان قداسة البابا سروره لمباركته هذه الكتدرائية الشقيقة بروح المحبة والسلام والوداعة .

وبعد أن شكر نيافته الأرشيمندريت رئيس الدير والآباء الكهنة ورئيس وأعضاء الجمعية اليونانية قال : " إننا ندعو الله أن يرفع شأن المسيحية فى العالم أجمع بصلوات قداسة البابا الذى لا يألو جهداً فى الصلاة لأجل هذا الهدف العظيم "

٣ - رعايته لمعاقل الروح ولمعاهد العلم :

ليس بغريب على شخص تذوّق عشق الرهبنة والخلوة إلى الله أن يعود به حنينه إلى سنى رهبنته . فدفعه هذا الحنين إلى إيفاد بعثة من أربعة أطباء إسكندريين هم : تادرس ميخائيل ، ألفى خليل ، فايز أنيس ماهر ، ميشيل أسعد يونان إلى وادى النطرون للكشف على الرهبان . فغادروا الأسكندرية يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٦٠ صباحاً قاصدين إلى الوادى المقدس . وبدأوا بدير السيدة العذراء المعروف بدير السريان حيث وجدوا بعد الكشف سبعة وثلاثين مريضاً فأعطوهم الدواء اللازم . وهذا ما فعلوه مع الخمسة عشر راهباً المرضى بدير الأنبا بيشوى ، ومع الأثنين وثلاثين راهباً بدير البرموس . وكانت الأدوية التى حملها الأطباء معهم هدية من البابا الوقور .

وبعد الإشتراك فى صلاة الغروب مع الرهبان البرموسيين غادروا الدير فى السادسة مساء . ثم أصبحت هذه الزيارة دورية .

ويترابط إهتمامه بالرهبان مع إهتمامه بالإكليريكيين . فمنذ السنة الأولى لجلوسه على الكرسى المرقسى وجّه إهتماماً بالغاً إلى الإكليريكية وكذلك إلى المعهد العالى للدراسات القبطية ، فكان يبعث بمندوب عنه لحفلتّى التخرج فى آخر كل عام . وإليكم مثل عن وصف ما جرى عند إنتهاء السنة الدراسية سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ : « سوف يقف الخرّيخون فى الطابور ينتظر كل منهم دورة ليتسلّم الدبلوم من يد البابا كيرلس السادس . إنهم نوع جديد من الطلبة والطالبات يؤلفون المجموعة التى أكملت دراستها وأبحاثها فى المعهد العالى للدرسات القبطية . . . »

ولما كان البابا الوقور نموذجاً أعلا تتّبعه غيره ، فوفد إلى زيارة المعهد أنبا مكاريوس الرئيس الروحى والمدنى لقبرص ، والرأس كاسا الذى كانت له المكانة الثانية بعد الأمبراطور هيلاسلاسى ، وجميع رؤساء الكنائس الذين جاءوا إلى مصر للتبّرك برؤية رجل اللّه وبزيارة الكنائس والأديرة القديمة التى إزدان بها وادى النيل الرحيب .

كذلك نال الإكليريكيون نصيبهم من عناية رجل الجبال ، فكان يوفد مندوباً عنه سنوياً إلى حفل التخرّج . على أنه لم يكتف بهذا التشجيع بل كان يبعث بمنشوراته إلى كافة الإيبارشيات يهيب بالمطارنة والأساقفة أن لا يرسموا كهنة من غير الإكليريكيين .

ثم أنه كان هناك طالب دؤوب إسمه يوسف عبده شاءت العناية الإلهية أن ينال منحة دراسية فى الولايات المتحدة حيث درس « الأديان المقارنة » وكتب عنها رسالة نال عليها الماجستير فى يونيو سنة ١٩٦٠ . ولم تمض غير أربعة شهور على عودته حتى سارع شعب كنيسة السيدة العذراء بالزمالك إلى إلتماس قداسة البابا كيرلس أن يرسمه لهم كاهناً . وإستجاب طلبهم على الفور وانتدب الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف (الأسبق) ليؤدى شعائر الرسامة التى تمت صباح الأحد ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٦٠ باسمه الأصلى فأصبح القس يوسف عبده .

على أن البابا الوقور شاء أن يستزيد الكاهن الشاب من البحث فى موضوع دراسته واستحثه على ذلك . فعاود أبونا يوسف بحثه ، وظل على دأبه فنال الدكتوراه بدرجة إمتياز من جامعة القاهرة فى إبريل سنة ١٩٦٨ . وقد ربط فى رسالته بين دراسته الأصلية وبين أفريقيا على أساس أن الأفريقيين يدينون بأديان متعددة .. وسرت الفرحة الباباوية من القلب الرحيب إلى المسئولين عن المعهد العالى للدراسات القبطية فعينوا القس يوسف عبده مدّرساً للدراسات الأفريقية .

وظل الجالس على الكرسى المرقسى يشجع البّحاثة من أولاده إذ قد إمتد وعيه بهم إمتداداً بهيراً . وكان هناك أستاذ للعلوم البحتة إسمه أديب عبد اللّه فضل اللّه كان ضمن إثنى عشر عــالماً نالوا « جائزة الدولة » تقديراً لما قدّموا من علمهم وخبراتهم وإضـــافاتهم الشخصية فى مجالات العلوم . فرأى الأنبا كيرلس بعمق تقديره أن يرسم هــذا العالِم الفذّ كاهناً على كنيسة رئيس جند السمائيين الملاك ميخائيل بطوسون (شبرا مصر) باسم القمص مكارى – وتمت رسامته صباح الأحد فى ٣ يناير سنة ١٩٧١ .

كذلك إمتدت عناية رجل اللّه بالشرق الأوسط إذ جاء وفد من الكويت فى إبريل سنة ١٩٦١ يطلبون إليه أن يوفد لهم كاهناً يؤدى لهم الشعائر الدينية لأن أمير تلك

البلاد كان قد تبرّع بالأرض والمبانى بعد تصريحه ببناء كنيسة . فأوفد إليهم القمص إنجليوس المحرقى (الأنبا مكسيموس مطران القليوبية الآن) . وسافر هذا الكاهن يوم ٢ إبريل – مما يدل على سرعة التجاوب الباباوى . وقد أُطلق على الكنيسة هناك إسم مارمرقس كاروزنا الشهيد . ومن نعمة اللّه أن كنيستنا بالكويت هى مركز تلاقى كل العاملين هناك الذين ينتمون إلى مختلف بلاد الشرق الأوسط .

٤ – وأفريقيا مرة أخرى :

ولقد وضح من سيرة الأنبا كيرلس أنه أولى القارة الأفريقية إهتماماً كبيراً . ففى مساء ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٢ إنعقد مؤتمر الشباب المسيحى لجميع أفريقيا بالقاعة الكبرى بالكلية الملكية فى نيروبى عاصمة كينيا فدخل المجتمعون فى موكب متناسق مرتب حسب الحروف الأبجدية لأسماء بلادهم .

وبعد الصلاة والترنّم بنشيد قدّم وفد نيجيريا تمثيلية تهدف إلى توضيح واقع العقيدة المسيحية وهو الحياة الأفضل للفرد وللمجتمع وما إنتهوا منها حتى ردد الجميع قانون الإيمان معاً (بالإنجليزية) كما قرره مجمعاً نيقية والقسطنطينية .

ولما كان شعار المؤتمر هو " الحرية فى ظل الصليب " فقد إتخذه المتكلم الأول – وهو كينّى (١) – موضوعاً لإفتتاح الأحاديث والمناقشات . وقد أوضح فى حديثه أن مصر ، لكونها أول بلد أفريقى يعتنق المسيحية ، هى التى أوصلت الإيمان إلى أثيوبيا وإلى بقاع جنوب أفريقيا . فلم تنتشر المسيحية فى هذه القارة الشاسعة إبتداءً من القرن الخامس عشر . ولما إنتهى من كلمته أنشد الحاضرون النشيد التالى : اللهم بارك وطننا أفريقيا . كى تستيقظ من نومها . إملأها من نعمتك وثبّت أقدامها . إسمعنا وإستجب لنا نحن أبناءك المؤمنين بإسمك القدوس – آمين .

وفى صباح اليوم التالى ألقى زاهر رياض كلمة عمّا أدّته كنيسة مصر لأخواتها الإفريقيات ، وعن إستعدادها فى الحاضر ، وهى أقدم كنيسة أفريقية لتقديم تعاليمها وخبراتها لكل من يطلبها دون أن تفرض ولايتها على أية كنيسة إحتراماً للقومية الأفريقية .

وجدير بالذكر أن الوفد القبطى حمل معه كهدايا أسطوانات وأشرطة للألحان القبطية

---

(١) من المؤسف أن المسجّل لكل ما دار فى المؤتمر لم يذكر أى أسم – لا للمندوبين ولا للمتكلمين واكتفى بذكر إسم رئيس الوفد القبطى وهو د . زاهر رياض .

تبعاً لتسجيل د . راغب مفتاح ، وعدة قطع من الأيقونات القبطية . وهذه الألحان والأيقونات كلها من إنتاج المشتغلين بالمعهد العالى للدراسات القبطية .

والواضح لكل مطّلع على تاريخ الكنيسة المصرية أنها إستمتعت بنفوذ روحى بحت فى السودان . ففى هذا القطر الشقيق ثلاث أسقفيات هى الخرطوم وأم درمان وعطبرة . ومنذ السنة الأولى لرياسته الروحية رسم البابا كيرلس الراهب المحرقى القمص دميان أسقفاً على عطبرة بإسم الأنبا توماس . على أن هذا الأسقف الجليل لم يقضِ به غير سنتين فى رعايته لشعب عطبرة إنتقل بهدهما إلى الفردوس وأمام حاجة الشعب الذى تيتّم إختار راهباً قمصاً من الدير المحرق أيضاً إسمه أستفانوس . وكان ضمن الرهبان الذين ألحقهم رؤساؤهم بكلية اللاهوت بحلوان سنة ١٩٥٢ ، وبعد الدأب على الدراسة والحصول على دبلوم هذه الأكليريكية إختير للخدمة الكهنوتية فى كنيسة مارجرجس بالمنسى (بالظاهر مصر) . تم طلبه القمص دميان ليخدم معه فى الكتدرائية المرقسية بالأسكندرية . وعندما رسم البابا كيرلس القمص دميان أسقفا على عطبرة إستقدم القمص أستفانوس وجعله راعياً لشعب كنيسة مارمينا بآخر مصر العتيقة . على أن الرهبان المحرقيين أبدوا رغبتهم لرجل اللّه بأن يقيمه رئيساً لهم فلبى طلبهم . ولكنه حين علم بانتقال الأنبا توماس رأى أن خير من يخلفه هو الكاهن الذى شاركه الرهبنة بالمحرق تم خدم كمساعد له فى الأسكندرية .

وفى يوم الأحد ٦ أكتوبر سنة ١٩٦٣ تمت الشعائر الروحية التى رفعت هذا الخادم الأمين إلى الكرامة الأسقفية بإسمه الأصلى ، فأصبح الأنبا أستفانوس مطران عطبرة وأم درمان . وقد رحّب به الأنبا دانيال مطران الخرطوم الممتلىء غيرة ونشاطاً . والذى لا يدع سنة تمّر بدون أن يكون قد بدأ فيها بتشييد كنيسة أو مدرسة .

وبعد أربعة شهور من إنعقاد مؤتمر الشباب الأفريقى أقامت كنائس كل أفريقيا مؤتمرها الأول فى كمبالا عاصمة أوغندا . وإنعقد المؤتمر بالفعل من ٢٠ - ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٣ . فأوفد الأنبا كيرلس الراهب باخوم المحرقى (أنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والتعليم العالى الآن) كمندوب عنه شخصياً وعن الكنيسة بصفة عامة .

٥ - الصلة بمارمرقس :

ليس من شك فى أن باباوات الإسكندرية جميعهم يكنّون لمارمرقس تقديراً خاصاً وولاء ومحبة : فهم خلفاؤه وحاملو رسالته واحداً بعد الآخر لذلك فخير ما يظل صداه

يتردد فى اللحــن الذى أصــغينا إليه هو هــذا التناغم بين مارمرقس وبين خــليفته الـ ١١٦ كما نسمعه بوضوح فيما يلى مما رواه القس رافائيل أبّا مينا :

" هناك قصة رأيتها بنفسى ، وما زالت حوادثها ماثلة أمام عينى لاصقة بقلبى . فأثناء رفع بخور باكر فى أحد الأيام لاحظت أن البابا قد وقف طويلاً أثناء تبخيره أمام كرسيه الباباوى الكبير . وكان يصلى بكلمات غير مسموعة ويبتسم . فتحيّرت لهذا الأمر ولكننى لم أجرؤ على أن أسأله شيئاً . ولكن البابا فى وداعته دعانى وقال لى : سلّم يا ابنى على مــــارمرقس . " فــأجبته : أنا مش شـــايف حــد يا سيدنا . " فقال لى : " مارمرقس يا ابنى جالس على كرسيه مبسوط وفرحان . ده كان زعلان وحزين أكتر من ثلاثين سنة . يا ابنى دلوقت هو قاعد فرحان ومتهلل " . فقلت له بحزن : " يا سيدنا أنا مش شايف حد . " فردّ البابا : " ربنا يكشف عن عينيك يا ابنى " وراح يتطلّع إلى الكرسى وهو يصلى .

وبخّر طويلاً طالباً شفاعة القديس مارمرقس وبركته .

فلتحل هــذه البركة على الكنيسة فى ملئها وليتمجد فادينا الحبيب فى جميع قديسيه – أمين .

بطريركية الأقباط الأرثوذكس

تتشرف بدعوة سيادة الأنسة إيريس حبيب المصرى

لحضور حفلة رسامة صاحب الغبطة الأنبا كيرلس السادس بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٦ ، وذلك فى تمام الساعة التاسعة من صباح الأحد ٢ بشنس ١٦٧٥ الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ بالكاتدرائية المرقسية بالقاهرة

هذه التذكرة شخصية – الحضور قبل الميعاد بنصف ساعة

غير مصرّح بدخول الأطفال

(للسيدات)



الراهب مينا المتوحّد خارج من طاحونته

الإهـــداء

إلى كل متطلّع نحو تنفيذ وصية رب الكنيسة

« كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم » (يوحنا ١٧ : ١٨)

ممتداً دوماً إلى الأمام

ليكون بنّاءً حكيماً فى بيت إلهنا



الإعتراف بالفضل لذويه :

لقد أوصى بولس الرسول المؤمنين بأن يتمثلوا به ، ثم أعلن فى ختام رسالته إلى أهل فيلبى . " قد أستوفيت كل شيء واستفضلت " . وتمثّلا به يفرحنى أن أعلن عميق شكرى وعرفانى لرب المجد الذى منحنى أن أستوفى وأن أستفضل . فلولا منحته المتكاثرة لما تسجّل سطر واحد من قصة الكنيسة القبطية - له التسبيح والتمجيد إلى الأبد أمين .

وأرفع شكرى إلى جناب أبينا القمص متى المسكين لإستمراره فى مراجعة ما أكتب وإبداء ملاحظاته عليه .

ومن نعمة اللّه أن عدداً من الذين وردت سيرتهم قد تقدّم به إلىّ أولادهم أو أحياؤهم - فلهم كل شكر وتقدير .

وأشكر كل الأحبة الذين داوموا على مطالبتى باستكمال القصة المليئة بالعجب التى لكنيستنا الخالدة .

أيريس حبيب المصرى



ثانياً : -

مقدمة

لقد هتف المرنّم قديماً : لكل تمام رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً (١) . وهذا الذى أعلنه داود النبى قد أحسسته بل واختبرته بعد أن إنتهيت من كتابة السيرة البهيرة التى للبابا كيرلس السادس . وبهذا الإختبار إزددت وعياً بأن قصة الكنيسة ليست قاصرة على آبائها : إنها قصة شعب بأسره ، قصته بماضيه وبحاضره وبمستقبله إلى إنقضاء العالم . فالكنيسة هى جماعة المؤمنين : رجالهم ونسائهم وأطفالهم . والقديس بولس الرسول يعطينا درساً ذا عمق خاص عن العضوية الكنسية فيقول : " لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هى جسد واحد كذلك المسيح أيضاً ... إن قالت الرجل لأنى لست يداً لست من الجسد أفلم تكن لذلك من الجسد . وإن قالت الأذن لأنى لست عيناً لست من الجسد . أفلم تكن لذلك من الجسد . لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع .. وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها فى الجسد كما أراد . ولكن لو كان جميعها عضواً فأين الجسد . فالآن أعضاء كثيرة ولكن جسد واحد ... وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً ... (٢) ويتطابق تاريخ كنيستنا مع هذا التعليم الرسولى فيقدّم لنا أطفالاً شهداء . والقداس الإلهى يعلن لنا هذا الحق جهاراً إذ هو صلاة مشتركة : يقول الكاهن .. يقول الشماس .. يقول الشعب .

والمجتمعون فى الكنيسة موكب ممتد من الأرض إلى السماء ، والصلوات القدسية يتشارك فيها من هم فى الفردوس مع من هم على الأرض – بل إن السمائيين أنفسهم يشاركوننا فيها .

ولترجع مرة أخرى إلى المزمور الكبير لنسمعه يترنّم "ذوقاً صالحاً ومعرفة علمنى" . وإرتكانا على هذا الدعاء أصبح لازماً علينا أن نذكر من خدموا الكنيسة ومن خدموا

---

(١) المزمور الكبير ف ١٢ (فى الأجبية)
(٢) ١ كورنثوس ١٢ : ١٢ – ٢٧ .

مصر من العلمانيين إلى جانب آبائهم . إذ يجب أن نذكر أن هناك عمالقة علمانيين تاجروا بوزناتهم وربحوا . ورب المجد لا ينسى كأس ماء بارد : لا ينساه مهما يكن مقدمه : سواء كان يرتدى الكهنوت أو ثوب العلمانى . وهنا ترنّ فى آذاننا كلمات رسول الأمم : " ولكن لنا هذا الكنز فى أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منّا . (٣)

وبفضل هذه القوة الإلهية نغوص في تاريخنا العجيب لنستخرج جدداً وعتقاء .

ايريس حبيب المصرى



(٣) ٢ كونتوس ٤ : ٧

١ - مصر مصدر الوحى لإفريقيا منذ أقدم العصور . (١)

كـانت تلبية السيد الرئيس جمال عبد الناصر للدعوة التى وجهت إليه لحضور مؤتمر القمة فى أديس أبابا تنفيذاً عملياً للمبادىء التى نادت بها ثورتنا المباركة حين أعلن السيد الرئيس فى فلسفة الثورة أن مصر جزء من أفريقيا ، بل هى الباب الشمالى للقارة إذن فلابد لها من أن تنفعل مع أحداثها وتؤدى دورها الذى حتمّه عليها موقعها الجغرافى .

والحق أن الإشتراك فى هذا المؤتمر والمؤتمرات التى سبقته تم فى توجيه أحداثها توجيهات معيّنة لخير أبنائها كان أيضاً تمشّياً عملياً مع تاريخها فى هذه القارة .

فمنذ فجر التاريخ ورجال مصر وملوكها والمسيّرون لسياستها يدركون مدى أهمية دور مصر بالنسبة لإفريقيا . فكانت السياسة الإفريقية الموجّه الرئيسى لسياسة مصر الخارجية . فلقد حرص الفراعنة منذ الأسرة الرابعة ، كما ثبت من الإستكشافات الحديثه الإتصال بأجزاء أفريقيا عن طريق النيل والبحر الأحمر والصحراء . كما حرصوا على أن يكون هذا الإتصال مستمراً ومثمراً وبالتالى أخذت الحضارة المصرية طريقها جنوباً لتؤدى دور القيادة بين أبنائها وتقودهم نحو النور والمعرفة والحضارة . وهذه السلسلة المتعاقبة من المعابد التى أهمها أبو سمبل شاهد على هذه الحقيقة . وسواء أكان الذين أقاموا هذه المعابد مصريين أو وطنيين تدرّبوا تحت رعاية المصريين فإن من أقام بها من الكهنة ورجال الدين كانوا سلاً للثقافة المصرية وعندما قامت مملكة نباتا ثم مملكة مرو (فى التوبة) كانتا معبريتين تعبرّان تمام التعبير عن الدور القيادى لمصر فيهما .. هذه القيادة التى لم تتخلّى عنها مصر طوال تاريخها القديم فظلت على إهتمامها بافريقيا فى العصريين البطلمى والرومانى .

ولم يبدُ هذا الإهتمام فى أعمال الملوك والحكام فحسب بل كان الشعب يظهر هذا الإهتمام تلقائياً . فلما جاء العصر المسيحى وإتجهت الكنيسة المصرية إلى نشر دين السيد المسيح فى أجزاء مختلفة من العالم كان إتجاهها الإفريقى واضحاً صريحاً . ولم تلبث اثيوبيا أن أصبحت جزءً من الكرازة المرقسية ثم تبعها السودان .

ولم يكن دور مصر الإفريقى فى العصور الوسطى بأقل منه فى العصور القديمة إذ قد إستمرت مصر فى العصر الإسلامى مصدر النور والعرفان للإفريقيين . ومما يجدر ذكرة أن الولاة الذين تولوا الحكم فى أفريقيا الشمالية كانوا جميعاً ممن تولى الحكم فى مصر أولاً وحينما ظهرت تورات العلويين والخوارج إستنجد ولاة أفريقيا بولاة مصر باستمرار - وهؤلاء لم يترددوا فى الإستجابة لهم .

(١) عن مقال للدكتور زاهر رياض نشره فى جريدة وطنى فى ٢٨ يوليو سنة ١٩٦٣

ولم يكن دور التجارة مع أفريقيا بأقل من دور الثقافة ودور السياسة . فسارع عدد كبير من الإفريقيين لينهلوا العلوم من الأزهر إلى حد أن المصريين أطلقوا أسماء جنسياتهم على أووقته كرواق المغارية مثلاً .

وليس بعجيب أن إتّجه عدد من مهرة المهندسين المعماريين والبنائين إلى الحبشة حيث نحتوا للاتيوبيين الكنائس الضخمة فى الصخر على غرار أبو سمبل - وهذه الكنــائس معــروفة بــإسم لاليبالاملك أثيوبيا التى بنيت فى أيامه (فى القرن الميلادى العاشر) .

وإتجهت القوافل المصرية تجوب أنحاء الصحراء الكبرى حاملة إليها المصنوعات المصرية مقابل ما تأخذه منهم من الخامات المحلية . وكانت القافلة المصرية التى تسير إلى نيجيريا تصل فى بعض الأحايين إلى إثنى عشر ألف جمل .

ولئن كان هذا النور المصرى قد خبا تحت البطش التركى فقد ظلت التجارة تقوم بمهمتها على أكمل وجه وظل تّجار الصعيد الأعلى يتجهون بتجارتهم إلى السودان وشرق أفريقيا . كما واصلت قوافل أسيوط السفر إلى كردفان فوادى حلفا فأقاليم النيجر عن طريق وادى الأربعين دون أن يصدها عن الوصول إلى مقصدها شىء .

وواصل محمد على وخلفاؤه هذه السياسة الإفريقية . ولما وصل إلى السودان وجده قد استحال إلى خراب لإنقطاع حلاقته بمصر .. فكانت الأيدى المصرية والأموال المصرية والفكر المصرى هى التى أعادت صلة السودان بالعالم .

ولقد كانت الثورة المصرية الشرارة التى ألهبت الأفريقيين فى ثوراتهم . وما إن إنطلق المارد الأفريقى حراً عقب الحرب العالمية الثانية حتى عاودت مصر تأدية دورها القيادى التقليدى ، ففتحت صدرها اللافريقيين تنير لهم طريق الجهاد وتعاونهم فيه وتمدهم بثقافتها وخبرتها وتجارتها وعلمها . (١)

---

(١) من دواعى إعتزازى أن حكومة نيجيريا الحالية قد دعت المهندس المعمارى حبيب أمين المصرى ليخطط لشعبها عدداً من المستشفيات فقضى شهراً فى لايجوس (العاصمة) وعاد بسلامة الله مساء الأحد ٢٦ يونيو . ١٩٨٨

وإننا لنرى رئيساً الحكيم يتبع هذه الخطة عينها فيتلاقى مع الزعماء الأفريقيين فى بلادهم أو يدعوهم لقضاء بضعة أيام فى مصر ، ويحرص على حضور مؤتمر القمة الإفريقى كلما إنعقد .



البابا كيرلس السادس

فى الحديقة الملكية بأديس أبابا أثناء زيارته الراعوية لأولاده الأثيوبيين فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٦٠

٢ - الإمتداد إلى ما هو قدام :

من أروع ما قيل عنا معشر القبط أنه لم يستطع أى إضطهاد أن يفنينا . والحوار التالى تأييد لهذا القول : فى ربيع ١٩٦٣ جاء إلى مصر د . فيسرتهوفت (١) . ثم زار ذات صباح المعهد العالى للدراسات القبطية بالأنبارويس . وشاء رب الكنيسة أن يجلس إلى جانب المؤلفة . وفى أثناء حديثه معها سألها : " إن كنيستكم هى الكنيسة التى نالت أكبر قسط من الإضطهاد بين جميع كنائس العالم . ونحن نعرف أن شمال أفريقيا كان يعتزّ بكنائس كبرى فى العصور الأولى ، فمثلاً كان القديس أغسطينوس أسقفاً على كنيسة تونس بينما كان القديس كبريانوس أسقفا على منطقة الجزائر ومع ذلك فهذه الكنائس لم يعد لها وجود فى حين أن كنيستكم باقية صاحية - فما السر فى ذلك ؟ " أجابته " إن السر كامن فى الأصحاح التاسع عشر من سفر أشعياء النبى حيث أعلن بركة الرب لمصر " . فعاد يسأل : " أهذا يكفى ؟ " قالت " نعم . وإليك الدليل : " إن الواعد هو الله . وهو له المجد قال إنه لا يسقط حرف واحد حتى يكون الكل - أى أن كلامه يجب أن يكون . هذا من ناحية ذلك الذى منح الوعد ، ولنتأمل موقف أولئك الذين نالوه . لقد ذكر أشعياء كل ما سيصيب مصر من الآلام والأوجاع حتى أن قلبها سيذوب فى داخلها . ثم اختتم هذا كله بإعلانه : **مبارك شعبى مصر (بياء الملكية)** . فكان القبط كلما ثار عليهم إضطهاد يقولون لأنفسهم : **مادمنا نحن شعبه ، وما دامت البركة هى الختام فهى لابد منتصره** . وبهذا الإيمان جازوا كل ما إنصبّ عليهم من عذابات . وإذن فالواعد صادق لا يسقط وعده ، والموعودون من جانبهم صمموا على التمسّك بالوعد - فلماذا لا يثبت ؟ " قال : " الآن أدركت سر بقاء الكنيسة القبطية " .

ولنتمعّن الآن ما حدث لمجموعة من أولئك الذين أصرّوا على تحقيق الوعد الإلهى - **هى مجموعة القبط فى مدينة البتانون** - وهى مدينة ذات تاريخ ملىء بالشهداء والقديسين . وقد عاشت فيها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عائلة كهنوتية مباركة . اختط لها طريق الكهنوت عميدها القمص فرج جرجس ، وبسيره على هذا الطريق الملكى سار وراءه خمسة أجيال من أسرته .

بدأ حياته العملية باشكاتباً لمحافظة المنوفية ، وظل فى هذه الوظيفة إلى أن بلغ الأربعين من عمره . وفى هذا السن إستقال من خدمة الحاكم الأرضى لينشغل بخدمة الحاكم السماوى - وهكذا نال سر الكهنوت المقدس بإسمه العلمانى (فرج) ليخدم مذبح كنيسة الشهيد الأسقف سرابامون - وهى كنيسة أثرية قديمة بمدينته .

---

(١) هولندى الجنسية كان يشغل آنذاك منصب السكرتير العام لمجلس الكنائس العالمى .

وكان والى المحافظة متعسفاً فى تحصيل الجباية (الضريبة) . وكلما تزايد ما يجمعه تزايد معه إستبداده . وتحت هذا الضغط المتصاعد هجر عدد كبير مدينته إلى غيرها . وتوجّع قلب القمص فرج بإزاء هذا المسلك . ولما كانت المحبة الحقيقية قوة بنّاءة لم تدعه يقف عند حد التوجّع . فجاهد بكل ما فى وسعه لفرز حصة البتانون عن بقية المحافظة وإقامة شيخ خاص بها وصراف مسئول عنها لجمع الأموال المطلوبة . وأزرته النعمة الإلهية فنجح فى هذا الجهاد .. ولفرحته بنجاحه قضى سنة يدعو البتانونيين المهاجرين للعودة إلى مسقط رؤوسهم . وهنا أيضاً أزرته النعمة الإلهية فعادت غالبيّتهم .

ثم وجد أن عدد القبط قد تزايد فلم تعد كنيسة القديس الشهيد أنبا سرابامون تكفيهم . فارتكن على معونة الله وعلى مساندة شعبه وبنى كنيسة تحمل إسم السيدة العذراء .

وكما عاش أربعين سنة قبل رسامته عاش أربعين أخرى بعدها .

ومن سلالته القمص منصور فرج الذى وهبه الله صوتاً عذباً رخيماً كان أشبه بالمغنطيس فى إجتذاب الناس إلى سماع صلواته . وتبعه ابنه القمص منصور منصور فرج الذى إفتتح مدرسة ثانوية للبنين سنة ١٩٨٣ . ثم أنشغل بتجديد كنيسة الأسقف الشهيد سرابامون .

وهكذا تتابع ركب البنائين فى مدينة البتانون المحبة للسيد المسيح - هذا الذى بنعمته مازال الركب يتتابع .

والإمتداد يشمل شتى المجالات فى مصر كلها التى تنتمى إليها كنيسة مصر وتؤلف جزءً لا يتجزأ منها . ولقد شهد لهذا الواقع الجميل كاتب سير البطاركة (١) إذ قال :« **بالإجمال نقول إن الحكومة المصرية فى أيام الأب الجليل الأنبا كيرلس الخامس كانت فى أعلا درجات العدل وحسن النظام والترتيب ، وأزالت التعصبات الدينية ، وساوت بالتقريب بين رعاياها نصارى ومسلمين** ، ورفعت أكثر المظالم ، وأتت بكثير من الأعمال الخيرية لنفع عموم الأهالى - كإنشاء السكة الحديد والتلغراف والبوستة ، وحفر الترع وإقامة الجسور والقناطر ، ومعامل للورق والسكر ، وتكثير الآلات النارية أو البخارية ، وسنّ النظامات والقوانين ، وشدة الضبط والربط ، مع إطلاق الحرية الشخصية والدينية ، وفتح

---

(١) هو الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين ، المجلد الثالث - جـ ٣ ، نشرته جمعية الآثار القبطية .

المدارس ونشر العلوم والفنون . والقاهرة إتسعت عمايرها ، ونظمت شوراعها ، وأنيرت بالغاز ، ومُدت فيها مواسير المياه . وكذلك الإسكندرية . " (٢)

كذلك سجل صاحباً مجلة رعمسيس (٣) تتابع الركب فى مدن أخرى فى مقال بعنوان " معاهد العلم والصناعة فى صعيد مصر " فالافيه : " أنشىء معهدان صناعيان أحدهما فى سوهاج وثانيهما فى نجع حمادى بهمة على بك أبو الفتوح مدير (محافظ) جرجا وخليل بك نايل مدير قنا . وقد إحتفل بافتتاح المعهد الأول فى ٧ مارس سنة ١٩١٢ تحت رعاية وزير المعارف (التربية والتعليم) حشمت باشا وحضور جمع غفير من الكبراء والعظماء . وقد تكلم فى هذا الحفل مدير جرجا يثبت أن الصناعة لازمة لكل أمة تريد الفلاح والسعادة . **وتلاه عبد الرحمن بك فهمى وكيل وزارة الأوقاف ينشد الوفاق ويحث عناصر الأمة على الإئتلاف لتكون كلها يداً واحدة فى رفع شأن البلاد** . واحتفل بافتتاح المعهد الثانى فى ٩ منه أشاد فيه مدير قنا بهمة زميله السابق محمد على شرارة بك . وألقى محمد حجازى عمدة نجع حمادى قصيدة دلّت على علمه وفضله . بينما تكلم عبد الحميد بك أباظة سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية عن أهمية النقابات الزراعية . وقد ساهم العمد والأعيان فى بناء المعهدين اللذين إزدحما بالطلاّب ليتعلموا الحدادة والنجارة وعمل الأحذية وصناعة السروج والأصغان . **وإلى جانب المعهدين قامت كلية قنا التى أنشأها أنبالوكاس مطران قنا . وكل عام جديد له نهضة** . وعدد الطلبة بالكلية ٢٣٤ منهم ٤١ فى القسم التحضيرى و ١٧٥ فى الإبتدائى و ١٨ فى الثانوى و ٩٨ منهم بدون مصاريف . وإذا كانت هذه الكلية هى أول معهد فى الوجه القبلى أنشأ قســماً ثانوياً فلأن القائم بها جعل نصب عينية تعــليم الأولاد وتثقيفهم لرفع شأن وطـنه . وإيراد **الكلية ٤٠٠ جنيه ســنوياً فى حين أن مصروفاتها ألف : يدفع الأوقاف منها ٥٠ جنيه والأهالى ١٥٦ جنيها والباقى من جيبه الخــاص ". (٤)**

(٢) نرى هنا حركة التعمير التى عطّلها الإنجليز ليدّعو أنهم هم منشئوها ! .
(٣) هما رمزى وكيرلس تادرس حـ ٣ – السنة الأولى ، إبريل سنة ١٩١٢ .
(٤) لتتمعن الأجيال جهود آبـائهم لكى يدركوا مدى الجهد الذى بذله هؤلاء الآبـاء الأماجد ، وليتيقنوا بأن بقاء كنيستنا راسخة إلى الآن يرجع إلى هذه الجهود الآبائية – على الرغم من كل عوامل التخريب ومن الدعايات المغرضة .

٣ - مرشد للنفوس :

مقدمة :

إن رب الكنيسة قد أعلن أنه لا يترك نفسه بلا شاهد ، ويستتبع هذا الإعلان أنه لا يترك كنسيته بلا شاهد إذ هي جسده السريّ الممتد من السماء إلى الأرض وإلى آخر الدهور . لهذا لا يخلو جيل من أصفياء القدير . وقديماً حين ظن إيليا النبى أنه لم يعد غيره سائراً فى طريق الرب أعلن ، له المجد " وقد أبقيت لى فى إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التى لم تجثُ للبعل وكل فم لم يقبله " (١ ملوك ١٩ : ١٨). فلئن كان نبى عظيم إستحق أن يظهر إلى جانب الرب على جبل التجلّى قد ساوره هذا الغم ، فلنعذر الناس الذين يساورهم القلق لزعمهم بأن جيلاً بأكمله خلا ممن" لم يجثُ للبعل " . وإلى أولئك . وإلى أولئك وإلى المقتنين برعاية الله للإنسان من جيل إلى جيل نقدّم نموذجاً من تلك النماذج العليا حملت الشعلة فى محبة وجرأة هو القمص ميخائيل مينا :

البيئة التى نشأ فيها :

لقد منح الله أبويه خمسة أولاد هو الثانى بينهم . ومسقط رأسه بلدة القصر التابعة لدير الأنبا بلامون (وهى موطن أمه) . وقد كان أبوه القس مينا كاهناً على كنيسة السيدة العذراء فى بلدة السلامية . وواضح أن أمه قد تشبعت بروح صاحب الدير الذى نشأت فى كنفه . وكان ميلاده سنة ١٨٨٣ فأسمياه ميخائيل تيّمنا برئيس جند السمـــائيين . فليس بعجيب على طفل نشأ فى حضن أبوين متعبدين فى صدق أن يميل منذ طفــولته إلى العزلة وإلى الإنصراف للقراءة ولدراسة الكتاب الكقدس وسير الآباء وتعاليمهم .

ثم ألحقه أبواه بكتّاب المعلم فلسطين الذى نبغ فى اللغتين القبطية والعربية مع شدة ولعه بالتعاليم الكنسية . فقدّم هذه التعاليم لتلاميذه بطريقة شيّقة حببتهم فيها . ولإهتمـــامه بهم كان يعامل كلاً منهم كشخص قائم بذاته حتى إن كان ضمن جماعة . فــدفعه إهتمامه هــذا إلى أن يلحظ تعلق تلميذه ميخـائيل باللغة القبطية فأولاه عناية خــاصة . وفرح إذ رأى تمــار هذه العناية فى تفوّق تلميذه وفى سرعة إستيعابه لكل ما يتلّقنه .

دراسته العليا :

وكانت بلدة السلامية التى نشأ فيها ميخائيل تتبع آنذاك الأنبا مرقس مطران اسنا وأرمنت والأقصر . ولقد شاء رب الكنيسة أن يدعو ميخائيل لخدمته بوسيلته العجيبة تتلخص فى أن المطران الجليل قصد سنة ١٨٩٧ إلى السلامية لإقامة القداس الإلهى بكنيسة السيدة العذراء فيها . فقرأ ينافته الإنجيل بالقبطية . وحين بحثوا عن القطمارس العربى لم يجدوه . فتقدّم ميخائيل وقرأه باللغة العربية عن القبطية بترجمة فورية . فنال إعجاب الأنبا مرقس الذى فرح به للغاية . وسأل عمن يكون هذا اليافع الذى لم يتجاوز الرابعـــة عشرة من عمره . وحين علم أن أباه هو القــس مينا قال له : " اليوم ساكتب لابنك خطاب تزكيه لمدير الإكليريكية . (١)

ونفّذ الأنبا مرقس قوله وسلّم الخطاب إلى القس مينا . على أنه من العجيب أن هذا الكاهن إحتفظ بالخطاب فى جيبه – فلم يعطه لابنه ليحمله إلى الإكليريكية ! وظل ميخائيل يلّح على أمه فى أن تأتى له بالخطاب ليسافر به إلى القاهرة . وبالفعل استشفعت أمه فيه ونجحت فى الحصول على الخطاب المطلوب . فاستصحبه أخوه الأكبر – عبد المسيح – إلى محطة السكة الحديد وأرسله بصحبه أحد معارفهم ليوصله إلى القاهرة . فأخذه إلى بيت أبناء عمه بروض الفرج .

وفى اليوم التالى ذهب به أبناء عمه إلى محطة باب اللوق ليصحبوه إلى حلوان كى يقابل البابا الوقور كيرلس الخامس الذى كان مقيماً بها آنذاك . ولكنهم وجدوا القطار معطّلاً فى ذلك اليوم وفى اليوم التالى . ثم أخذه فى اليوم الثالث ابن عم لأمه إسمه هابيل وأوصله إلى قداسة البابا . فكأنما شاء الآب السماوى أن يكافىء هذه الأم التقية فجعل ابن عمها الموصّل لإبنها . وبعد أن نال الإتنان البركة الأبوية قدّما التزكية . وفى الحال أشّر قداسته عليها بالقبول . ثم قال لميخائيل : " إحضر عندى باكراً فى الدار البابا ويه بشارع كلوت بك " .

وذهب إليه بمفرده فى صباح اليوم التالى . وما إن قبّل يده الطاهرة حتى قال له : "هو انت الطويل بتاع امبارح ؟ " (إشارة إلى قريبه الذى أوصله) .أجابه على الفور : " لا . أنا المتقدّم للإكليريكية . وأجيد القبطية والعربية . وكذلك المزامير والتسبحة . وقــد

(١) كانت آنذاك بالمهمشة التى تقع خلف سكة حديد المطرية . ولم تنقل إلى مقّرها الحالى بأرض الأنباروبس إلا فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣ . ومما يؤسف له أن المقرّ القديم قد صدر أمر باباوى بهدمه سنة ١٩٧٧ . وكان من إنتاجات البابا كيرلس الخامس . أنظر حـ ٥ من هذا الكتاب ص ٤٠ – ٤١ .

تعلمتها كلها فى كتّاب بلدتى " . فقال له قداسة البابا : "لقد قبلناك بالإكليريكية ". وهكذا نجح ميخائيل فى دخول الإكليريكية .

وكان ناظرها فى ذلك الوقت **يوسف بك منقريوس** الذى كان أديباً ومؤرخاً : فهو قد ترك للأجيال القادمة كتابيْن تأريخاً للعصر الذى عاش فيه . كذلك ترك عدداً وفيراً من المقالات بالعربية والإنجليزية نُشرت فى مختلف الجرائد والمجلات . وإذ لاحظ هذا الناظر اليقظ شغف ميخائيل بالعلوم اللاهوتية خاصة والدينيه عامة أعجب به كل الإعجاب . ولهذا كان يحيل عليه كل سؤال يلقيه أى طالب من زملائه ليجيب عليه .

ولقد قضى ميخائيل خمس سنوات بالإكليرية عُرف فيها بتقواه وبصلابة تمسّكه بالتعاليم اللاهوتية والدينية وبنبوغه فيها وتفوّقه على زملائه طوال فترة الدراسة . ولتفوقه زكّاه يوسف بك منقريوس فرسِّم شماساً .

نظارته لمدرسة الرهبان فى بوش : –

وبوش هذه تقع ضمن محافظة بنى سويف وبها عزبة تابعة لدير أبى الرهبان .

ولما تخرّج ميخائيل فى الإكليريكية طلب أهل مدينة قنا واعظا لكنيستهم يكون فى الوقت عينه معلماً فى المدرسة التابعة للكنيسة . فوقع إختياره على ناظره وكتب له خطاب تزكية أرسله إلى قداسة البابا كيرلس الخامس . على أن ميخائيل إعتذر ليوسف بك منقريوس قائلاً : " ليس لبنى كرامة فى وطنه . " أجابه : " لو أن قداسة البابا قد أشّر على الخطاب فكيف تستطيع الرفض ؟ " ومن العجب أن ميخائيل ردّ على الفور بقوله : " بإذن الله لن يؤشر قداسته عليه . " وهذا ما حدث بالفعل مع أنه يو مذاك أشّر على كل الخطابات التى رُفعت إليه !

وفى تلك الأثناء حضر الأنبا مرقس أسقف دير الأنبا أنطونى إلى القاهرة ليطلب واعظاً ومدرساً معاً لرهبانه فعرض يوسف بك هذه الرغبة على الشماس ميخائيل ، ولفوره قبلها . وذهب فى اليوم عينه مع الأسقف الجليل إلى بوش وإفتتح بها مدرسة للرهبان . وكان بين طلبته آنذاك الراهب قلاديوس الذى صار فيما بعد مطرانا لجرجا . فالأنبايوساب الثانى البابا المائة والخامس عشر ، والأنبابا باسيليوس وهو ضمن سلسلة مطارنة الكرسى الأورشليمى ، والرهبان الذين نالوا فيما بعد كرامة الأسقفية وهم : أنبا كيرلس مطران قنا ، أنبا تيموثيئوس مطران الدقهلية ، أنبا كيرلس مطران الإمبراطورية الأثيوبية ، أنبا ثيئوفلس مطران القدس ، وأنبا ابرآم أسقف الجيزة

ومركز قويسنا . وهذا الكشف يبين لنا مدى الأثر الذى أحدثه ميخائيل فى طلبته هؤلاء حتى لقد أصبحوا من كبار آباء الكنيسة .

إهتمامه بأهل بوش :

ويجب أن نتيقّن أن المحبة الخالصة محبة باذلة لا تستطيع التوقف عن الخدمة . لهذا رأى ميخائيل مينا أن يمدّ عمله التعليمى ليشمل أهل بوش . فعرض رغبته هذه على أنبا مرقس الذى وافق لساعته ، فإفتتح مدرسة إبتدائية لأولاد المنطقة لم تلبث أن إزدحمت بهم . وإذ رأى تلهف الشباب وأهاليهم على التعلّم فرح للغاية فأنشأ قسماً تجهيزياً يحصل الطالب بعد دراسته فيه على شهادة " الكفاءة " - وهذا القسم أصبح معروفاً بالإعدادى " . ولقد تخرّج عدد كبير فى هذه المدرسة . وحين كان ينجح الطلبة كـــان الشمـــاس ميخائيل مينا يقترح على أولياء أمورهم بإلحاقهم بالكليات ويحدد لكل منهم الكلية المناسبة له . وبتشجيعه أولاده على المزيد من التعلّم ساهم فى نشر الثقافة بين المصريين .

ولقد ظل ناظراً لمدارس بوش (الرهبانية والمدنية) ستاً وعشرين سنة .

نظارته لكلية الرهبان بحلوان :

تم آلت السدة المرقسية إلى الأنبا يؤنس التاسع عشر - البابا المائة والثالث عشر فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨ . وكان شديد التعلّق بإخوته الرهبان شديد الرغبة فى توسيع مجال ثقافتهم . فدعا المجمع المقدس إلى الإنعقاد وعرض على أعضائه الأجلاء فكرة إنشاء كلية لتعليم الرهبان المختارين من جميع الأديرة على أن يكون مقرها فى حلوان داخـل حديقة كنيسة السيدة العذراء التى بناها سلفه الوقور أنبا كيرلس الخامس : ووافق الحـاضرون بالإجماع . وخطر لبعضهم إستحضـــار ناظر لها من أثينا . على أن الغـــالبية رفضت بسبب الإختـلافات العقيدية بيننــا وبين اليونـــانيين (الروم) . ثم قام الأنبا تيموثيئوس وقال " " فى الواقع إنه يعزّ علينا أن نفرّط فى شخص يدبّر أمورنا بالدير ببوش . ولكن هذه الكلية أوسع مجالاً فمن الأفضل وجوده فيها . وهذا الشخص هو الشماس ميخائيل مينا*. " قال له الأب البطريرك : " أنت على حق . وأنا كنت ناسياً ذلك . " ووافق الآباء المطارنة بالإجماع وأرسلوا لفورهم برقية إلى بوش يطلبون فيها حضور الشماس ميخائيل مينا على الفور .

ووصلت البرقية فى الساعة الحادية عشرة صباحاً ، ووصل الشماس ميخائيل مينا إلى الدار البابويه فى الساعة الثانية عشرة ظهراً والمجمع مازال منعقداً . وما إن دخل حتى بادره قداسة البابا بقوله : " لقد أخترناك يا ميخائيل لتكون ناظراً لكلية الرهبان التى قررنا إنشاءها بحلوان ." وصمت ميخائيل بضع دقائق . فسأله الآباء " هل أنت معارض فى التعيين ؟ " أجاب " : إنى أقبله بكل توكيد " فقال البابا يؤنس : " أنشروا الخبر فى الجرائد " وكانت آنذاك تصدر جريدة قبطية مسائية بإسم " مصر " ظهر فيها الخبر فى اليوم عينه .

وإننا لنتبين فرحة الأنبا يؤنس وشركائه فى الخدمة الرسولية بهذا المعلم حين نعلم أن الكلية قد تّم إفتتاحها فى اليوم التالى مباشرة !

ويليق بنا أن نقف قليلاً أمام هذه التلقائية الآبائية لنسأل : " لو أن آباءنا كانوا جهلة كما زعمت الدعايات الأجنبية فهل كانوا يفرحون هذه الفرحة ؟ وهل كانوا يسارعون لفورهم إلى إفتتاح الكلية ؟ ؟ !

ولقد أقيم إفتتاح مهيب لهذه المناسبة وقف فيه الشماس ميخائيل مينا خطيبا . وطبيعى أن قداسة البابا رأس الإحتفال . ولقد أبدى فرحه وإعجابه بناظر الكلية إلى حد أنه وقف حالماً إنتهى وأمسك بيده وضغط عليها وقال له : " طالما تمنيت أن أسمع مثل هذه الخطابة المشتعلة من الرهبان . وسأكافئك مكافأة حسنة بإذن الله " . ولما خرج من قاعة الإحتفال قال للآباء المطارنة الأنطونيين : " إيه الوعظ والخطابة الهايلة دى " قالوا له:" بالحقيقة أن ميخائيل أكثر من هذا . "

وقد ظل ميخائيل يخدم هذه الكلية العظمى على مدى سبع وعشرين سنّة معلماً وواعظاً لعدد وفير من آباء الكنيسة . وبين المطارنة والأساقفة الذين تخرجوا على يديه الآتية أسماؤهم – وعلى رأسهم قداسة البابا كيرلس السادس :

أنبا مرقس مطران أبوتيج ، أنبا توماس مطران الغربية ، أنبا ابرآم مطران الجيزة وخليفته المباشر أنبا يؤنس ، أنبا ديمتريوس مطران المنوفية ، أنبا مكسيموس مطران القليوبية ، أنبا أنطونيوس مطران سوهاج ، أنبا لوكاس مطران منفلوط ، أنبا بولس مطران حلوان ، أنبا مكاريوس مطران قنا ، أنبا ابرآم أسقف الأقصر ، أنبا مينا مطران جرجا .

زواجه .

كان للشماس ميخائيل منيا رغبة قوية فى التبتل ، ميالاً إلى العزلة والإعتكاف إلا أن أباه ، مع كونه كاهناً وأباً لأربعة آخرين ، أرغمه على الزواج ! واختار له بنفسه

عروساً من بين قريباته . وقد عاش مع زوجته ثمانى سنوات رزقه الله خلالها ببنتين : تزوج بإحداهن لبيب ابن أخيه الأكبر القمص عبد المسيح . فلما ترمّل عاود عزلته واعتكـــــافه .

رهبنتـــــه :

وحدث أن ذهب البابا يؤنس لزيارة دير البرموس الذى قضى فيه سنى رهبنته . وكان يصحبه فى تلك الزيارة إسماعيل باشا صدقى رئيس الوزراء وتوفيق باشا دوس وزير المواصلات (١) . كذلك إستصحب ميخائيل مينا الذى ألقى خطاب تحية إستقبالاً للضيوف الذين أعجبوا به للغاية . وأمال الوزير القبطى برأسه على الفور على قداسة البابا وسأله : " من أين أتيت بهذا الناظر ؟ " أجابه " : " لقد أرسله لنا السيد المسيح له المجد " . فعاد يســأل : " أهو متزوج ؟ " فـردّ عليه : " لا – إنه مترّمل " . فقـال له : " ولماذا لا ترهبنه والمثل يقول ربّ شجرة أفضل من بستان ؟ " ورنّت هذه الكلمات رنيناً عذباً فى قلب البابا الجليل فرهبنه ورسمه قمصاً باسمه الأصلى سنة ١٩٣٢ .

ولقد كان القمص ميخائيل مينا ، منذ بداية خدمته ، يعظ فى مختلف الكنائس تلبيةً لدعوة الكهنة والشعب . وكان فى تلك العظات يَبكى ويُبكى . ومن دقته أنه كان يحدد نصف ساعة لا يزيد عنهـــا دقيقة حين يقف ليعظ ، كما كان يلتزم بحدود الموضوع المختار . ومع كثرة المتهـــافتين عليه كـــان عفيف اليد يرفض أية مكـــافأة مادية لأنه كان موقناً بأنه مِلكٌ للسيد المسيح إذ طالما ردد : " لقد كرّست روحى ونفسى وجسدى لخدمة الكنيسة والرهبنة . "

مؤلفــــاته :

من نعمة الله على كنيسته أن منح القمص ميخائيل مينا المقدرة على الكتابة المنطقية السلسة التى تنساب على قلمه برشاقة . وأهم مؤلفاته : **" كتاب علم اللاهوت"** – وضعه فى ثلاثة مجلدات ضخمة حتى لكأنه موسوعة لاكتاب . وفى هذا المؤلف الضخم عالج الموضوعات العقيدية والحقائق الروحية والأسرار والطقوس الكنسية ، وقد دعّمها كلها بالحجج الدامغة . وهذا الكتاب دليل بالغ على سعة الإطلاع وعزارة العلم ووفرة المادة . إنه كتاب يحقّ لكل قبطى أن يفاخر به بين أكبر المصنفات اللاهـــوتية فى مختلف الشـــعوب . وهو ، فوق ذلك المرجــــع الأمين لكل من يستهدف تفتيش الكتب .

---

(١) راجع ما جاء عن الدور الذى قام به هذا الوزير لتنصيب الأنبا يؤنس بطريركار جـ ٦ من هذا الكتاب ص ١٧ – ٣١ .

كتاب " تحفة هذا الجيل فى شرح التوراة والإنجيل " – إبتداءً من سفر التكوين وإمتداداً إلى سفر الرؤيا . وقد نُشر هذا الكتاب فى سلسلة من المقالات الشهرية بمجلة الإيمان (الصادرة عن جمعية الإيمان) .

كتـاب " المواعظ على مدار السنة " – وضعه حين كـان ناظراً لمدرسة الرهبان ببوش .

هذا بالإضافة إلى العدد الوفير من المقالات نشرها فى مختلف الصحف والمجلات التى كانت تصدر آنذاك . وجميع كتبه ومقالاته ، سواء بسواء ، مراجع قانونية أصيلة لكنيستنا القبطية المحبوبة .

نياحتـــــه :

شاء رب الكنيسة أن ينقله إلى فردوسه يوم الجمعة ١٧ أغسطس سنة ١٩٥٦ [١١ مسرى سنة ١٦٧٢ ش] وهو فى الكلية بحلوان . وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة ، قضى ثلاثاً وخمسين منها فى خدمة دؤوب للكنيسة وللرهبنة . وهكذا تاجر بالرزنات الممنوحة له من مخلصه وربح ربحاً عظيماً ، فاستحق أن يسمع الصوت الفرح : " نعماً أيها العبد الصالح والأمين أدخل إلى فرح سيدك " (١)

٤ – جندى صامت : –

مقدمة

ليس من شك فى أن الصعيد قد أنبت الكثيرين من القديسات والقديسين . وليس ذلك بغريب فهو يمتد إلى بعد طويل على جانبى النهر الخالد وفى بعض مناطقه تتقارب الصحراء من الوادى الأخضر حتى تكاد أن تبتلعه . **وهذه الصحراء – مع جدبها الطبيعى ـ كانت منذ العصور الأولى–موطنا للروحانيين** وبالمحبة اللانهائية المنسابة من المنبع الإلهى تنّقل فادينا حتى فى صحرائنا حين اختار مصر ملجأ له . وبهذا المرور الإلهى تحولّت الصحراء إلى فردوس روحى . وســـرت هذه الفردوسية من

---

(١) عن بحث للشماس رشدى واصف بهنان – معيد بالكلية الإكليرية بالقاهرة ، وقد استقى المعلومات التى وردت فيه من المقدس لبيب عبد المسيح ابن أخ للقمص ميخائيل مينا وزوج لإحدى بنتيه. وقد نشرت مجلة مدارس الأحد ملخصاً وافياً لهذا البحث بعددها الصادر نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٨٦ (هاتور وكيهك سنة ١٧٠٣ ش) ص ٣٩ – ٤٣ .

الصحراء القاحلة إلى الوادى الرحيب . فأنبتت على التوالى نباتات روحانية إلى جانب نباتاته الطبيعية . وليس معنى هذا أن الصعيد إختصّ بالقديسين دون الدلتا . فحاشا لمصر المرحبة بربها أن يقتصر خصبها الروحي على منطقة منها دون الأخرى . ويكفى أن الأسكندرية هى مهبط مارمرقس وعاصمة كرازته ومقرّ كرسيه . وحين نشر بشارته فيها سرت منها إلى الدلتا فالصعيد . فالكارز العظيم وتلاميذه أشتعلوا حباً بفاديهم فحملوا رسالته إلى آخر حدود وطنهم . ثم إمتدوا منه إلى مشارق الأرض ومغاربها .

بيئتـــه :

والجندى الصامت الذى تتلخص سيرته العطرة فيما يلى من أبناء الصعيد الأعلى وهو القس **جورجيوس جرجس الجبلى** . وُلد ببلدة الكشح مركز أولاد طوق شـرق (محافظة سوهاج) وسمّاه أبواه " نصحى " . وهو سليل عائلة كهنوتية لأجيال ، وللآن يخدم ولداه هذه الخدمة الروحية الكنسية فى بلدتهما . وكان مولده فى شهر يناير سنة ١٩١٣ م (سنة ١٦٢٩ ش) . وبديهى أن أبن كاهن أباً عن جد وأم مليئته بالوداعة والخشوع أن ينشأ نشأة مسيحية – بل نشأة متلاصقة بكنيسة الآباء والجدود . فألحقاه بكتّاب الكشح حيث تعلم المزامير والتسبحات والألحـــان منذ نعومة أظفاره . وفى السابعة من عمره أدخلاه مدرسة بسطابك الإبتدائية بسوهاج (١) . ثم فى سنة ١٩٢٥ إستكمل دراسته فى مدرسة رزق بك بشـــرى الثـانوية بجرجافدرس فيها أربع سنوات أخذ بعدها شهـــادة الكفاءة – التى كـــانت تقـوم مقام الثانوية العامة الآن إذ لم تكن هناك مرحلة إعـــدادية . ولأن أباه كان كاهناً مدركاً مسئولية الرعاية فقد أرسل ابنه نصحى إلى الإكليريكية ليكـــون كـــاهناً عن وراثه وعن علم . وقد قضى بالإكليريكية ست سنوات من ١٩٢٩ – ١٩٣٥ .

بداية عمله :

وما إن تخرّج فى الإكليريكية حتى عُين ناظراً لمدرسة الأقباط بالرديسية (محافظة الأقصر) – عينه الأنبا باسيليوس مطران الأقصر واسنا وأسوان (٢) . كذلك أوكل إليه الوعظ فى الكنيسة لما لمسه فيه من حرارة روحية مقترنة بعلوم الكنيسة وتقاليدها . ولقد أدرك المسئولية التى ائتمنه عليها رب الكنيسة عن طريق الأنبا باسيليوس ، وبالتالى أخذ على عاتقه أن يعظ ويبشر فى القرى المحرومة المحيطة بمقر عمله .

---

(١) كان لجميع أصحاب الأراضى – على إمتداد الوادى – مدارس أنشأوها على تفقتهم معاونة منهم لنشر التعليم بأسرع ما يمكن .

(٢) راجع ما جاء عنه فى حـ ١٦ من هذا الكتاب ص ١٧٥ – ١٨٣

سكرتيرتّه للأنباكيرلس مطوان الحبشة – وبما أن قرية دير النغاميس التابعة للكشح قد نالت بركة إنبات الأنبا كيرلس مطران الأمبراطورية الحبشية ، (٣) فقد رأى الأنبا يؤنس التاسع عشر (البابا الـ ١١٣) أن يعيّن نصحى جرجس الجبلى سكرتيراً للمطران الجليل فى مارس سنة ١٩٣٦ . فترك الجهاد فى الرديسية وما يجاورها للعمل فى أديس أبابا . على أنه مما يؤسف له أن إيطاليا إجتاجت أثيوبيا فى تلك السنة فجاز أخطارها جنبا إلى جنب مع مطرانها الوقور . ولكن رب الكنيسة شاء أن يحميهما من موت شنيع . ولما قرر المارشال جرازيانى القائد الأعلى للقوات الإيطالية أن يرسل الأنبا كيرلس الى روما صحبه نصحى ظناً منه أنه سيتشارك معه السرّاء والضرّاء . على أن الطغيان الإيطالى رفض رجاء المطران الجليل للنزول فى بور سعيد لكى يقابل باباه قبل الذهاب إلى العاصمة الإيطالية . وبإزاء هذا الرفض القاطع طلب إليهم أن يأذنوا لسكرتير بالنزول . فقبلوا طلبه مشترطين عدم عودته وعدم مصاحبته فى بقية الرحلة . فعاد إلى الكشح . ورأى أبواه الفرصة مواتيه فأزوجاه (٤).

وبعد محاولات فاشلة من جانب الحكومة الإيطالية لإقناع المطران الوقور بأن يعلن ولاءه لبابا روما أعادوه إلى القاهرة وأصروا على عدم عودته إلى مقر كرسيه . فلما وجد نفسه فى مصر إنشغل بخدمة قومه فأنشأ مدرسة بدير النغاميس للتعليم الدينى إلى جانب التعليم المدنى واختار نصحى ناظراً لها . واتخذ من أخيه صبحى سكرتيراً له .

تعاونه مع جمعية السيدات : وحين قامت جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة سنة ١٩٤٠ لنشر التعليم الدينى والمدنى بدورها ، كاتبت الآباء الأجلاء المطارنة عن مشروعها . ونتيجة لرسالتها إلى الأنبا كيرلس قررت أن توفد مدرساً لمدرسة دير النغاميش ، وأن تتولى إمدادها بالكتب وبكل ما يلزمها من الأدوات المدرسية . وبعد سنتين من تعيين نصحى مرّ بالقرية راهب يسوعى (جزويتى) لزيارة الكنيسة الأثرية بها فعرّج على المدرسة . وإذ علم بمساهمة جمعية السيدات زار الجمعية فى مقر إجتماعها (بيت بطرس غالى بالفجالة) وقال للسيدات : " **إن ناظر مدرسة دير النغاميس ليس ممتازاً فى تعليمه الأطفال فقط بل إنه يتميز بروحانية عظمى** " .

وفى أثناء عمله بالمدرسة رأى نصحى أن يبنى كنيسة على إسم السيدة العذراء فى منزل والده القمص جرجس الجبلى ، وبالأخص لأنه كانت تحيط بالمنزل قطعه أرض مقدارها قيراطان ونصف . وكان المنزل والأرض المحيطة به وسط مساكن عائلة الجبلى

---

(٣) شرحه حـ ٦ ب ، ص ١١٧ – ١٤٤

(٤) يسرنى أنه أعطى بنته الأولى إسم : إيريس .

وقد بدأ ببناية الكنيسة سنة ١٩٤٨ واستغرق أربع سنوات لإتمامها لإضطراره إلى جمع التبّرعات . فلما أكمل البناء رسمه الأنبا كيرلس مطران البليناقسا عليها باسم جورجيوس . على أن كهنوته لم يعوّقه عن الإستمرار فى خدمة المدرسة . والواقع أنه حين يكون الناظر روحانياً وكاهناً معاً فإن أثره على التلاميذ يتضاعف أضعافاً .

نهاية المطاف :

وقد إستمر أبونا جـــورجيوس يخدم ويبذل بهمة وتفان على نمط آبائه من سنة ١٩٥٢ – سنة ١٩٥٦ . وفى يوم الأربعاء الموافق ٢١ يناير ، وفى التاسعة إلا ربع مساءً أحس بوعكة خفيفة فأوى إلى مضجعه . ولكنه ماكاد يستلقى على السرير حتى طارت روحه إلى العـــالم العلوى . فانتقل بهدوء وسكينة دون أن يشعر بأى وجع وسط عائلته وأحبـــابه . فدفنوه تحت هيكل كنيسة السيدة العذراء التى جاهد لبنائها فى اليوم التالى (١٩٧٦/١/٢٢) .

وهنا أيضاً نذهل أمام حنان الآب السماوى الذى يجعل الموت لأحبائه عبوراً سهلاً من أرض الشقاء إلى مقر النعيم .

٥ – يونان نخلة استفانوس الدويرى :

مقدمة :

قال أحد الروحانيين : **إن كل طفل يولد هو فرصة جديدة لتحقيق الإرادة الإلهية** ، لأن هذا الوليد المخلوق على صورة اللّه ومثاله مازال فى البراءة الأولى . ومن عجب اللّه أنه يأتمن الإنسان على تربية هذا الوليد . ومعنى هذا أن الخالق المبدع مازال يثق بالمخلوق الضئيل . وأمام هذه الثقة الإلهية وهذه الضآلة الإنسانية ترنّ فى آذاننا كلمات المرنّم : " من هو الإنسان حتى تذكره وابن الإنسان حتى تفتقده . وتنقصه قليلاً عن الملائكة . وبمجد وكرامة تكلله . . " (١) ثم يتردد صداها فى قول الـــرائى : " وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم ... ويجيئون بمجد الأمم وكرامتهم . " (٢) إذن فهو ، له المجد ، قد أعلن فى الأسفار الإلهية هذا التقدير العجيب للإنسان . فتسلّمه الآباء بكل إعزاز وتقدير وسجّلوه ضمن الصلوات الشعائرية لسّر الزواج المقدس فنسمع الكـــاهن يقول وهو يضع الإكلـــيل على رأس كل من العروسين " كللهما بالمجد والكرامة " .

---

(١) مزمور ٨ : ٤ – ٦　　(٢) رؤيا ٢١ : ٢٤ – ٢٦

هذا هو الإنسان فى نظر مبدعه !

ومن نعمته – له المجد – أن هنـــاك أشخاصاً نشأوا على وعى بهذه الكرامة الممنوحة مجاناً وهذه المحبة العارمة . وبهذا الوعى عاشوا كما يحق بالإسم المجيد الذى يُدعَوْن به .

ومن أولئك المدركين لهذا التقدير الإلهى يونان نخلة الدويرى الذى نرى فى حياته صورة الشخص العامل وفقاً للمجد والكرامة اللذين كلل الله بهما الإنسان .

نشأته : وُلد بالدوير ، وهى بلدة بمحـــافظة أسيوط ، فى ١ فبـــراير سنة ١٨٩٨ م (٣ أمشير سنة ١٦١٤ ش) . على أنه إلتحق بمدرسة الأقباط الكبرى التى كان قد أنشأها البابا كيرلس الرابع ، ونال منها البكالوريا (الثانوية العامة) سنة ١٩١٦ . وفى السنة عينها إشتغل موظفاً بمصلحة المساحة . وظل بها منتقلاً من وظيفة إلى أخرى حتى بلغ درجة مدير عام الميزانية والتوريدات . ثم رأى أن يستقيل من عمله الحكومى سنة ١٩٥٠ ليتفرّغ لخدمة الكنيسة التى ملكت عليه محبته الوفية .

خدمة الكنيسة : على أنه منذ سنة ١٩١٦ إنضم إلى **جمعية أصدقاء الكتاب المقدس** . وهذه السِمة : سِمة الإندفاع نحو الخدمة فى سن مبكّر ، هى السِمة التى تميزّ بها جميع محبى الكنيسة وربها . ثم إمتد نشاطه الروحى ليشمل الخدمة فى **كنيسة مار جرجس بالقللى** ، والمساهمة فى تأسيس **كنيسة مار جرجس بخمارويه** بشبرا . وقضى ثلاث عشرة سنة فى هذين المجالين .ثم فى سنة ١٩٢٩ أخذ على عاتقه أن يسعى للنهوض **بجمعية المحبة** . فأنشأ بها فصولاً لإعداد طالبى الشماسية والخدمة فى التربية الكنسية ، ولتهيئة الوعاظ والمرشدين الروحيين . وفى الوقت عينه بدأ بتقديم المعونة للعائلات المستورة وللطلبة والطالبات المتفوقين – وما زالت هذه المعاونات مستمرة . واستكمالاً لهذه الأعمال الحيوية **قام بطبع دروس مدارس الأحد** منذ سنة ١٩٣٢ وتوزيعها على جميع كنائس الكرازة المرقسية .

على أن النفس المشتعلة بالمحبة تمتد دائماً إلى ما هو قدام كما قال رسول الأمم (١) . وبهذا الإمتداد بدأ سنه ١٩٣٣ بطبع الكثير من الكتب الكنسية ومؤلفات علمائها : طبعها ونشرها . وإذ وجد تهافت الناس على هذه الكتب عمل على إنشاء مكتبة المحبة بالفجالة سنة ١٩٣٨ . ومذاك تنمو هذه المكتبة وتتشعّب مجالاتها كحبة الخردل التى تتحول إلى شجرة كبيرة .

---

(١) فيلبى ٣ : ١٣ .

وتلاحقت أنشطته ، فأسس سنة ١٩٤١ " بيت المحبة " الذى مازال ينمو بنعمة الله ، ثم رأى أن يستكمل نشر الثقافة الكنسية **فأصدر سنة ١٩٤٦ " رسالة المحبة "** شهرياً ، وتطبع منها فى الوقت الحاضر ثلاث عشرة ألف نسخة . وقبل ذلك بسنة بدأ بطبع ونشر " تقويم المحبة " . وهذا أيضاً نما نمواً عجيباً إذ يُطبع منه الآن مائتان وأربعون ألف نسخة فى أشكال مختلفة .

ثم إتّجه قلبه نحو البناء . **فأسس سنة ١٩٥٦ كنيسة الملاك والأنبا شنودة بجزيرة بدران** . وواضح أن الحماسة كانت على أقصى إشتغالها إذ قد تّم بناؤها وتكرّست للصلاة فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٥٧ . وبعد إتمامها قام ببناء مقر الجمعية الحالى ، ويضّم هذا المبنى كنيسة تحمل إسم أنبا ابرآم ، وبيتاً لأبناء المحبة " ، وقاعات لشتّى الأنشطة . وقد بدأ هذا البناء سنة ١٩٦٠ ، وفى سنة ١٩٧٤ تم بناء الكنيسة المقامة داخله .

وحينما إستهدف الأنبا كيرلس السادس بناء الكتدرائية المرقسية الضخمة بالأنبا رويس ألّف لهذا الغرض لجنة مالية إختار ضمن أعضائها الخادم الأمين يونان نخلة – وكان ذلك سنة ١٩٦٥ .

وبما أن الآب السماوى قال : " أكرم الذين يكرموننى " ، فقد جعل الدولة تقدرّه وتعلن عن تقديرها هذا بأن منحه الرئيس السادات نوط الإمتياز من الطبقة الأولى سنة ١٩٧٢ ، كما منحته محافظة القاهرة شهادة تقدير بمناسبة عيد العمل الإجتماعى .

تصاعد الركب : ولما كانت المحبة الصادقة محبة باذلة ، ولما كانت فى بذلها لا يؤخرها عائق ، فقد وضع أساساً لدار الحضانة ودار المغتربات على الأرض التى كان قد أشتراها فى مواجهة مقر الجمعية بشارع جزيرة بدران . وكان ذلك قبل إنتقاله بأربعة شهور وعلى الرغم من أنه عانى أمراضاً كثيرة متنوّعة على مدى السنوات الثلاث الأخيرة من حياته المثمرة .

وإذا ما تأملنا كل إنجازات يونان نخلة ومدى نجاحه عرفنا أن السر فى هذا النجاح هو الإيمان الراسخ بمؤازرة الله والمحبة الفائضة داخل قلبه . بل إن هذه المحبة واضحة فى أنه إتخذها إسماً لجمعيته ولمنشآته ولرسالته . **فتحقق فيه قول اللحن الكنسى البديع ": والمحبة أساس كل البنيان "** .

وإن محبته لم تقتصر على كنيسته وشعبه بل إمتدت لتشمل كل مواطنيه ، فارتبط بكل المؤسسات المسيحية والإسلامية . وسعى بحكمة بالغة إلى

تقوية الروابط بين المسلمين والأقباط وبخاصة فى حى جزيرة بدران . فكان ابناً وفياً لمصر ولكنيسة مصر .

وإلى جانب كل هذه التقدمات أعطى الكنيسة كاهنين على جانب كبير من الوعى الراعوى ، وهما :

١- **القمص روفائيل ، ابنه الأكبر** راعى كنيسة السيدة العذراء بمونتريال بكندا ، وكنيسة السيدة العذراء ومارمرقس ببوسطن (بولاية ماساتشوستس) . والشعب فى المدينتين معتزّ بكاهنه .

٢ - **القمص مرقس باسيليوس زوج ابنته** ، وهو أول من رُسم كاهناً على كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك بالأسكندرية . وقد تمت رسامته يوم ٧ مارس سنة ١٩٤٣ م (٢٨ أمشير سنة ١٦٥٩ سنة) . وكان ذا أصالة مصرية صميمة تميّز بشجاعة نادرة فى إعلان الحق والدفاع عنه .

نياحته - ولقد شملته المراحم الإلهية شمولاً مذهلاً : فقد منحته أن يرى رؤى ويختبر الكثير من الإستعلانات السماوية المجيدة . **فانتعشت روحه وفرح قلبه على الرغم من الآلام الجسدية** . فحق عليه قول رب المجد : " أما الروح فمستعد ، وأما الجسد فضعيف » . وبهذه النشوة الروحانية إنتقل إلى الفردوس فى هدوء المغيب - فى أول فبراير سنة ١٩٨٠ م (٢٣ طوبة سنة ١٩٩٦ س) . (١)

٦ - راع صبور مطيع :

يعلمنا الكتاب المقدس أن الله لا يدع نفسه بلا شاهد ، وينبئنا تاريخنا أنه لا يدع كنيسته بلا شاهد . وإعلاناً لهذا العمل الإلهى المزدوج تتزّين كنيستنا المحبوبة ، فى كل عصر بالآباء العاملين الباذلين فى صمت وبساطة قلب. ومن هؤلاء الأعلام الذين إزدان بهم عصرنا الحالى الأنبا ديسقورس أسقف المنوفية . وكفى به عزة أنه يحمل إسم البطـل الذى رضى بالإهــانة والسخرية ذوداً عن العقيدة الرثوذكسية . ولهذه التسمية

---

(١) عن نشرة أصدرها إعزازاً لذكراه ابنه فكتور المسئول الأول عن مكتبة المحبة إذ هو صاحبها ومديرها ، وقد نشرها يوم ١٠ مارس سنة ١٩٨٠ بمناسبة مرور أربعين يوماً على نياحته .

ويسرنى أن أقول إن مكتبته قد طبعت ونشرت عدداً غير قليل من مؤلفاتى ، آخرها جـ ٨ من هذا الكتاب ، وكتابين عن التعاليم الروحية الفرعونية - أحدهما بعنوان " لماذا نسينا " وثانيهما بعنوان " وقائع أعجب من الخيال " .

حادثة طريفة تتلخص فى أن البابا كيرلس السادس حين كان فى اثيوبيا فى يناير سنة ١٩٦٥ سأله أولاده الأثيوبيون لماذا لا يوجد بين أعضاء المجمع المقدس للكرازة المرقسية من يحمل إسم ديسقورس البطل المدافع عن العقيدة القويمة أمام تكتلات القسطنطينية وروميه فى القرن الخامس (١) ؟ ويبدو أن هذا السؤال ظل يروح ويغدو فى ذاكرة البابا الوقور إلى حد جعله يطلق هذا الإسم على القمص أنطونيوس البرموسى حين رسمه أسقفا على كرسى المنوفية فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٥ . والحق أنه لم يحمل إسمه هذا فقط بل إنه عاش على مستواه من البذل والعطاء طيلة أيامه . ولئن كان البابا ديسقورس قد صمد فى وجه المؤمرات الإميريالية فإن الأسقف ديسقورس وقف ضد الجهل والفقر والمرض وكل الشباك التى نصبها عدو الخير فى طريقه . فانتظم ضمن الآباء الأعلام للكنيسة المصرية العريقة .

البـــداية إن أدوارد يسطـــس من سلالة كهنـوتيه وثيقة الإيمـــان ، من الدوير (مركز أبو تيج) . فأبوه القمص يسطس تاقت نفسه إلى الخلوة بالله فذهب إلى القدس الشريف وعاش حبيساً فى ركن من كنيسة القيامة . ولكن أهله لم يلبثوا أن إستعادوه وأزوجوه من السيدة رومة مقار التى كانت تنتمى هى أيضاً إلى عائلة كهنوتية ذات صلة أكيدة بالكنيسة وبرب الكنيسة .

وحدث ، وهى حبلى بادوارد أن شعـــرت بألم وتعب وضيق جعلها أقرب إلى الموت منها إلى الحياة . فنظرت من نافذة غرفتها إلى الفضاء وهمست :" يا ربى يسوع المسيح فى يديك أستودع روحى". ومـــا كادت تتفّوه بهذه الكلمات حتى وقف أمامها ملاك ساطع كالبرق وهدأ من روعها وأعلمها بأنها ستلد إبناً مباركاً . وفى الموعد المعين، فى ٥ مـــارس سنة ١٩٠٥، ولدت إبنها ادوارد. وبالطبع تحققت الرسالة الملائكية فى حينها الحسن .

وبديهى أن أبويه إهتّما بتنشئته على الصبر والطاعة ، بل على الإيمان والمحبة ، فلم يلبث الأنبا باسيليوس مطران أبوتيج أن رسمه " أفنسطسا ". وكان أبوه مواظباً على إيقاظه باكراً ليستصحبه إلى الكنيسة لصلاة التسبحة ولخدمة القداس الإلهى . وفى هذه السنوات كان يدرس فى المدرسة الأولية الملاصقة للكنيسة ، وهى التى كان قد بناها أبوه وعمه. ولما إنتهى من ستى هذه الدراسة قضى فترة الدراستين الإبتدائية والثانوية فى أسيوط ، فحصل على الثانوية العامة سنة ١٩٢٣. **وتوسّـم فيه أبـــوه**

---

(١) راجع ما جاء عن هذا البابا المقدام فى الفصل الأول من حـ ٢ من هذا الكتاب .

القمص يسطس النزعة إلى الروحيات فأرسله فور نجاحه إلى الكلية الإكليريكية تحت رياسة حبيب جرجس . فأتم ادوارد دراسته بها فى سنة ١٩٢٧ . ولفرحة حبيب جرجس يتوقّد روح تلميذه هذا عَيّنه مدرّساً للتاريخ الكنسى وهو مازال فى سنته الدراسية الأخيرة .

ثم رأى هذا المعلم الكبير أنه من الأفضل أن يكون مدرسو الأكليريكية كلهم كهذه ليتضاعف تأثيرهم على طلبتهم . ولكن هذه الرغبة الهادفة لم تتحقق مع الأسف .

وحدث فى ١٨ يوليو سنة ١٩٤٥ أن قصدت عائلة القمص يسطس إلى الأصطياف بالأسكندرية . وفي اليوم التالى نزل فى الصباح الباكر للإستحمام فى البحر مع خاله وابن خاله مع أن الأمواج يومذاك كان صاخبة متلاطمة . فابتلعت هذه الأمواج خاله وابن خاله . ونجا هو بأعجوبة . وأمام نجاته قال لنفسه : " كان من الممكن أن أغرق أنا أيضاً فكيف كنت أقابل الله ؟ إذن فلأعتبر إنى مت عن هذا العالم من اليوم . " ومذاك أمتلأ قلبه وفكره بالحياة النسكية فبدأ يدرب نفسه عليها قبل أن ينتظم ضمنها فعلاً . فإنشغل بالتمعن فى الكتاب المقدس وبحفظ التسبحة والمزامير والصلوات عن ظهر قلب ، والمواظبة بدقة على تناول الأسرار المقدسة حتى لكأنه فى دير . وزاد على ذلك أنه تباعد عن المال ، فكان يصرف مرتّبه على الفقراء والمعوزين ، ويقرض المحتاجين دون إسترداد ما أقرضه . ووصل به الأمر أنه لم يعد يعرف ما تبقّى فى جيبه بعد العطاء .

ثم إشتعل حنينه إلى الرهبنة فكتب خطاباً إلى قداسة الأنبا يوساب فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٧ يرجو منه أن يرهبنه مع بقائه مدرّسا فى الأكليريكية فلا يعيش فى الدير إلا أثناء الإجازات . ولما حوّل البابا الجليل الطلب على حبيب جرجس وافق عليه لفوره . ومن تم بدأ ادوارد يسطس يمر على الأديرة حاملاً إليها رجاءه فى الحياة النسكية مع بقائه فى الإكليريكية . فذهب الى القمص برسوم رئيس دير الأنبا بيشوى ولم يلق غير الرفض ، وهكذا كان الحال مع رئيستى دير الأنبا مكارى الكبير ودير المحرق . أخيراً نال موافقة رئيس دير السريان الذى حدد له موعد الرسامة فى الإجازة الصيفية . على أن الأنبا كيرلس مطران اثيوبيا كان قد تمكن من إقناع رئيس الدير المحرق فقرر الإلتحاق به إعترافاً بفضل المطران الوقور .

على أن الحكمة الإلهية أبعد من أن نفهمها . فقد ترامى إلى مسمع ادوارد أن الراهب القمص مينا المتوحّد رئيس دير الأنبا صموئيل القلمونى (قداسة البابا كيرلس السادس) كان مقيماً آنذاك بكنيسة مارمينا فى آخر مصر العتيقة ، وأنه رسم الشماس

سعد عزيز راهباً باسم مكارى(١) مع السماح له بتأدية خدماته الموضوعة عليه والإقامة فى الدير فى فترات الأجازة . فقصد إليه يوم الأحد ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٨ . وقبله الأب الروحانى لساعته ورسمه راهباً صباح الجمعة ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٨ بإسم والده يسطس . **ومن عجب الله فى صفّيه هذا أن مزمور القداس الإلهى فى ذلك اليوم كان : " فليرفعوه على كنيسة شعبه . وليباركوه على منابر الشيوخ .. "** (٢) بينما كان الإنجيل عن مثل الوزنات(٣) ، كما أن إنجيل عشية القداس كان عن قول الرب : " ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فى السماوات .. " (٤) .

ولقد إمتلأ قلب مكارى السريانى فرحاً بهذه الرسامة إذ وجد فى تدبير الله تحالفاً جديداً وتقارباً باطنياً بين الإكليريكية ودير الأنبا صموئيل القلمونى . واستشعر أن الله سيستخدم هذه الرابطة الروحية وسيلة لمجد إسمه فى كنيسته ولخلاص نفوس الكثيرين . " (٥) .

وبعد رسامته بعشرة أيام فقط عاد الراهب يسطس إلى الإكليريكية - أى فى بداية العام الدراسى لسنة ١٩٤٨ . فعاود عمله التربوى فى هذه الكلية لبنيان من سيكونون رعاة الكنيسة . على أنه ما إن مرت خمسة أسابيع حتى فوجىء بخطاب من القمص مينا المتوحد يستدعيه إلى الدير فوراً تنفيذاً لأوامر البابا يوساب الثانى . فنفّذ الطلب فوراً بكل هدوء ورضى وذهب إلى الدير ليحيا حياة الرهبنة داخله . ولما كان قلبه ملتهباً محبة بكنيسته ، ولما كانت المحبة الحقيقية لا تستطيع إلا أن تعمل ، **فقد إندفع بتلقائية هذه المحبة إلى الخدمة مع زملائه الرهبان فرتّب لهم ومعهم تنظيم الإجتماعات لدراسة التسبحة والكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة فى تأمل وتعبّد .**

وفى ٥ يناير سنة ١٩٤٩ طالب حبيب جرجس القمص مينا المتوحد بإرجاع الراهب يسطس إلى الإكليريكية لمباشرة تعليمه إذ كان قد قضى أثنتين وعشرين سنة فى العمل بها . فحول القمص مينا الطلب على قداسة البابا الذى وافق على طلب حبيب جرجس

---

(١) صار فيما بعد الأنبا صموئيل أسقف العلاقات العامة والخدمات الإجتماعية .
(٢) مزمور ١٠٧ : ٣٢
(٣) متى ٢٥ : ١٥ - ٣٠ (٤) متى ١٨ : ١٨ ، ويجدر بالذكر أن السيد المسيح نفذ بنفسه - له المجد - هذه الموهبة التى منحها لتلاميذه القديسين حين قال لشاول أن يذهب إلى دمشق وهناك يقال له ما ينبغى أن يفعل - أعمال ٩ : ٦ .
(٥) قصة الأنبا صموئيل للمؤلفة ص ٢١ .

بشرط أن يستبدل الراهب يسطس الدير الذى ترهبن فيه بدير آخر . فأقيمت الصلوات الحارّة لهذا الموضوع . واندفع راغب مفتاح بتلقائيتّه وبصداقته الوثيقة مع الأنبا مكاريوس رئيس دير البرموس إلى التشفع فى الراهب يسطس الذى كان يحبه محبة جمة . فذهب هذا الراهب الوديع لمقابلة قداسة البابا الذى أبلغه بأن عليه أن يخلع الزى الرهبانى ويحلق ذقنه ويعود إلى علمانيّته ثم يختار ديراً من السبعة المعتّرف بها . [٦] فخضع بكل هدوء ودون أن يلفظ بكلمة واحدة .

وعـــاد الراهب يسطس المجّرد من رهبته إلى المرور على الأديرة مرة أخرى . وعلى الرغم من توسّط أيــوب فرج عضو بالمجلس الملى العـــام رفض رئيس دير السريان قبوله ، كما رفض الدير المحرق وساطة كامل متى المدرس بالإكليريكية ، [١] وشمل الرفـــض دير الأنبا أنطـــونى مع أن راغب حلمى رئيس جمعية الإخلاص بفم الخليج قد توسّط له .

دخوله دير البرموس :

أخيراً ، وبعد جهود مكثفّة من راغب مفتاح وراغب حلمى وبموَازرة نيافة الأنبا أثناسيوس (مطران بنى سويف سابقاً [٢]) الذى قال صراحة :"إنه حاصل على كل الصفات الطيبة من ثقافة دينية وأدبية ، ومن سيرة حسنة وأخلاق عالية وسمعة فاضلة "قبله الأنبا مكاريوس . فدخل دير السيدة العذراء الشهير بالبرموس، وتمت صلوات رهبنته يوم عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٥١ باسم الراهب أنطونيوس البرموسى . ثم فى ٣٠ أبريل من السنة عينها رسموه قساً ، وفى يوم عيد الميلاد المجيد التالى نال كرامة القمصـــية .

ودأب القمص أنطونيوس البرموسى على العمل فى مجالين : فهو يدرّس بالإكليريكية من يوم الإثنين إلى يوم الخميس ، ثم يقصد إلى عزبة الدير بطوخ دلكة (المنوفية) أيام الجمعة والسبت والأحد . وهكذا كان يؤدى القداس الإلهى كما يؤدى الخـــدمات الروحية داخل الكنيسة وخارجها . وبتلقائية محبته لرب الكنيســـة ولشعبها كان يســـارع إلى تعزية المحزونين ومواســـات المجربّين والسؤال عن المرضى والمعوزين . وكـــان يـــؤدى كل هذه الخدمات الإنسانية

---

(٦) مما يدعو إلى الدهشة أن المجمع المقدس برياسة الأنبا يوساب قرر آنذاك عدم الإعتراف بدير الأنبا صموئيل القلمونى، ثم شاء الآب الرحيم أن يعلن محبته بأن جعل الرهبان يكتشفون عن غير قصد جسد الأنبا بسادة مما جعل هذا الدير الآن ذا صيت واسع .

(١) هو الآن القمص ميخائيل متى راعى كنيسة الملاك ميخائيل بالقوصية .

(٢) هو أصلاً من هذا الدير .

رافضاً أن يأخذ عنها أجراً مردداً قول الرب " . مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا ، " مكتفياً بموتبه الذى يتقاضاه من الإكليريكية . وليس ذلك فحسب ، بل إنه حين وشى به أحد الرهبان عند رئيسهم صمت تاركاً الأمر فى يدىّ الآب الحنون . وبالطبع تداركته المراحم الإلهية فظهرت الحقيقة ، ونتج عن ذلك أن أحبه لأنبا مكاريوس محبة مضاعفة وأقامه وكيلاً للدير وأميناً المكتبة .

وفى ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ وصل القمص مينا المتوحد إلى السدة المرقسية بإسم البابا كيرلس السادس .

البابا كيرلس يحتّم حياة الرهبان داخل أديرتهم :

وفى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٦٠ أصدر هذا البابا الوقور قراراً بوجوب عودة الرهبان إلى أديرتهم باستثناء وكلاء الإيبارشيّات والأديرة والسكرتيرية الباباوية . فترك القمص أنطونيوس الإكليريكية بصمته وطاعته المعتادتين وذهب إلى الدير . ولما أرجعه الأنبا مكاريوس ، بوصفه وكيلاً للدير، رفض البابا الوقور هذا العذر. فظل الراهب الوديع داخل ديره بكل هدوء . وقضى وقته فى التفتيش فى الكتب وفى السهر للصلاة والتأمل.

على أنه لم يمض غير ما يقرب من ثلاثة شهور حتى ذهب القمص إبراهيم عطية مدير الإكليريكية ود . وهيب عطاالله (٣) وكيلها ومعهما هيئة الأساتذة لمقابلة قداسة الأنبا كيرلس راجين منه أن يعيد إليهم القمص أنطونيوس ليعاود تدريس التاريخ الكنسى فيها . فقبل قداسته رجاءهم وأرسل برقية فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٦٠ إلى رئيس دير البرموس فعاد الراهب القمص فى هدوء ليباشر عمله فى الإكليريكية .

ثم حدث أن مرض أخوه القمص عبد المسيح الكاهن بالمحلة الكبرى فى إبريل سنة ١٩٦١ ، فطلبه الأنبا تيموثيئوس ليؤدى الخدمات الروحية هناك إلى أن يتّم شفاء أخيه . ولبّى الطلب . وحينما سمع قداسة البابا إستدعاه على الفور وأمره بالعودة إلى ديره . وهنا أيضاً قابل مدير الإكليريكية البابا الوقور واستسمحه ، وتلبية لرجائه أرسل قداسة البابا برقية فى ٢ سبتمبر بهذا المعنى فعاد القمص أنطونيوس بهدوئه المعتاد إلى الإكليريكية .

ولقد أمتلأ قلب الأنبا كيرلس محبة وتقديراً لهذا الراهب المطيع فى صمت . فعهد إليه بالصلاة فى بعض كنائس القاهرة كما طلب إليه أن يؤدى القداس الإلهى فى كنيسة الأنبا رويس للطلبة الإكليريكية - وذلك فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦١ . ولم يلبث

---

(٣) الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والدراسات العليا الآن .

البابا الوقور أن طلب إليه الصلاة فى كنائس مصر العتيقة وحدائق حلوان والمستشفى القبطى ، وفى كتدرائية مارمرقس التى هى الكنيسة البطريركية . ولعمق محبته كان قداسته يشيد بطاعة هذا الكاهن فى كل مناسبة ويقدّمه مثالاً للكهنة فى قوة الإحتمال والصبر والأدب الجم .

رسامته أسقفاً : وخلا الكرسى الأسقفى لايبارشية المنوفية ، فجعلها الأنبا كيرلس تحت رعاية الأنبا مكسيموس مطران القليوبية - أطال الله حياته - إلى أن تتم رسامة أسقف جديد لها . وكان القمص أنطونيوس آنذاك فى ديره - اليرموس . وفى يوم السبت ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٥ قرأ فى جريدة الأهرام أن قداسة البابا سيرسمه أسقفاً على المنوفية . وعملاً بمبدأ الطاعة الذى سار عليه بلا إستثناء قال لنفسه : " لتكن إرادة الله . فما دمت لم أفكر فى هذه الكرامة إطلاقاً ولا سعيت إليها بالمرة ، وما دمت قد جعلت من نفسى جندياً لخدمة ربى وكنيسته - والجندى يعمل فى أى ميدان يعّين له ، فسأطيع البابا الجليل " . وللفور ذهب إلى القاهرة وقابل الأنبا كيرلس الذى ألبسه الأسكيم المقدس لساعته ، وأتمّ رسامته فى صباح اليوم التالى : الأحد ١٩ سبتمبر بإسم البطل الحامى للأرثوذكسية ديسقورس .

عمله الراعوى - ومع أنه نال هذه الكرامة العليا وهو فى الستين من عمره فقد بدأ على الفور يعمل بهمة الشباب فطاف على القرى واحدة ، واحدة وتمشّى بين الحقول باحثاً عن بيت واحد يمكن أن يكون تائهاً فى وسطها . بل زاد على ذلك **بحثهعن أى فرد مغمور وسط الجماعات** . ولقد توسّم فيه البابا كيرلس - بشفافيته العجيبة - هذا الدأب بلا كلل ، فقال للوفد المنوفى الذى كان قد ذهب للتحدّث إليه بخصوص رسامة أسقف لهم : " أنا يا ولادى من المنوفية . ولى صوت زيكم . فأنا عارف المنوفيين كويس علشان كده حابعت لكم واحد يعرف يركب الحمار ويلف " .

ومع مرور الأنبا ديسقورس على القرى والكفور ، ومع إفتقاده للأفراد ، كان يقيم القداس الإلهى يومياً ليستمدّ من هذه الخدمة الروحية العظمى ومن سر التناول للقُدْسات القوة والعزيمة اللتين بهما يمضى فى عمله المضنى بهمة ونشاط . وكان يحرص على هذه الصلوات وهذا التناول إلى حد أنه حين وصله نبأ إنتقال زوج أخته فى مساء الخميس وأن الدفنة ستكون صباح الجمعة ، نزل نيافته فى السادسة صباحاً من ذلك اليوم ورفع القداس الإلهى وإستمتع بالخبز السماوى ثم خرج فى السابعة والنصف قاصداً إلى بيت أخته . **فلم تقف العواطف الإنسانية ، على الرغم من تدفّقها ، عائقاً أمامه** مانعة إياه من زيادة التقّرب لربه .

وفى غمرة خدمته للشعب وجهّ إهتمامه إلى الكهنوت ، فألّف مجلساً إكليريكيا لإيبارشيته يتكّون من القمص أنطونيوس إبراهيم رئيساً ، القمص صموئيل حنا نائب الرئيس ، القمص داود حبشى سكرتيراً ، القمص باسيليوس عبد المسيح أميناً للصندوق ، القمص بطرس قسطندى والقمص صرابامون والقمص أثناسيوس يوسف أعضاء . وكان قد سبق فرسم إثنى عشر كاهناً ضم إليهم ثلاثة رهبان كهنة . وأول هؤلاء الثلاثة هو الراهب القمص يؤنس البرموسى الذى أقامه سكرتيراً للمطرانية .

ومن نعمة الله عليه أن صدر فى عهده قرار جمهورى ببناء كنيسة بإسم مارجرجس فى بزكة السبع ، وأخرى بإسم السيدة العذراء بقرية زوير ، وثالثة بإسم السيدة العذراء بقرية متيل دويد . كذلك جدد عدداً من الكنائس وهى : كنيسة السيدة العذراء بشبين الكوم ، وأنبا تكلا بأشمون ، والسيدة العذراء بسبك الأحد ، ومارجرجس بجريس وأخرى بإسم القديس العظيم نفسه فى مم .

ومن مآثره أنه أنشأ بيتاً للشمامسة بشبين الكوم . ثم باستعادة إقامة الصلوات بالمذبح المنتقل (١) لكى يستطيع به أن يصل إلى القرية التى ليس بها غير بيت قبطى واحد . وكرّس شقة ككنيسة فى الباجور وغيرها فى كل من بركة السبع وزنّارة وكوم الضبع . كما أنه فى عهده تم إنشاء بيت الوقف بشارع عرابى فى شبين الكوم .

مؤلفاته :

ولقد وضع هذا الخادم الصبور أربعة كتب فى التاريخ هى :

١ – حياة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ،

٢– موجز تاريخ المسيحية لغاية القرن الرابع ،

٣ – مذكرات موجز تاريخ المسيحية إبتداء من القرن الرابع إلى عصرنا الحالى ،

٤ – كتاب عن دير السيدة العذراء برموس . **وفى الطقس سجّل القداس الكيرلسى الذى كان مولعا به إلى حد أنه كان كثيراً ما يترنّم به عند** إقامته صلوات القداس الإلهى . أما فى العقيدة فقد كتب :

---

(١) هو لوحة مربعة من الخشب يتوسطها نقش بارز لقربانه ، وتتزين كل من زواياها بإسم السيد المسيح ، وتقام صلوات تكريسها فيستطيع الكاهن بواسطتها أن يقيم القداس الإلهى فى أى مكان يراه مناسباً .

١ – عن سر الزواج ٢، – نبذة عن البركة ٣، – نبذة عن التجسّد الإلهى وإمكانيته وضرورته ، ٤ – نشر كتاباً يتضمن الحوار بين الأنبا يوساب ابن الأبح [(٢)] وبين أحد المواطنين فى التثليث والتوحيد .

استعداده للرحيل :

لاحظ عليه أحباؤه الكثيرون مدى إستعداده للإنتقال من هذا العالم . فحين كانوا يدعون له بطول العمر يمسك بشعره الأبيض ويقول : " إن الحقـول قد ابيضت للحصاد " . وزاد على ذلك أنه تقدّم بطلب إلى مدير الشئون الصحية بالمنوفية فى أول أبريل سنة ١٩٦٧ يرجو فيه التصريح بدفن جثته فى كنيسة مارجرجس بشبين الكوم ، وقد جاءه الرد بالموافقة على طلبه هذا فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٦٩ . تم بدأ فى سنة ١٩٧٤ ببناء مقبرته وباشر بناءها بنفسه . وحدث ذات صباح ، وهو فى المستشفى بشبين الكوم ، أن أراد الطبيب المعالج كتابة أدوية جديدة له ، فقال نيافته : " يا دكتور – أنا شايف إن الوضع مافيش فيه فايدة . فبلاش الدوا ووفر الفلوس للمطرانية والكنيسة . " وحدث أنه كان قد أشترى برنساً جديداً للتقديس قبل إنتقاله بقليل ، فقال لأخته : " لما أموت أدفنونى فى البرنس القديم . والجديد ده أعطوه لقداسة البابا علشان يدّيه للأسقفية. اللى حايجى بعدى " .

ومن العجب بمكان أنه حين زاره د . شاكر باسيليوس عميد الكلية الإكليريكية ، وكان قد بدأ يُحتضر ، رجا منه أن يرســـل له الإكليريكيين لرسامتهم و تعجب زائره وقـــال : " حتى ساعة موته لا ينسى إيبارشيته " .

وفى الساعة الثانية والربع من بعد ظهر الثلاثاء ، فى ٤ مايو سنة ١٩٧٦ ، تنيح بسلام

من أجندة الأنبا ديسقورس – ولدقته فى العمل ، ولحرصه على المواعيد ، سجّل فى أجندته ما يلى :

١ – الخدمة فى صدفاً فى يوليو سنة ١٩٤٠ ، ٢ – الوعظ فى المنيا وبنى مزار فى أغسطس سنة ١٩٤٣ ، ٣ – وفى القنطرة تشرق فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ ويونيو سنة ١٩٤٧ ، ٤ – وفى بور سعيد فى إبريل سنة ١٩٤٥ ، سنة ١٩٤٧ ، وفى طوخ فى مايو سنة ١٩٤٧ والسويس فى ٣٠ مايو سنة ١٩٤٧ وفى الإسكندرية فى يونيو سنة ١٩٤٧ . أما شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ فقد قضاه متجولاً فى بلاد فلسطين وهى :

القدس . اللد . أريحا . عين كارم . الخليل . حيفا . كفرناحوم والناصرة .

ونرى من هذه الخدمات أنه سار على التقليد الأبوى الأصيل فى الوصول بخدمته خارج حدود مصر .

---

(٢) كان أسقفاً لجرجا فى عهد الأنبا يؤنس الثامن عشر البابا المرقسى المائة والسابع – من سنة ١٧٧٠ – ١٧٩٧ م ، راجع سيرته فى جـ ٤ من هذا الكتاب ص ١٦٠ – ١٦٧ .

مواهبـه :

لقد شاء رب الكنيسة أن يمنح الأنبا ديسقورس ، من بداية حياته ، وزنات عديدة عرف أن يتاجر بها ويربح . ولنتأمل هذه الوزنات على ضوء ما استعرضناه لحياته لتعرف مدى مكاسبه . فهو كان أولاً وآخراً رجل صلاة ، لا يكتفى بصلاة المخدع بل ينهض يومياً لتأدية القداس الإلهى من اليوم الذى نال فيه كرامة الكهنوت إلى ما قبل نياحته بقليل حينما أعجزه المرض عن مغادرة فراشه .

كان شـديد الحرص على المواعيد يحافظ عليها بمنتهى الدقة حتى مع أصغر أولاده . كذلك كان بطىء الغضب سريع الصفح ينطبق عليه قول رب المجد " طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعانيون الله . "

ولقد بلغ به التواضع حداً جعله يجلس إلى أصغر الناس ويصغى إليهم بالإنتباه عينه الذى يوليه للأكابر . ولأول مرة يرى شعب المنوفية باب الدار المطرانية مفتوحاً ليلاً ونهاراً لجميع من يقصدون إليه . بل لقد كان يقول : " نحن الضيوف وأنتم أصحاب البيت . فلا تترددوا أبداً فى المجىء إلينا . "

ظل على نسكه وتقشفه وقناعته طيلة حياته ، فلم ينسَ إطلاقاً أنه راهب . وكان يوزّع كل ما يأتيه . وعند الإقتضـاء يوزع ملابسه الخاصة على أبنائه الكهنة المحتاجين . فأنكر نفسه تماماً فى تذكّره للآخرين مردداً قول فاديه الحبيب " ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه " .

ومن نعمة الله عليه وعلى كل من سمعه أن منحه صوتاً جمع بين القوة والعذوبة – كثيراً ما استخـدمه فى الترنّم بالقداس الكيرلسى . فهذا القداس هو المصرى الأصيل الوحيد .

إذن فـالأنبا ديسقورس شـاهد بحياته وبـأعماله على عناية الآب السماوى بكنيسته فى كل عصر (١) .

٧ – ومرة أخرى – مصر :

مقدمة :

إن التأريخ لمصر المسيحية هو قصة من الإنتعاش الذهنى والمخاطرة الروحية ، تتخلله فترات من المآسى الشـخصية والصراع السـياسى الذى كان يتخذ أحـياناً ما شكل حرب نظامية .

---

(١) عن نشرة أصدرتها مطرانية المنوفية يوم الأربعين لنياحته .

وابتداء من الأنبا ديونيسيوس [١] نرى الباباوات المصريين فى مكانة مزدوجة تبأوها لخمسة قرون وأدوا مهامها بمعرفة ومهارة : **كانوا أساقفة عظماء فى الكنيسة الجامعة وزعماء روحيين وقوميين لمصر .**

ولقد رأى الأنبا أثناسيوس الرسولى فى الأمبراطور قسطنطيوس الأريوسى المسيح الدجّال . ومن المتيسّر أن نسمع من خلال هذه النظرة صوت الوطنى الصميم المترابط بالكهنوتىّ الضليع . **وهذه النظرة الرابطة للقومية الأصيلة بالحرص على العقيدة هى السِمة التى تميّز بها جميع الباباوات المصريين من البداية إلى الآن . وعلى الأخص متى وضعنا نصب أعيننا أن مصر كانت – ولا تزال – موطن الأرثوذكسية الأصيلة . وهى فى الوقت عينه موطن الرهبنة التلقائية** . ومن أهم معطيات الرهبان المصريين للكنيسة الجامعة تفهمّهم العملى للمعنويات ولعلم النفس وللفرح الروحى . وقد أنمى آباؤهم هذا التفهمّ فى تقاليدهم وتعاليمهم المتسمة بالتعقّل والإتزان .

أ – وجدير بنا أن نوجّه إنتباهنا إلى الكنائس الإقليمية لما تتميّز به من أيقونات السيد المسيح والقديسين بشكل حى مع بساطة الأسلوب القبطى [٢] . فيزين الفنانون جدران مثل هذه الكنائس بالقديسين المذكورين فى الصلوات . وهنا أيضاً قدمت مصر هبةً فنية للعالم المسيحى بما أنتجت من الزخارف الرقيقة والتفاصيل الدقيقة . ثم أمتدت لتعطى هذه الناحية الفنية للفن المصرى الإسلامى . **والأثر المصرى ، إن لم يكنْ الإنجاز المصرى بالفعل ، واضح وضوحاً بارزاً فى إنتاج فنى رائع يرجع إلى القرن السادس – وهو الكرسى الأسقفى لكتدرائية راڤينّا (بإيطاليا)** . ويتزين هذا الكرسى بأشخاص يوحنا المعمدان والبشيرين الأربعة ، وبسلسلة من المناظر المأخوذة عن حياة السيد المسيح وحياة يوسف البار . ومن الطريف أن يوسف يرتدى الشارات المميّزة للإله سيرابيس [٣] ، لأن المصريين أعتبروا حياة هذا البار فى مصر رمزاً إلى إنتصار السيد المسيح بزيارته لوطنهم وهو طفل ، ثم تحقق هذا الإنتصار نهائياً بقبولهم الإيمان المسيحى وسقوط سيرابيس .

---

(١) راجع سيرته فى حـ ١ من هذا الكتاب ، الفصل المعنون "معلم مسكولى" .

(٢) ليتمعن القبط هذا الوصف لفنّهم مقابل الصور التى يتبارون على شرائها ووضعها فى كنائسهم اليوم .

(٣) كان سيرابيس إلهاً يونانياً فهو دخيل يتساوى مع المحتلّين السياسيين ، راجع حـ ١ من هذا الكتاب ، الفصل المعنون " يتيم من ممفيس يعتلى السدة المرقسية ".

وإننا لنجد أنه حتى الكنيسة فى أية قرية كانت محل العناية الدافقة للمحبة . وهذا ما يشهد به الأسقف بيسيوس لكنيسة " إيبيون " [(٤)] . ويرجع تاريخها على الأغلب إلى القرن السادس . وكل ما كان لدى هذا الأسقف ثلاثة كؤوس وصينية واحدة – والكل من الفضة ، " وبروسفرينان " [(٥)] مزيّناً بخطوط فضية ، بينما كان المذبح من الرخام القائم على أربعة أعمدة من البرونز . كذلك كان عنده ثلاثة وعشرون مفرشاً ، ومصباحان من الفضة وثمانية مصابيح من البرونز . وفوق هذا كله كان لديه واحد وعشرون كتاباً من الرقوق وثلاثة من ورق البردى .

والفن كالقداس الإلهى ، كلاهما يعكسان الحضرة الإلهية . وحضرة القديسين [(١)] . ولأن القبط يعلنون فى صلواتهم : " إذا ما وقفنا فى هيكلك المقدس نحسب كالقيام فى السماء .. " فقد إتخذوا من البداية عادة إطلاق أسماء القديسين على كنائسهم " .

ومن أعمق ما جاء عن الأسقف بيسينثيوس[(٢)] – أسقف قفط – حين ذهب لزيارة القديس ابيفانيوس فى ديره ، أن انضم إلى الحديث معهما شخص ثالث هو القديس بولس الرسول .

وإنه ليمكن إتخاذ دير الأنبا مكارى الكبير رمزاً لتاريخ الكنيسة المصرية فى شامله . فتقاليده تعود إلى الجماعات التى أسسها هذا القديس نفسه فى أواخر القرن الثالث . ومع تعرضّه أحياناً لبعض الخلافات الداخلية ، وبالأكثر للهجمات الخارجية ، فإنه لم يفقد إستمراره [(٣)] . وفى القرون الوســـطى أحاط سور

---

(٤) هناك عدة قرى كانت تحمل هذا الإسم فلم يعد من السهل تحديدها .

(٥) " البروسفرين " هو المفرش الذى يغطى به الكاهن الخديم كرسى الكأس والصينية ، ويمتد من شرق المذبح إلى غربه . ثم يرفعه عند قول الشماس " قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة " . وجدير بنا أن نعرف أن آباءنا كانوا يخيّطون جرساً صغيراً فى كل ركن من أركان الصليب الكبير الذى يتوسّط البروسفرين ، وجرساً وسط كل صليب صغير فى أركانه الأربعة ، وذلك رمزاً إلى الزلزلة التى حدثت عند قيامة رب المجد – ألا يجدر بنا إستعادة هذا التقليد الجميل ؟

(١) ومرة أخرى ليتفحّص القبط المعنى الأصيل للأيقونات .

(٢) راجع ما جاء عنه فى حـ ٢ من هذا الكتاب ص ١٧٥ – ١٧٨ .

(٣) من روائع الأدلة على عجب الله فى قديسه مكارى الكبير الحادثة التالية : فى سنة ١٩٦٩ لم يكن بالدير غير خمسة رهبان أصغرهم بلغ سن السبعين فجلسوا ذات مساء يعاتبون القديس ويسألونه إن كان راضياً عن أن ديره سينغلق بعد فترة قصيرة : وبعد أسبوع من هذا العتاب أرسل الأنبا كيرلس السادس الأب متى المسكين وصحبه ليتسلموا تقاليد الحياة النسكية ويعمروا الدير .



أيقونة تزين كنيسة السيدة العذراء بفايد

(على شاطىء قناة السويس)

عال بالقلاى المتجاورة حرصاً على حياة النساك من غزو القبائل المتاخمة . وبذلك تحوّلت جماعة النساك إلى حياة الشركة .

وعلى هذا النمط عاشت الكنيسة خلال فترات الإضطهاد بأن إنطوت على نفسها (٤) .

ب – معمودية الماء والدم :

وثمة دفعة ثالثة تساند الفن والشعائر اللتيورجية ، بل هى تقف منهما موقف الأساس للبناء : هذه الدفعة هى الإستشهاد إذ قد إعتبره المصريون " معمودية الماء والدم " . ومن هذا المنطلق فالاستشهاد إمتداد للذبيحة العظمى حيث جرى ماء ودم من الجنب المطعون . **وهناك موضوعان لهما أهمية خاصة فيما يتعلق بالإستشهاد وهما: الروح القدس والفرح . فالآباء فى كتاباتهم يتحدثون عن التعذيب والفرح ، عن المخاض الملازم للحياة الجديدة مقترناً بالمجد وبنعمة الروح القدس** . فالأنبا أثناسيوس الرسولى والأنبا كيرلس عامود الدين والأنبا ديسقورس الشهيد بغير سفك ، هؤلاء وجميع الذين ثبتوا فى وجه الطغيان البيزنطى متهللين لأنهم حسبوا أهلاً لأن يهانوا من أجل الإسم القدوس ، وقد صاروا منارات ساطعة للشعب الذى تغانى فى ولائه لهم ورضى بأشنع العذابات فى سبيل العقيدة الأرثوذكسية . وبهذا الصمود نالوا النصر من رب الكنيسة فاقترن فى حياتهم الهوان والمجد ، وجعلوا من مصر معقلاً للإيمان القويم .

وإلى جانب الباباوات وقف القديسون أنطونى ومكارى وباخوم وأمثالهم . والشعب حين يذهب لزيارة أديرتهم لايذهب لزيارة قبور صمّاء ، ولا للتواجد فى أماكن شاهدة على مجد الإنجيل ، ولكنه يذهب ليقدّم تكريمه لقديسين أحياء ، وليتأمل وجوههم التى تشعّ سلاماً ، وليتفكّر فى تعاليمهم البنّاءة .

وإن النسك والإستشهاد – كلاهما – إستمرار للمعركة التى قادها السيد المسيح ضد سلطان هذا العالم . فالإستشهاد هو النصر الأكيد الذى تحقق . والنسك هو النصر الذى مازال يصارع فهو بالتالى ذو سِمة مسكونية . لأن الناسك لا يصارع الشهوات مباشرة بل هو يصارِع الشيطان وقواته – أى أنه يتمثّل بربّه فى مقاتلة قوات الظلمة . ولهذا السبب عينه فأهم ما يبرز الخلاص فى الشعائر الخاصة بإلباس الشخص ثوب الرهبنة هى الموضوعـــات المتعلقة بالخادم ويتوقّع الدينونة ، والصحراء ،

---

(٤) إدوارد روتشى : " مصر المسيحية – الكنيسة والشعب " (بالإنجليزية) ، نيويورك سنة ١٩٥٢ ، ص ١٩ و ١٧٢ – ١٧٤ ، ١٩٠ .

والشيطان الذى يتجوّل زائراً يريد من يفترسه . فحياة التقشّف وحمل الصليب كل يوم تجمع هؤلاء النساك بالمحبة والوداعة الفرحة [1] .

جـ - تجاوب الأصداء :

قام المستشرق الألمانى بومستارك بدراسة غاية فى الأهمية للثيئوتوكيات مع توجيه إهتماماً خاصاً بالقسم المتعلق بوالدة الإله ومعناه السلام لوالدة الإله الفَرِحَ ، [2] وهى القطعة الثالثة من ثيئوتوكيا يوم الثلاثاء . ويرى هذا المستشرق صلة بين النص فى أساسه وبين نص فى بردية ترجع إلى القرن السادس [3] ، **ويتشابه هذا النص بما ورد فى الشعائر المقدسة الشائع إستعمالها فى ميلانو (بشمال إيطاليا) .** ويرى المستشرق الألمانى فى هذا التشابه الأثر القبطى على الصلاة الإيطالية . ثم إن المخطوطات التى عثر عليها المستشرق الأمريكى إيفلين وايت فى دير الأنبا مكارى الكبير وأودعها المتحف القبطى بمصر العتيقة تتضمن شذرات متنوعة من الثيئوتوكيا تتشابه والثيئوتوكيا ٢٢٠ المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس . **وكل هذه الثيئوتوكيات المخطوطة تختلف كثيراً عن المطبوعة ، وهى فى الوقت عينه تحتوى على مقدار كبير من المعلومات الجديدة المنعشة المسجلة على شكل الدوكصولوجيات .**

أما المصرولوجى الإنجليزى سايس ، ففى دراسته للفولكلور الصعيدى ، يشير مراراً وتكراراً إلى التقاليد القبطية **وإلى إستمرار الترانيم القبطية بين الفلاحين لغاية منتصف القرن التاسع عشر** على الرغم من أنهم لم يكونوا يفهمون معانيها . وإلى جانب سايس يقف القبطولوجى كروم الذى ترجم مخطوطات وادى سرجة ، وهى تتألف من ثلاثمائة وخمس وثمانين وريقة ترجع إلى مابين القرنين السادس والسابع . ومع أن بعضها نصوص من الكتاب المقدس ، وبعضها ليتورجى إلا أن هناك بعضاً منها خاص بموضوعات سحرية وطبية ورياضية [4] . .

---

(١) موريس دى فنوبل : " الشـعائر القبطية " (بالفرنسية) ، المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٠ ، ص ٣٠ و ٣٧ و ٤٧ . ⲁϥⲭⲱϣⲧ ⲉⲡϣⲱⲓ ϣⲉⲣⲉ ϯⲙⲁⲥⲛⲟⲩϯ ⲡⲓⲃⲁⲗⲗ

(٢) جـدير بكـل من ركزّ على صـورة العـذراء الحـزينة أن يتمعـّن نظـرة آبائنا إلى أنها " الفرح " .

(٣) محفوظة بمكتبة المتحف البريطانى .

(٤) دى لاسى أوليرى : " مـراجع مصر المسيحية من سنة ١٩٢٢ - سنة ١٩٣٨ ، نقلا عن مجلـة الآثـار المصـرية (بالإنجليزية) جـ ٨ ، القسمان ٣ و ٤ ، أكتوبر سنة ١٩٢٢ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ و ١٨٦ و ٢٣٢ .

د – واحة البجاوات (٥) :

وتشهد الكنائس المتبقية فى هذه الواحة للفن القبطى . ففى إحداها تحتلّ الرسومات المختلفة كل جدرانها فتغطيها بأشكال من " الأرابيسك " ، تتلاعب فيها الألوان المتباينة . وكل قطعة تبدو كأنها رُسمت **بمفردها على الرغم من تلاصقها ببعضها البعض . فالمقاييس تختلف ، والألوان تتباين ، والنسبة تتغير من قطعة إلى** قطعة . ومع ذلك ففيها كلها زخرفة شاملية تسبى العقل وتجذب القلب . وقد يرجع ذلك إلى سذاجتها وتلقائيتها ، أو إلى أنه واضح بأن الفنان لم يهدف إلى إستثارة الإعجاب .

والزخــــرفة التى تتوسطها الشخصيـات تحتل عادة الجزء الداخلى من القبة وجدران صحن الكنيسة . أما الزخارف المجردة فتحتل الأجزاء السفلية من الجدران . وبعض الأشخـــــاص يرتكنون على قـــواعد أو على مساند، على أن الزينة الزخرفية هى الأكثر وجوداً .

وهناك موضوعات مأخوذة عن الوثنية الماضية . ولكنها متمازجة مع أشخاص القديسين ومع الموضوعات الواردة فى العهدين القديم والجديد . كما أن الميل إلى تصوير الأنبياء والشهداء والمتوحدين على وتيرة واحدة ظاهر . إلا أن الوقار والهدوء يسودان هؤلاء الأشخاص كما يبرزان حتى من الزخرفة المحيطة بهم .

كذلك تبقّت كنيستان جنائزيتان من أشيق وأعجب الآثار القبطية . ففى داخل قبة إحداهما سلسلة من المناظر الرمزية ملقاة كأنها عن غير قصد على خلفية بيضاء ناصعة : تتخللها فروع الأشجار ينشد من فوقها بعض العصافير بينما ينقّرها البعض الآخر . ويبدو أن هذه الزخرفة ترجع إلى القرن الرابع على الأكثر . أما قبة ثانيتهما فتحيط بها دائرتان مزينتان بالأكاليل وبفروع الأشجار . والكل يتخلله أشخاص لهم مكانتهم . وبعض هؤلاء الأشخاص تجسيد للفضائل ، وغيرهم مأخوذ عن الكتاب المقدس . **ونرى الأثر الفرعونى واضحا فى أنهم جميعاً يقفون جنباً إلى جنب من غير فواصل إطلاقاً (١) .**

---

(٥) راجع ما جاء عنها فى جـ ١ من هذا الكتاب ص ٤٥٦ – ٤٦١ .

(١) قاموس الآثار المسيحية (بالفرنسية) جـ ٤ القسم الأول ص ٣٦٣ .



« الأب أرميـــا »

رئيس دير للرهبان بسقارة فى القرن السادس

هـ - تأصيل القومية المصرية :

من الجميل أن الجنس المصرى قد حرص من جيل إلى جيل على التراث الذى تسلموه من مصر الفرغونية ، وبهذا الحرص حفظ العبقرية القومية . وبه أيضاً تمكّن من الإستغناء عن المؤثرات الغربية إلا بمقدار إستيعابه لها تبعاً لمزاجــه الخاص . فالمصريون حافظوا على وديعتهم بالولاء اللامتغــير المتجانس مع نيلهـــم .

والمصرى ، فى سخريته وتشككه بالحكام السياسيين ، إعتبرهم معتدين متجنبين يهادنهم ويصفق يوم إرتحالهم . **ومقابل التعسّف فى الضرائب أبدى إحتمالاً يكاد أن يكون لامحدوداً . ومقابل التدخّل الدينى صمد فى رسوخ الجبال . وبهذه الصفات إزدهرت المسيحية القومية** . وبهذه الصفات عينها أبدع فنّه . وهذا الفن القبطى يميل إلى التباعد عن الملاحظة المباشرة وعن النماذج المحسوسة **ليضع مكانهما الزخرفة الخيالية المذهلة : زخرفة فائضة ثائرة !** وهذا الفن أيضاً لا تعوزه المرونة المقترنة بالدقة . **فالفنان القبطى يمتلك تشكيلات لا نهائية تنبع من إندفاعاته الباطنية .**

ولقد عمرت الأديرة على الدوام بالرهبان الفنانين الذين حرصوا على رسم ضابط الكل والسيدة العذراء والقديسين والملائكة . **وهذا الفن القومى الصميم قد إكتسب حيوية وقوة مكنتّه من إثبات إستقلاله .**

وإن أيقونة الأنبا أرميا هى إنجاز عجيب إذ ينتصب أمامنا - فى هزاله وثوبه البالى - راهب قضى السنين الطويلة فى تنسكه . والخلفية ليست أقل عجباً فى ولائها للحقيقة وفى الطلاء المطلية به . إنها تقدّم لنا نعومة مذهلة ورنيناً هادئاً : علامتين على عنف الحياة النسكية . فهذه الأيقونة ميزان صادق للمكانة الرفيعة التى نالها القديسون على أيدى الأيقونوغرافيين القبط (١) .

٨ - فى مدرسة الأسكندرية :

أ - صحيح أن مدرسة الأسكندرية قد ذاع صيت علمائها عن جدارة ، إلا أن هناك ناحية أخرى لهذه المدرسة لا تقل سطوعاً ولو أنها مجهولة إلى حد بعيد . **هذه الناحية هى الفن الذى إنبعث منها مصرياً صــافياً .** فنحن نرى ، وسط

---

(١) قاموس الآثار ... (بالفرنسية) جـ ٤ القسم الثانى ، ص ١٢٥١ ، ٢٥٢٦ ، ٢٢٥٠ .

تجمّع الحكماء ، إهتزازة التجديد . لأن النفس ، بعد أن تحررت من نير الشهوة المادية التى ضغطت عليها منذ مجيء الأسكندر الأكبر ، **إنطلقت بتلقائية نحو حلمها الأسمي : نحو التأمل فى نشوة خانقة إلى اللامادية** . فقامت مدرسة روحانية بكاملها . ثم إنتقلت إلى منطقة طيبة حيث إزدهرت وأينعت . **وبعدما دخل الإسلام مصر كان القبط هم الذين بنوا الكعبة ضمن أول مسجد إسلامى بالجزيرة العربية** . كذلك كانوا بناة المساجد الأولى فى مصر وفى دمشق وحلب . والمصريون هم أيضاً المعماريون والرسّامون والمثّالون فى عصر هرون الرشيد . **إنهم بنوا هذه المساجد بولاء حتى لكأنهم جعلوها أعجبة من الدانتيللا ، ونحتوها كأنها ورود مزدهرة** . وهكذا . وفى ثلاث مراحل ، تجسّدت الباطنيّات للطبيعة المصرية فى عقيدة متباينة ظاهرياً ، ولكنها فى خبائلها متابعة الفرد للمثل الأعلى الذى يهدف إليه . ومن خلالها أيضاً تابع تأملاته وباطنيّته ونظرياته عن اللامادى – هذه التى تتآلف منها شخصيته . **والفن الذى هو المفسّر لكل هذه النزعات ، مع إستيعابه المراحل الثلاثة ، ظل أميناً للوحى الذى يستلهمه ، ظل مستقلاً مسيطراً على شخصيته الخاصة** ، لا يستعير شيئاً مما يدور حوله . إنه لا يستجدى شيئاً : لا من أثينا ولا من روما ولا من بلاد فارس ولا من بيزنطة . بل إن العكس هو الواقع – فهؤلاء جميعاً جاءوا يستقون من نبعه . **وهذه السيطرة العالمية التى لم نستطع أن تمارسها مصارف الأسواق اليونانية ولا جيوش القياصرة من بعد الأسكندر فرضها الفن القبطى مدى أجيال على إمبراطورية الشرق وإمبراطورية الغرب سواءً بسواء** . بل إن التحكّم السياسى لم يستطع أن يطفىء الشعلة القومية . **ففى الصحراء بزغت نبتة من الغرس القديم وإزدهرت – تغذيها قوة جديدة وتزينها بزهور نضرة إنتشر عبيرها فى خارج مصر** . ولقد بلغت قداسة حياتهم وصراعهم الروحى مبلغاً شاسعاً حتى أن مجرد ذكر كلمة " آباء الصحراء أو " نسّاك طيبة " تثير فى الحال داخل النفس نشوة فوارة تهتز أمام العمم المتسامية وأمام صراع يعلو فوق الإمكانية الإنسانية .

كما كان المعبد الفرعونى مركزاً للحياة فى مختلف مظاهرها هكذا إنتصب الدير الأبيض الذى تمتّع بمكانة ممتازة منذ أن شيّده الأنبا شنودة رئيس المتوحدين إلى أن خرّبته الحرب التى إندلعت بين المماليك وبين جنود

نابليون . على أن كنيسة الدير مازالت باقية . وهى تتضمن جزئين متباينين كل التباين : العالم الخارجى والسماء . أما السماوى فهو الهيكل ، وأما العالم الخارجى فهو باقى البناء .. **والإنشغال الذى يستحوذ على الفنان ويرتفع به على كل فكر آخر هو أن يبرز فى جلاء عقيدته التى ملكت عليه قلبه** . وعلى هذا الأساس كان من المنتظر أن يسطع الصليب وسط كل إنتاجاته . إلا أنه من العجب العجاب أن الصليب المجيد لم يسيطر على فكره بوصفه العلامة المعزية للإنسانية المتألمة ، ولا يكونه التعبير عن الإستسلام للإرادة الإلهية ومحبة القريب . **ولكن الذى سيطر كان صولجان السيد المسيح الملك ، علامة سلطانه الملكى على كل ملوك العالم ، وشاره ضبطه للكل – هذا الصولجان هو ما إتخذه الفنان الذى زيّن كنيسة الدير الأبيض ، وقد رسمه داخل أطار من العظمة والأبهة ومما لا شك فيه أن المؤثرات الفرعونية هى التى ملكت خلال هذا الفنان فجعلته يتجه هذا الإتجاه فى تقديم فاديه الحبيب لكل من يقصد إلى الكنيسة .**

.... والشكل الكثير الأضلاع خاص بمصر ، فليس له وجود فى أى فن قديم على الإطلاق ، فمصر وحدها هى التى تميّزت باستخدامه لتزين كنائسها وتتزين واجهة كنيسة الدير الأبيض بهذه الأشكال ذات الأضلاع المتعددة تتشابك وتتداخل فى تناغم عجيب . وهذه الأشكال المتناغمة تزيّن كل الجدران من الخارج .

وأن الشكل المتعدد الأضلاع هو الميزان الدقيق ، إن لم يكن الميزان الفريد ، لهذا الفن التأملى التطلّعى . إنه الومضة المعبّرة عن الروحانية والشعاع البهير للباطنية . فالفنان ، بهذه الوسيلة ، يجسّد مفهوماً دينياً لا إسم له ولا شكل مع كونه إختباراً متشاركاً بين جميع النفوس الصافية . وبهذا الوضع دخل ضمن سلسلة كل تلك المعتقدات التى يتألف منها التراث الروحى لكل من لازمتهم العقيدة بأوزوريس وإيزيس ودع ثم بالمسيحية ، وصار أكمل تعبير عنها . ومن هذا الواقع كان فن الأشكال متعددة الأضلاع هو التفتّح للمسيحية المصرية . (١)

---

(١) قاموس الآثار ... (بالفرنسية) حـ ٤٠ ، القسم الثانى ، ص ٤٠٥ .

والعاج أيضاً كان ضمن ما إستخدمه الفنان القبطى ، بل والعظم كذلك ولقد كشف التنقيب فى المدافن حول الأسكندرية فى أيامنا هذه عن عدد وفير من الألواح الصغيرة المصنوعة من العاج أو العظم . وبدراسة هذه الألواح وصل الباحثون إلى نتيجة حتمية واحدة . هذه النتيجة هى أن **الفنانين الغربيين** طالما نقلوا الفن بحذافيره عن الشرق الذى عاشوا فيه . صحيح أنها كانت عيشة مستعارة ولكنهم على الأقل كانوا عائشين . **ومنذ أن إنقطعوا عن متابعة الحركة الفنية الآتية إليهم من الشرق إنتهت حياتهم بالركود .**

وكلما إزداد البحث وإزداد التعمّق لهذه الآثار وجد الباحثون أنفسهم مضطرين إلى أن يسحبوا من الغرب فخار إنتاجه للعدد الوفير من الإنجازات الفنية التى ظل الكثيرون يزعمون أنها من إبتكاراته بلا منازع . وأبرز مَثَل هو الكرسى الأسقفى فى كتدرائية رافينا (٢) إذ رأى الباحثون فيه إنتاجاً مصرياً . وهو ليس بالمثل الوحيد ، **بل إن الصندوق الصغير المحتوى على كنز كنيسة تريف (٣) يتشارك معه مصريته** – وهو من العاج ، كما أنه من أهم الآثار فى دراسة الصلات التى كانت ما بين الأسكندرية وبيزنطة . وهناك لوحة عاجية من النحت البارز **محفوظة بمتحف اللوفر** تشهد صراحة بأنها إسكندرية . كذلك يغلب الظن على أن اللوحات العاجية العجيبة التى تزين الكرسى الحامل لإسم مارمرقس **والمحفوظ حالياً بمتحف كاستللو فى ميلانو** هو أيضاً من مدينة الكاروز الكبير . وتتّسم هذه اللوحات بالسمات المميّزة للإنتاجات المصرية ، وهى العوارض البارزة فوق عتبات الأبواب وجوانبها . وأجمل قطعة فيها لوحة تحمل جزءً من الصلوات الجنائزية . وهذه اللوحة هى الآن ضمن **مجموعة « تريفوليتشى بميلانو »** . وقدّ أدّى بحث المستشرق الروسى أينالوفا إلى الكشف عن تفاصيل دقيقة تشير كلها إلى أن مصدرها هو الأسكندرية ، كالأجنحة الستة للحيوانات غير المتجسدين ، ودعوة زكا المنحوتة فوق باب القبر . وفوق هذا كله **فشخصية الصورة المنحوتة والجمال الهادى وتناسب الوجوه وبساطة الوقفات بل حتى بساطة الحركات العنيفة – كلها تبرز التجسّيد الفنى الإسكندرى فى روائه كما تعلن أنها من القرن الرابع** . ثم إن اللوحات العاجية الأربع المحفوظة بـالمتحف البريطانى التى تبرز فيها

---

(٢) Ravenna

(٣) أنظر حـ ١ من هذا الكتاب ص ٢٠٣ – ٢٠٤

الآلام المحـــبية ، والتجسيد الرائع للصـــعود على اللوحة المحـــفوظة بمتحف ميونـــخ (ألمانيا) هى أيضاً تعلن بدورها أصلها الأسكندرى (١)

ب – **الفنان** – إنه ليبدو لمن يدرس الخلفية المشتركة **إن الإبتكار خاص بالشرق ذاته الذى أبدع الأشكال والرموز ثم أخذها الغرب عنه** ، فرسم الحروف الأولى لإسم السيد المسيح ، والصليب الذى يتوسّط هذه الحروف والصليب المبسط الذى لا يحمل المصلوب (٢) – كلها تأتى من الشرق ، ورموز السمكة والحمامة والهلب هى فى نظر كليمندس الأسكندرى نوع من " إذن الدخول " (٣) وهذه الرموز لم تظهر فى روما فى البداية إلا بين النصوص اليونانية . والشرق هو الذى بدأ ثم حقّق بعض التجديدات إلهامّة – فمثلاً حين **أضفى على رسم الشخصيات سمات فردية واضحة ، واعتنى بالألوان** ، فى تدرجها وتباينها ، أعلن أيضاً أنها من مبتكرات الشرق . ولنتخذ من صورة إبراهيم ساعة تقديمه إبنه كنموذج . فالألم الوقور ونشوة التسليم المنفعل بهما هذا الأب قد أعلنها الفنان **فى جلال الشكل البطريركى وفى نعمة اللامبالاة فى الطفل الذبيحة** وهو حامل الحطب ومنحنٍ تحت ثقله . وهـــذا قد اقتبله كل العـــالم القديم من غير تغيير . ومن إبداع الفنان القبطى أنه لم يغطّ وجه الأب المحزون بل بالحرى رسمه فى مواجهة الناظر إليه **ليرى فيه نظرة القلق الممتزج بالقسوة والخضوع** . كذلك وضح التباين العجيب فى حركة الأب وموقف الصبى **إذ أبرز الفنان فيهما إنعكاس المأساة النفسية لكليهما** .

ولقد دعّمت المسيحية الشعور القومى فى المصريين ، وأوصلتهم إلى الإنفصال النهائى عن المؤثرات الهللينية . ولقد أذهل الأنبا شنوده رئيس المتوحدين الحكام البيزنطيين بقوميّته العارمة وباستثـــارة هذه القومية من مكمنها فى قلوب مواطنيه . وبالتالى **فمصر هى التى وضح ثقل فنها على الفن البيزنطى** ، فكشف له عن تناغم الألوان وتذوق الرسم التخيّلى والتقليد فى رسم الأشخاص .

---

(١) ليلحظ القراء تشتت هذه الإنتاجات ، وكيف أنها كصانعيها جالت مبشرة .

(٢) رأى الشرق الأرثوذكس فى الصليب المجرد رمزاً لإنتصار المصلوب لذلك تحاشى رسم الصليب أو صنعه والسيد المسيح معلق عليه إعتباراً منه أن هذا رمزاً للإنكسار .

(٣) سبقت هـــذه الرموز إستعمال الصليب بوصفه شارة للمسيحية لما تشير إليه من التعاليم الروحانية .



زخـــــرفة

من العصـر القـــبطى

والفنان القبطى قد إستطاع أن يتخذ من الطوب النىء ومن الأقمشة بديلاً عن بريق الرخام والأدوات المصقولة ، وأن يجعل مما فى متناوله منافساً لتلك الأشياء الغالية الغريبة عليه [١] . كذلك إستعمل العاج والأبنوس فى تزيين الخشب وتطعيمه – **لأن العاج والأبنوس تأتيانه من أفريقيا التى تنتمى مصر إليها** . ثم توّج إنتاجاته بالنسيج الذى أودعه أدق تصوّراته عن حياته اليومية . **ومن الشيق أن نذكر أن الكتابة وقفت إلى جانب هذه الفنون . فالكاتب القبطى ، كجده الفرعونى ، جعل من الكتابة فناً جميلاً** . فأبدى عناية فائقة فى كتابة الكلمات بشكل متناسق متناغم . وزاد على ذلك أنه زيّنها بالزهور أو بالرموز أو بالأشكال الهندسية . وبهذا فإنتجاتاته مازالت تحفة للناظرين .

* * *

جـ – المنمنمات[٢] – منذ منتصف القرن التاسع عشر وإلى الآن إنهمك المنقبون فى الكشف عن وجود باهر لفنٍ متعدد الأشكال نمت بذرته على أرض الفراعنة – على تلك الأرض التى لم تُستنفذ إلى الآن : أرض مصر التى أنتجت الفن الأسكندرى والفن القبطى . والأسكندرية كانت المُرضع والمربى للغرب . ولقد كان الفن الأسكندرى خصيباً دقيقاً رهيفاً فتماشى مع الآداب والفنون الجميلة وبالتالى ترك بصماته الساطعة على تاريخ الحضارة . وهذه البصمات ، مع كونها متناثرة بين مختلف البقاع ، إلا أن تاريخ هذا الفن فى سعته لم يُكتب بعد . فلقد تفنن الكتبة الأسكندريين ، ونما فنهم ، وتشعّب وتباين ، فلم يلبث أن إبتكر المنمنمات ثم نثرها فى العالم الرومانى .

وإحدى الموضوعات التى حظت بعناية هذا الفن هى رسم الوجه الإنسانى . ولقد هدف الكاتب الفنـــان من منمناته أن يسلّى وأن يعلم . وتحقيقاً لهذين الهدفين إستخـــدمها فى تزين النصوص الأدبية والنصوص العلمية . فمارس الذهن الأسكندرى الرهيف عمله بنشـــاط فائض ومن ثم أنتج مبتكرات مازالت تدهشنا إلى الآن وتسحرنا بتنوعّها الدقيق الرقيق .

ومصر لم تكفّ إطلاقاً عن توجيه الذوق الرفيع . وهناك إنجازٌ أثرى عجيب يرجع إلى حـــوالى القرن الخامس يعرّفنا ببزوغ فن عجيب . وهذا الإنجاز معروف بـــإسم

---

(١) ما رأى المتهافتين الآن على الصور المستوردة فى هذا التصرف القومى الصميم لفنانيه ؟ وهم تماشوا فى مسلكهم هذا مع ماجاء فى الأسفار الإلهية وفى الصلوات الكنسية

(٢) أى miniatures

الأخبار اليونانية الأسكندرية " . ويغلب الظن على أنها كتبت وزُخرفت فى الصعيد .
فمنمنمات " الأخبار " إلى جانب القصص الرمزية للشهور وما تتّسم به من رشاقة ، والسيدة العذراء والنسوة المحيطات بها ، والضارعة فى إنتصابتها ، وملابسهن ، ووقفتهن الثابتة وإستقامة أعوادهن – كل هذه توضّح أصالتها الصعيدية : إنها تعلن بأن لمصر أعماقاً خفية (٢) .

والأعداد أيضاً (٣) – كان للعدد " ثلاثة " ومشتقّاتها ، على مدى العصور ، معنى نبوى . ولقد إنشغل عدد كبير من الكتّاب المسحيين بالبحث فى الطبيعة عن رموز للثالوث . ومما أشاروا إليه أن اليوم مشتمل على أربع وعشرين ساعة مقسّمة إلى ثلاثيات : ومن هنا كانت صلوات الأجبية تحمل هذا التقسيم – الساعة الثالثة ، السادسة ، التاسعة . كذلك يبرز العدد " سبعة " ومضاعفاته ، فنجد سبع طلبات ضمن الصلاة الربية وسبع تطويبات أيضاً . بينما يعلن لنا متى البشير ، فى أصحاحه الأول ، تكـــراره ثلاث مرات لعدد " إربعة عشر " . وبالإضـــــافة فـــالعدد " ثلاثمائة " يرمُز إليه بحرف الثاء العبرى (وتكتب هكذا T) فرأى فيه الكثير من الآباء إشارة إلى الصليب (٤) .

٩ – فى الصعيد الأعلى :

أ – أخميم : إن هذه المدينة هى من أعرق المدن المصرية . فقد إستمتعت بمكانة ممتازة فى العصر الفرعونى وإستمرت مكانتها فى العصر المسيحى إذ قد إنكشف فى السنوات الأخيرة معبد فرعونى ضخم نحته رمسيس الثانى (لإبنته المفضّلة) فى الجبل . ثم جاء أبناء الفراعنة ، بعد إعتناقهم المسيحية ، ونحتوا كنائسهم فى الصخر الذى يعلو المعبد . ومن أبرز هذه الكنائس كنيسة بإسم السيدة العذراء والدة الإله وأخرى بإسم الملاك ميخائيل . وكان هناك دير مجاور لهما .

---

(٢) قاموس جـ ١١ قسم ١ ص ١٢٢٧

(٣) راجع سفر الرؤيا وكتاب " وقائع أعجب من الخيال " للمؤلفة .

(٤) قاموس ... جـ ١٢ ص ١٤٦٥ – ١٤٦٦ ، ومنه استقت المؤلفة ماورد عن إستعمال العاج والعظم وعن الفنان القبطى .

على أن الأخميميين لم يكتفوا بتشييد المعابد والكنائس ، بل لقد نال العدد الوفير منهم إكليل الشهادة . ففى يوم واحد إستشهد منهم ثمانية آلاف ومائة وأربعون رجلاً : يتراوحون ما بين كهنة ورهبان ورجال جيش وعلمانيين . ويقول لنا كاتب سيرتهم أن الجــلادين إستمروا طول النهــار وإلى ساعة متأخرة من الليل فى بطشهم بأصفياء اللّه . بل إنهم كـانوا يتعبون فيحـلّ غيرهم محلهم . وكانت ســيوفهم تفقد حدّتها فيأتون بغيــرها . ومع هـــذا كله ظل حاملو الصــليب على ثباتهــم فلم يخــوروا ولم يتراجعــوا (١) .

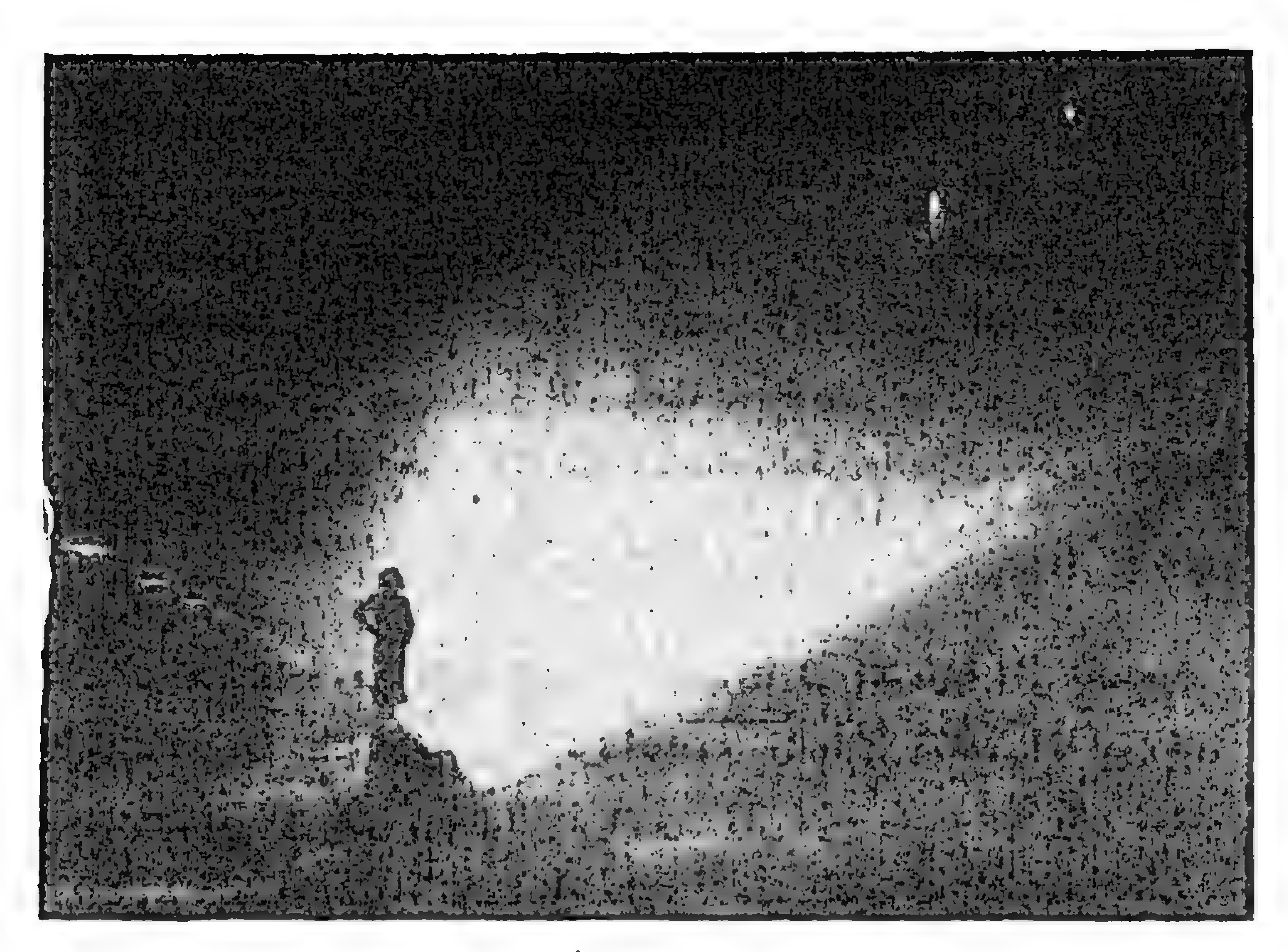
ولنتــأمل هنا ما إكتشفه المنقّبون : إنه ممــا يلفت النظر أن القبور المتراصّة إلى جانب الكنيسة الباقية فوق جبل أخميم تحتوى على لعب وعلى أشكال رمزية صغيرة الحجم ، وعلى مصوغــات بعضها مصنوع من الفخار المصقول وبعضها من الحديد . وكلهــا موضوعة إلى جـانب أصحــابها كأنها تعبير عن الولاء وشهادة على اليقين بالقيامة . (٢) وهناك تمثــال للعازر حبيب الرب ، وإلى جـانبه ديك من الفخار المصقول مصنوع بغاية الدقة . والكل يؤلف دائرة على شكل صليب أو قد تكون على شكل مرساة (هلب) .

وحدث سنة ١٨٨٤ أن إكتشف عالم إيطالى فى مكتبة كنيسة السيدة العذراء فى مدينة أريتزو مخطوطة أخميمية تحتوى على وصف لرحلة تقديسية ، طبعها سنة ١٨٨٧ بالروسية والإيطالية والإنجليزية . وهناك ترجمة فرنسية هى دراسة علمية دقيقة للمخطوطة طبعت سنة ١٨٩٨ . **وواضح أن من قاموا بهذه الزيارة المقدسة ذهبوا تحت رياسة إمرأة – لأنها هى التى كتبت المخطوطة ولو أنها لم تذكر إسمها** . ويرجّح تاريخ المخطوطة بحوالى القرن السابع . وقد بدأ المقدسون رحلتهم بزيارة منطقة الأقصر . ثم قصدوا إلى أورشليم وبيت لحم وحبرون والجليل . ومن هذه النقطة تسرد الكاتبة يومياتها . ومما يؤسف له أن الورقات الأولى ضاعت لأن الكاتبة وصفت رحلتها بدقة متناهية . وقد إتخذت هى وصحبها طريق الصحراء المحاذى للبحر الأحمر لغــاية القلزوم (الســويس) . **ومن هناك قصــدت إلى جبل الرب (سيناء) . ثم إستمرت نحو بلاد العرب فوصلتها هى وزملاؤها ليلة عيد الغطاس المجيد . وكـان أســقف هـذه البلاد شيخاً وقوراً متضــلعاً**

---

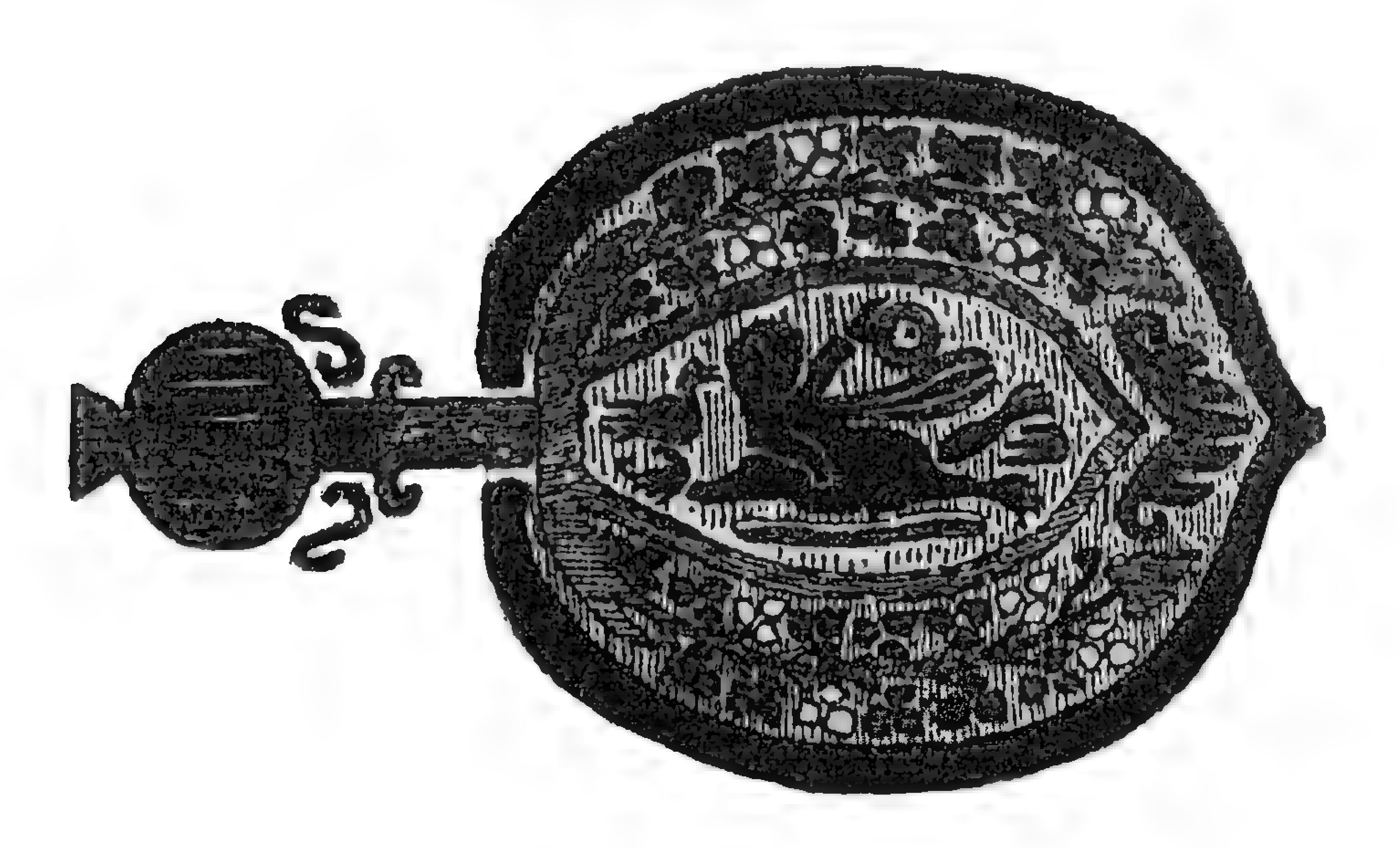
(١) عن مخطوطة للأسقف ديوجانوس أول أسقف لأخميم ، وقد نال الكرامة الأسقفية على يد الأنبا أثناسيوس الرسولى . وتعيّد لهم الكنيسة يوم ١ طوبة .

(٢) ألا نرى هنا الأثر الفرعونى ؟



تطلع

نحو آفاق بعيدة



نسيج من العصر القبطى

يرمز إلى

إنطلاق الروح إلى الفردوس

فى الأسفار الإلهية والتعاليم الكنسية (٣) . وكانت قد التقت به فى طيبة إذ كان قد ترهبن منذ سنّ مبكر فى دير بتلك المنطقة . وحين وصلوا إليها صاحبهم إلى السهل الذى كان رمسيس الثانى قد تجوّل فيه ، والذى لم يعد الآن سوى صحراء تتبعثر الأطلال فوقها . وقد قضوا يومين مع الأسقف الجليل فتباركوا بحضور القداس الإلهى ليلة عيد الغطاس المجيد ثم عـــادوا إلى وطنهم عن الطـــريق العام الممتد من – القلزم إلى مصر – وهو الطريق الذى يتخذه المسافرون والتجار . فلما وصلوا إلى مصرهم الحبيبة إتخذوا طريق النيل المزدانة ضفتاه بالحقول والحدائق والكروم . وإنتهت الكاتبة إلى القول بأن رحلتهم كانت ممتعة روحياً وجسدياً (٤) .

ب – اسنا : وهى أيضاً ضمن المدن العريقة فى الفرعونية وفى المسيحية وشهداؤها لهم مكانة كبرى : أولاً لوفرة أعدادهم ، وثانياً لأن أسقفهم أنبا أمون كان خاتمتهم يوم أن بطش بهم الوالى أريانوس . وفى ميمر وضعه أنبا بولس أسقف أسيوط تمجيداً للشهداء الأسناويين قال : " هذه المدينة المباركة اسنا كانت ، بتضحياتها ، سراجاً أنار للساكنين ببلاد الصعيد " .

وهنا أيضاً نقف لنتـــأمل : دير الشهداء بهذه المدينة . فهو ، على الرغم من أنه تخرّب ، له صيت عالمى . ولقد بنى على فترات متقطّعة كما يشهد بذلك ما تبقى منه . فبعض جدرانه مازالت تحمل رسومات من " الفريسك " . والفريسك هو فن مصرى صميم أعطته مصر للعالم . كذلك لا يزال هناك عدد من الهياكل شاهدٌ على دقة من بنوه ومن زخرفوه . وقبة هيكل منها مزيّن من الداخل بالصدف الملوّن بثلاثة ألوان مختلفة مازالت نضرة كأنها صنعت بالأمس . وفوق الباب ، وعن يمين الداخل ، أيقونة لعدد من الأشخاص يتوسطهم شخص تحيط برأسه هالة ، وهو يرتدى ثوب النسّاك ، وله لحية سوداء ، وقد كُتب فوقه بالقبطية " غريغوريوس رئيس أساقفة " . وتقف إلى جانبه ضارعة . والضارعة هى إمرأة واقفة وقد رفعت ذراعيها إلى فوق فى موقف الضراعة . وعلى مقـــربة من كليهما رجل له لحية بيضـــاء طويلة . ويبدو من المشهد أنه رسم لوضع الســـيد المسيح فى القبر – لأن هنـــاك سيدتين تحيط برأس كل منهما هالة ، وهما ممسكتان بساقه المتدلىّ .

---

(٣) كان بالجزيرة العربية أسقفية تابعة للكرسى المرقسى منذ أن كرَز بينهم أوريجانوس فى القرن الميلادى الثالث .

(٤) ألا نرى هنا المكانة التى استمتعت بها المرأة المصرية منذ ثلاثة عشر قرناً ؟ والترجمة الواردة هنا مأخوذة عن " قاموس ..." حـ ٤٠ ، ص ٢٤٧ .

أما باب هذا الهيكل فيترين أعلاه بأيقونة للسيدة العذراء جالسة على عرش قد زُين ظهره ومسنداه بسلسلة من الصلبان الصغيرة المزخرفة بالورود . وهى تحمل طفلها الإلهى على ذراعها الأيسر حسب التقليد الأرثوذكسى ، وثوبه مزخرف بصليب مرسوم على هيئة أعشاب خضراء . وعلى كل من جانبىّ العرش يقف ملاك حافى القدمين ويداه مضمومتان . وتحيط هالة برأس الطفل الإلهى وأمه المطوّبة أعرض من تلك المحيطة برأس كل من الملاكين .

وفى الخلفية جـدار به تقوب مما يـدل على أن الكنيسة الحـالية قائمة مكان كنيسة قديمة .

١٠ - قوتى فى الضعف تكمل :

لمحة عابرة :

إنه لجدير بنا أن نلقى بلمحة عابرة على مصر منذ سنة ١٨٧٤ م لنتعرّف على الجراثيم التى تكاثفت على جسم هذا الوطن العزيز لعلها تصيبه بمرض التفتّت . **لقد كانت بداية هذه السنة بشيراً بالخيْر إذ قد وصل إلى الكرسى المرقسى الأنبا كيرلس الخامس كما وُلد مصطفى كامل فى أثنائها . فكأنما قد شاء الله فى حكمته الخفية أن يعطى مصر زعيمين وطنيين فى سنة واحدة ، وكأنه - له المجد - قد أشار بهذه العطية إلى وجوب التآخى والتصافى بين قبط مصر ومسلميها .**

ولنتأمل فى دهشة ما حدث لمصر إبتداءً من هذه السنة وإمتداداً إلى الآن . فنجد أنها جازت ثلاث ثورات : ثورة عرابى سنة ١٨٨٢ ، ثورة سعد زغلول سنة ١٩١٩ ، ثورة الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢ . وفقدت مصر إستقلالها واستردته مرتين : الأولى عند إحتلال الإنجليز لها غدراً وخيانة سنة ١٨٨٢ واستردته منهم سنة ١٩٥٦ ، ثم عاود الإنجليز إحتلالها على أثر إعلان الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس . ولكنهم أضطروا على الرغم منهم إلى الإجلاء عنها بعد أيام . كذلك وقع حريقان : الأول حريق الأسكندرية سنة ١٨٨٢ وأعقبه الإحتلال البريطانى ، والثانى سنة ١٩٥٢ وكان بشيراً بسقوط الملكية وزوال الإحتلال فى آن واحد . ثم فى سنة ١٩٦٤ تحوّل مجرى النيل للمرة الثانية بعد أن كان الملك مينا الفرعون الأول لمصر الموحّدة قد غيّر مجراه منذ ٣٠٠٠ ق . م . كذلك حقّق المصريون ثلاثة آمال : الدستور والجامعة والمصرف

المصـرى . ولم يلبث أن تزايد عدد الجامعات : فالأولى كانت الجامعة الأهلية سنة ١٩٠٨ ، وقد تحوّلت إلى رسمية سنة ١٩٥٦ فأصبحت جامعة القاهرة ، تلتها جامعات عين شمس فالأسكندرية فأسيوط فطنطا فالمنصورة فالزقازيق فالمنيا فبنها .

وخلال كل هذا المدّ والجزر عرفت مصر لأول مرة ما هو القتل السياسى : بين مصريين ومصريين ، وبين مصريين وإنجليز . ثم ما كادت الحرب العالمية الأولى أن تضع أوزارها حتى رنّ فى الأسماع آخر ما قاله مصطفى كامل فألهب القلوب ، وإندلعت ثورة سنة ١٩١٩ إندلاعاً إندهش له حتى قادتها ! . **فلقد ظن الجميع أن مصر أبعد ما تكون عن الثورة لكثرة ما تحملت من ظلم وإرهاب زادهما خروج بريطانيا منتصرة من الحرب . ولكنّ للشعب المصرى منطقاً يعلو على الواقع ويتحدى الحقائق ويحلّق مع الآمال (١) .**

على أنه مع كل مظاهر الحيوية المصرية التى وضحت فى شتّى المجالات إستمر البريطانيون على تعكير صفو العلاقات بين الإخوة حتى أنهم وصلوا إلى جعل الأقباط يعقدون مؤتمراً خاصاً بهم فى أسيوط سنة ١٩١٠ إستجاب عليه المسلمون بعقد مؤتمرهم فى السنة عينها عند مدخل مصر الجديدة . **ومن عجب أن المؤتمرين إنتهيا بتوكيد روابط المودة والإخاء !** بل لقد بلغ هذا التصافى حداً دفع بعبد العزيز جاويش (وكان فى وقت ما على غاية من التعصب) إلى أن يكتب مقالاً جاء فيه : " **عشنا فى هذه البلاد دهراً طويلاً فكنا كما شاء لنا الإسلام إخواناً فى الوطنية ، شركاء فى المرافق الحيوية ، نتجاور ونتزاور ، ونتشاور ونتسامر ، ونتعاشر ونتناصر** " (٢) .

وهذه الروح المصرية القومية الصميمة إختبرها المصريون جميعاً وبلا إستثناء فى حرب سنة ١٩٧٣ حينما عاودت مصر عادتها فى أن تذهل العالم الذى كان قد عاد إلى زعمه بأنها مستكينة متخاذلة ! **ولكنه وقف آنذاك مشدوهاً إذ رأى المصريين - قبطاً ومسلمين - يعبرون قناة السويس ويخترقون الساتر الترابى البالغ إرتفاعه خمسة عشر متراً ويقتحمون خط بارليف الذى زعمت إسرائيل بأنه أمنع من أن يؤخذ !** .

---

(١) عن كتاب " مصطفى كامل " لفتحى رضوان ، سلسلة إقرأ - دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٤ ، ص ٢٥٤ . ٢٦٣ .

(٢) عن كتاب " مشهورون منسيون " للمؤلف نفسه ، سلسلة كتاب اليوم ، أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، مطبعة أخبار اليوم . ص ٤١ - ٤٤

ولقد حدثت محاولات عديدة سابقة على الفترة التى نحن بصددها إلى التضييق على مصر كالكمّاشة . **ولكن الحيوية التى أودعها الله فى عمق مصر مع بركته إياها قد مكنّتها من أن تنتفض المرة تلو الأخرى وأن تخرج ظافرة فى النهاية .**

على أن رواسب الجراثيم التى نفثها المغيرون قد طفت الآن على السطح . فبقى على أولاد مصر أن ينقّوا علاقاتهم ببعضهم البعض فيتآخوا فى مودة وتفاهم . **ولئن كانت الأخطار المشتركة فى الحروب والثورات قد وحدّت بينهم فليس بصعب أن يتخذوا من السلام وسيلة أملا للتواصل والتناغم .**

* * *

مقـــدمة :

بعد هذه اللمحة نركّز أبصارنا على شخصية ديناميكية ممتازة عاشت بالفعل حياة التآخى القومى : شخصية من الشخصيات التى ولدتهم كنيستنا المحبوبة – **هى شخصية الأنبا بيمين أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين .**

والأنبا بيمين ينتظم ضمن البنّائين العمالقة الذين زيّن بهم رب المجد كنيسته على مدى الأيام . **إنه مثل حىّ معاصر على واقعية وعد الفادى الحبيب " ها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر . (١) لذلك كان التبصّر فى سيرته حافزاً يستحثنا على السعى وراء الكمال المسيحى** . ومن نعمة الله عليه أن منحه ضمن ما منحه من مواهب وفيرة موهبة الكتابة السلسة التى تصل إلى مكامن القلوب . فصدق فيه البين الشعرى التالى :

وما مُحى إسم شخص من أثبت ما يعلمه

وما أخلّ بالخدمة من ناب عنه فيها قلمه (٢) .

فكم تتضاعف قوة الخدمة متى جمعت بين التعليم الشفوى والتعليم الكتابى اللتين قرنهما بالقدوة والعمل .

نشأته : لقد رنّت صرخته الأولى حال إندفاعه من بطن أمه يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩٣٠ من أبوين ثابتيْن على محبة الله ومحبة الكنيسة . وكان الأبن الثانى لهما ، وقد

---

(١) متى ٢٨ : ٢٠ .

(٢) مخطوطة محفوظة بمكتبة المتحف البريطانى رقم Add ٩٩٦٥ – ٢٣٥ ، والعجيب أن كاتب المخطوطة لم يذكر إسمه !

أسمياه كمال . ولو أنا تمعنّا فى قيمة الإسم كما كان ينظر إليها آباؤنا (٣) لأدركنا أن إسمه هذا كان وحيا من الله لأن إسم إبيه حبيب أنطونيوس . فإسمه جمع بين **الكمال والمحبة وإسم أبى الرهبان .**

ولقد نشأ كمال فى حى القللى ، وهو من أقدم أحياء القاهرة ويفاخر بكنيسة تحمل إسم البطل الشهيد مار جرجس . ولهذا إستقرّ فيه عدد غير قليل من العائلات النازحة من الصعيد .

وكان أبوه موظفاً فى مصلحة الدمغ والموازين بحى الجمالية - فهو كان من متوسطى الدخل . ولكنه كان يمتلك الدار التى يعيشون فيها . ومع أن هذه الدار كانت بسيطة إلا أنه كان يحيط بها فناء واسع يلعب ويمرح فيه كمال وأخواه وأخته . فعاشوا تحت رعاية والديهم فى راحة مادية دون ترف وأيضاً دون عوز . فإنطبق عليهم القول المأثور : لا تعطنى مالاً يضلنى ولا فقراً يذلنى .

ومن نعمة اللّه أيضاً أن منزلهم كان قريباً من كنيسة مارجرجس . وكان راعيها إذ ذاك القمص مرقس سيرجيوس [١] الذى ساهم بنصيب وافر فى ثورة سنة ١٩١٩ . وهذا معناه أن أبَانا هذا كان ذا نزعة قومية عنيفة . وتجاوب المسلمون مع قوميّته فعاشوا مع القبط إخوة متحابين . **فتربى كمال ما بين البيت والكنيسة على المحبة للجميع . ولقد وضح أثر هذه التربية فى أنه كان يبغض العنصرية والتعصّب ويفتح قلبه لجميع من يتعرّف بهم فيعاشرهم فى ألفة وسلام . وهذه المحبة التى تميّز بها تأصلت فى عمقه** فجعلته يتعلق بحب مصر فى رحابتها وبحب الكنيسة وتعاليمها وطقوسها وتاريخها . فترسّخ الدين بأصالته داخله مما جعله شغوفاً بالتديّن الإختيارى متباعداً عن التدين الشكلى . ويتضح هذا الشغف فى كل ما كتبه كما يتضح حبه لوطنه فى كل ما قاله . فلا غرابة إذن فى أنه إعتبر المصريين جميعاً إخوة متحابيّن . **فلقد تشرّب من القمص مرقس سرجيوس الروح الثورية المقاومة للأوضاع الخاطئة فى مصر عامة وفى الكنيسة خاصة .**

---

(٣) راجع كتاب " وقائع أعجب من الخيال " للمؤلفة الجزء المعنون " قوة الإسم " .

(١) راجع ما جاء عنه فى حـ ٥ من هذا الكتاب ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، وبهذه المناسبة يجدر بالذكر أن مكرم عبيد نشأ فى أسرة بروتستنتية . وبعد أن إنضم إلى الوفد تقدّم لخطبة عايدة مرقس حنا فرفضته . وعندما سألها سعد زغلول عن السبب أجابته : " لأنه بروتستانتى " . فاستدعاه الزعيم الكبير وقال له : " إننا منذ نشأتنا لمَ نعرف غير " أبونا " ذى العاممة السوداء فما الذى جعلك تذهب وراء الخواجات ؟ " وعاد مكرم إلى أمه الأصلية (وعاد معه كل إخوته) فقبلته عايدة زوجاً لها . (عن ذكريات عايدة مكرم) .

المدرسة والجامعة : بدأ كمال بالدراسة الإبتدائية ككل الأولاد ، وإنتهى منها سنة ١٩٤١ . ثم إلتحق بالمدرسة الثانوية التابعة لجمعية الإيمان القبطية الأرثوذكسية التى كانت فى حى السبتية – لأن المرحلة الإعدادية كانت آنذاك ضمن المرحلة الثانوية.

إلا أن التربية البيتية كانت لها الأثر الأول على شخصيته (٢) . **فلقد إتبع أبواه خطة الحرية مع دقة التوجيه والإرشاد . فنشأ هو وإخوته على الصراحة والتفاهم فى ثقة وطمانينة وبالتالى تعلموا أن يعتّزوا بالشخصية القوية المبنية على سعة الصدر والإستعداد للأخذ والعطاء فى حرية ومن غير تخوّف** . ومن له أذنان للسمع فليسمع .

ولما بلغ الرابعة عشرة من سنّه بدأ خـدمته فى مدارس الأحد (التربية الكنسية) فى كنيسة مارجرجس بالقللى . وبما أنه كان عميق الإيمان فقد أنفق طاقاته فى إيجابية تلقائية .

وبعد أن إنتهى من دراسته الثانوية إلتحق بكلية الآداب عن رغبة شخصية . وفى الكلية مارس نزعته الإجتماعية بأوسع ما يمكنه . وقد شاءت العناية الإلهية أن يتعرف بنظير جيد (٣) وبرمزى عزيز (٤) وغيرهما من الطلبة الذين هم الآن فى طليعة الخدام الكنسيين مثـل سليمـان نسيم وراغب عبد النور . وتـوثّقت روابط المحبة بين الجميع فلم يتزاملوا فى الجـامعة فقط بـل ظلموا متزاملين بعد ذلك فى الخدمة العامة والسعى الروحى .

ومن ذكرياته عن الخدمة أثناء دراسته الجامعية أن مدارس الأحد كانت على ثلاثة فروع : **فرع الجيزة** تحت قيادة ظريف عبد الله (القمص بولس بولس) ووهيب سوريال (القمص صليب سوريال) وسعد عزيز (الأنبا صموئيل) . **وقد ركّز خدام هذا الفرع على الإهتمام بخدمة القرى** غير متقيّدين بقامة الخادم الروحية متيقّنين من أن الخدمة ذاتها هى التى تصقل الخادم وتهيؤه لأن يصلح لها . **فرع كنيسة الأنبا أنطنيوس بشبرا** تحت قيادة لبيب راغـب ونظير جيد . **ولقد أولى هذا الفرع إهتمـاماً شديداً بحياة الخادم الروحية** فلم يسمح لأحد

---

(٢) فمثـلاً طلب هو شخصيـاً إلى المؤلفة (قبيل الزيارة الأولى لملوى) أن تتحـدث عن " الأسرة أيقونة المجتمع " ، بل طالبها بكتابة هذا الموضع بشىء من التوسع ثم طبعة فى كتيب بمطبعة المطرانية بملوى .

(٣) هو الآن قداسة البابا شنوده الثالث – أطال الله عمره .

(٤) هـو نيافة الأنبـا يؤنس أسقف كـرسى الغربية – الـذى تنيح بسلام يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٨٧

بالخدمة إلا إذ توافرت فيه شروط كثيرة وقاسية . وفى تلك الفترة أسندوا رياسة تحرير مجلة مدارس الأحد إلى نظير جيد لجمال أسلوبه فى التعبير . **فرع كنيسة الملاك ميخائيل بجزيرة بدران** ، وأحد قادتها سليمان نسيم . **وقد وجّه هذا الفرع إهتماماً خاصاً إلى الطابع الإجتماعى** فقام بالكثير من الرحلات وعقد الكثير من المؤتمرات والمعسكرات . ومع هذه الإختلافات الجذرية فى إتجاهات الفروع الثلاثة فقد إرتبط كمال بعلاقات ودّية مع ثلاثتها ، وتمكن من الإستفادة منها ، فدّعم بهذه الفائدة حياته وخدمته .

مميّزات الجامعة أنذاك :

يقول نيافة الأنبا بيمين إن الجامعة حين كان فيها كانت تتّسم بالمعنى الجامعى الصحيح لأنها تميزت بما يلى :

أ - كان الأساتذة يتعضفون عن أن يملُوا مذكراتهم إملاء وعن أن يفرضوها على أى طالب . فكانوا يعطون ، مع محاضراتهم ، المراجع الهامّة التى يستطيع الطالب أن يستقى معلوماته منها ، ثم يقوم بأبحاث دراسية باذلاً جهده فيها تحت إشراف الأستاذ المختص . وبذلك حصل الطلبة على المقدرة على البحث بأنفسهم وعلى الإسترشاد بمختلف المصادر فتعودوا الإعتماد على النفس وصاروا واسعى الإطلاع . **ولقد ظل كمال حبيب يفخر بأساتذته طيلة حياته .**

ب - كان الطلبة قليلى العدد مما ساعدهم على الترابط والتعاطف حتى لكأنهم أسرة واحدة : لا فرق بين طالب وطالبة ولا بين مسلم وقبطى . وهذا الجو الممتع من الروح العائلى كان يتضح من الرحلات المختلطة وفى أوقات الفراغ وفى الكافيتريا .

جـ - الإنشغال الجدّى بالدراسة وبالبحث العلمى كان أبرز صفة للحياة الجامعية . فإرتوت نفوس الطلبة بالعلم فى رصانة وهدوء ، واستنفذوا طاقاتهم فى الإيجابيات مما أهلهم للمسئولية القيادية فيما بعد .

بدء العمل :

وبعد أن حصل كمال على ليسانس الآداب سنة ١٩٥٠ إلتحق بالمعهد العالى للتربية حيث قضى سنة واحدة . **وتمتع بالدراسات التربوية التى وجدها ، على حد قوله ، ضالته المنشودة .** فدأب على الدراسة والبحث ، وقرأ العدد الوفير من الكتب فى التربية وفى العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية . ولتفوقه فى هذا المجال عيّنوه فى مدرسة النقراشى النموذجية المبنية خلف قصر

الملك (١) بسراى القبة . وقد تميزّت هذه المدرسة بإفساح المجال للأبحاث والتجارب التربوية . **ولقد أحب عمله حباً جما** . كذلك أتاح له العمل فى هذه المدرسة الفرصة للتعرّف على قادة ثورة سنة ١٩٥٢ . فوثقوابه ورجوا منه أن يعطى أولادهم دروساً خصوصية . **فلقد قال له أحدهم ذات مرة . " أنا لا ائتمن أحداً غيرك على الدخـول فى بيتى أثناء غيابى "** . وهذا كله أعطاه الثقة فى نفسه ، وثقته بنفسه مقترنة بثقته فى الله جعلته لا يخاف إنساناً مهما علت مكانته الإجتماعية . ولقد حرص على جعل ثقتهم فيه فى محلها .

الدراسات العليا :

على أنه " متى كانت النفوس كباراً تعبت فى مرامها الأجسام " . **وهذه النفس الكبيرة ، نفس كمال حبيب ، لم تقنع بليسانس الآداب ولا بشهادة التربية** ، فبـدأ أولاً بتسجيل إسمه لدراسة مـاجستير تحت إشراف د . عزت عبد الكريم الذى أصبح فيما بعد مديراً لجامعة عين شمس . ولكنه لم يستكمل هذا البحث لأن العلوم التربوية ظلّت تشده . فنجح بدرجة إمتياز فى دبلوم المعهد العالى للتربية سنة ١٩٥٣ . ومع إستمراره فى العمل إستمرّ فى الدراسة فحصل على ماجستير فى التربية بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٩ .

ثم إتجه بعد ذلك بذهنه وقلبه إلى الدراسة فى حقل جديد فإلتحق بالكلية الإكليريكية ونال ليسانسها بتقدير جيد جداً سنة ١٩٦٤ – ولو أنه ظل يعمل كمدرس .

رهبنته : ثم رنّ الصوت الإلهى فى عمقه رنيناً لا يمكن مقاومته . فقصد إلى دير الأنبا بيشوى حيث ترهبن فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٧٢ بإ سم الراهب أنطونيوس . ولأن رئيس الدير قد توسّم فيه رغبته فى التصادق مع الجميع فقد أسند إليه رعاية بيت الخلوة القائم داخل الدير . فأحسن هذة الرعاية التى إستمرت سنتين رأى بعدهما قداسة البابا شنوده الثالث (أطال الله عمره) توسيع مدى الإستفادة بطاقة الراهب أنطونيوس فعينّه وكيلاً للكرازة المرقسية فى الأسكندرية . **ومن هذا الموقع ، وبمساندة العناية الإلهية ، إستطاع أن يوثّق علاقة المودة بين المسلمين والقبط وأن يرسّخ الصلة بين رجال الأمن والكنيسة .**

دراسته فى برنستون (١) – على أنـــه لم يبق فى هـــذا العمل الحيوى غير

(١) الآن قصر رئيس الجمهورية .

(١) هى واحدة من الخمس جامعات الكبار فى الولايات المتحدة

شهرين ونصف ، لأن جامعة برنستون كانت قد أعطته منحة دراسية ، فأرسل المسئولون فيها يستعجلون حضوره . ورداً عليهم أرسله قداسة البابا على الفور . **وليس من شك فى أن رب الكنيسة قد شاء أن يهيء فرصة الدراسة فى هذه الجامعة الكبرى إرواءً لهذه النفس المتعطشة دوماً إلى المزيد** . وهناك حاز على ماجستير فى العلوم اللاهوتية بدرجة ممتاز سنة ١٩٧٥ .

أما موضوع رسالته فكان : " التربية القبطية لحياة الشركة " (٢) . **ولقد أعجب أستاذه بها الإعجاب كله حتى أنه قال له : " سأضع بحثك فى درج مكتبى لكى أقرأه من آن لآخر "** . وخلال دراسته تمكّن من أن يزور معهد فلاديمير (الروسى) وقراءة مراجع عديدة عن الرعاية والكهنوت ، **فتعمّق فى اللاهوت الأرثوذكسى** . كذلك وفّقه رب الكنيسة إلى إتمام بحثين آخرين : أحدهما عن " كليمنضس الأسكندرى " ، وثانيهما عن " منهج الوعظ والتبشير عند يوحنا ذهبى الفم " .

وأثناء هذه الدراسات وازن بين المنهج الشرقى والمنهج الغربى فخرج بنتيجة هى **أن الغربيين يهتمون فى تديّنهم بالدراسات التحليلية النقدية ويرتكنون بالأكثر على العقل . أما الشرقيون فيولون إهتمامهم بالإختبار الروحى والفكر الآبائى مرتكنين على القلب إلى جانب العقل** . ولقد تمسك فى بحثه ودراسته بالمنهج الشرقى . ورحّب أساتذته بوجهته تعطّشاً منهم إلى تذوّق هذه الوجهة الأرثوذكسية الشرقية .

كذلك إستطاع أن يقوم بالخدمة الراعوية بين شباب المهجر فى عدد من الولايات المتحدة . وهذه الخدمة لم تؤثر على الآخرين فقط بل أثرت عليه شخصياً أيضاً . وقد عبّر هو عن هذا الأثر الشخصى بقوله : " **لقد كنت قاسياً جداً ، شديد الطبع، لا أرحم . أما بعد الكهنوت فدخلت إلى مشاكل الناس ، وإستمعت إلى أنينهم ، ورأيت دموعهم ومآسيهم فى الإعترافات ، فأذاب قلبى حباً بالنفس البشرية وجعلنى حنوناً عليهم إلى أبعد حد** " .

ثم أخذ يستعد لإستكمال دراسته بالحصول على الدكتوراه . إلا أن قداسة البابا إستدعاه ليعاونه فى الخدمة .

الخدمة — كان كمال قد بدأ خدمته لكنيسته وهو مازال فى دراسته الثانوية . فما إن تخرّج فى الجامعة حتى دأب على خدمة الشباب — هذه

---

(٢) Coptic Education For the Life Of Kenonia .

الخدمة التى إستهوته طيلة حياته إلى أن إنتقل للأخدار السماوية . ولكى يضاعف روابط المحبة بين مخدوميه إعتاد أن يعقد لهم الكثير من المؤتمرات ، وفيها أتاح لهم فرصة المناقشة وتبادل الرأى . ومن نعمة الله عليه أنه كان المسئول الأول عن مناهج التربية الكنسية آنذاك . بل إن وزارة التربية والتعليم قد إختارته عضواً ضمن اللجنة التى ألّفتها لوضع مناهج التربية الدينية للمدارس التابعة لها حتى بعد أن نال كرامة الأسقفية . ولقد وضع مناهج التربية الدينية للمرحلة الثانوية بدافع إشتعاله بمحبة الكنيسة – وقد طبعتها له مكتبة المحبة فى ثلاثة عشر كتيباً بعد أن صار أسقفاً .

كذلك خدم كأمين لمدارس التربية الكنسية فى كنيسة مارمينا بالترعة البولاقية بشبرا ، ومنها إمتد للخدمة فى كنائس أرض الطويل (بشبرا أيضاً) من سنة ١٩٤٨ – ١٩٧٢ (١) .

التكريس : وفى سنة ١٩٥٨ تعّرف بالقمص متى المسكين عن طريق وليم سليمان ونصحى عبد الشهيد فأعجب به إعجاباً شديداً لروحانّيته ومحبته للبرية وتعمقه فى الدراسة ولا سيما دراسة الآباء كتاباتهم . فأدى به هذا الإعجاب إلى الإلتحاق ببيت التكريس فى حلوان سنة ١٩٥٩ (٢) – وكان آنذاك تحت رعاية القمص متى المسكين فقضى كمال عشر سنوات فى هذا المضمار .

وفى أثناء فترة التكريس نجح فى نشر الوعى بوجوب خدمة الشماس كمساعد للكاهن فى الإفتقاد . وهذه الخدمة هى فى الواقع العمل الأصيل للخدمة الشماسية فلقد كان الشماس (والشماسة أيضاً) يوصف بأنه " عين الأسقف وأذنه " . لأنه كان عليه أن يفتقد عدداً من العائلات معيناً له من الأسقف أو الكاهن وأن يقدم تقريراً أسبوعياً عنها لأسقفه (أو لكاهنه) . ففى نشر هذا الوعى إستعاد كمال للشماسية عملها الأساسى الذى نشأت من أجله .

وبما أن التكريس يتسع للخلوة فقد تمكن من التعمق فى دراسة اللاهوت والخدمة الراعوية ، وفى الوقت عينه دأب على تدعيم الترابط بين الإيبارشيات بأن أتاح الفرصة للكثير من الشباب الحضور لقضاء أيام فى بيت التكريس . وهنا أيضاً يجب أن

---

(١) يفرحنى أن أقول إننى تعرفت به وهو خادم فى كنيسة مارمينا ، ويفرحنى بالأكثر أنه كان يقول لى : " أنا كمال حبيب وأنت إيريس حبيب فنحن إخوة " . ويجدر القول أن التكريس نشأ فى كنيستنا المحبوبة قبل أن تظهر الرهبنة لأن المحبة التى أوصى بها الرب كانت تلهب القلوب فتدفعها إلى الخدمة المكرّسة . فأبونا متى المسكين حين فتح بيت التكريس إستعاد نظاماً كنسياً أصيلاً .

(٢) نقل مقر هذا البيت من حلوان إلى حدائق القبة لأن المالكين له هدموه وأقاموا عمارة كبيرة مكانة .

نذكر أن التواصل بين الإيبارشيات عادة قديمة مارسها القبط فى فرص السلام – إلا أن وسائل النقل السريعة قد جعلت هذا التواصل أكثر سهولة ولعدد أكبر .

ولقد إختير عضواً باللجنة العليا لمدارس التربية الكنسية من سنة ١٩٥٠ ، فسكرتيراً عاماً لهذه اللجنة من سنة ١٩٥٩ إلى سنة ١٩٧٢ – ولو أنه ظل عضواً بها إلى سنة ١٩٧٦ .

رسامته أسقفاً :

حينما إستدعاه قداسة البابا من جامعة برنستون فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٧٥ رسمه أسقفاً عاماً بإسم بيمن . فظل فى القاهرة ما يقرب من سنة من الزمان . ثم إنتدبه " مندوباً بابوياً " لإيبارشية الشرقية التى كان مطرانها الأنبا متاوس قد رحل إلى الفردوس . وهناك دوام على الخدمة بلا هوادة كعادته . وقامت بينه وبين الشعب صلات من المودة والتقدير ، فأحبوه وطالبوا به أسقفاً عليهم . ثم حدث أن تنيح الأنبا ساويرس مطران المنيا فطالب به شعب هذه الإيبارشية . على أن قداسة البابا رأى بثاقب بصيرته تقسيمها إلى أربع أسقفيّات : المنيا وسمالوط وبنى مزار وملوى . وإذ وجد الشعب الملّوانى الفرصة مواتية توالت تزكياته . وبإرشاد الروح القدس إستقر رأى قداسة الأنبا شنودة الثالث على أن يكون الأنبا بيمن أسقفاً لملوى وأنصنا والأشمونين . فتمّ تجليسه على هذه الأسقفية فى ١٩ يوليو سنة ١٩٧٦ .

فى ملوى :

وفى بداية الأمر لاقى الأنبا بيمن الكثير من الصعوبات . ولكن الآب السماوى منحه الثبات فى حكمة وشجاعة . فواجه المصاعب بجرأة واثقاً بمن أقامه على هذه الرعاية الأبوية الروحية . وحالما إستقرّت له الأمور بدأ عمله البنائى . فوجّه إهتمامه إلى تنظيم لجان الكنائس وماليّات الآباء الكهنة والخدام . **ثم جعل من مساء الأحد وقتاً لإجتماع عام للشعب كله** . وبهذا الإجتماع هيأ الفرصة لأن يقضى أولاد اللّه يومهم فى بيت أبيهم السماوى . وحين لاقى هنا الإجتماع نجاحاً واسعاً ، نظّم نيافته إجتماعات للشباب والشابات وللخدام والخادمات وللرجال والسيدات . وبما **أن رب المجد وعد الثابتين فيه بأن يمنحهم أن يأتوا بثمار كثيرة ، فقد منح الأنبا بيمن نعمة وفيرة لنشر الكلمة على أوسع نطاق** . ومنحه أيضاً أن يكتسب القاعدة العريضة من شعب ملوى ومن تنظيم العمل الراعوى بإيجابيّته المعهودة .



« الأنبا بيمين »
سيرة عطرة ، حية وعاملة عبر الزمان

وباتساع مجال الخدمة كرّس عدداً غير قليل من الشابات والشبان وإفتتح لهم بيوتاً للتكريس . فإمتدت الخدمة روحياً وإجتماعياً وطبياً بل وزراعياً أيضاً . وهذا الإمتداد ملأ قلبه فرحاً مماجعله ينشيء إستراحات ملحقة بالكنائس فى كل القرى . **وهذه لم تكن مجرد إستراحات بل كانت بالأحرى مراكز للخدمة الإجتماعية وللتنمية ولنشر الوعى الصحى بإنشاء عيادات ملحقة بها وفى كل هذه الخدمات تتشارك الشابات مع الشباب .**

ومن أهم الموضوعــات التى نالت عناية الأنبا بيمن توجيه الشباب نحو الوعى بمســئولية الزواج وبقدسية الصلات العائلية وتثبيت الســلام فى القلوب . وقد أدّى هــذا السعى إلى تزايد الترابط الأسرى حتى كــادت تنعدم مشــاكل الأســرة فى إيبــارشيته . وجنباً إلى جنب ساهم بقدر وافٍ فى الدعوة إلى تنظيم الأسرة .

ولما كان الأنبا بيمن معلماً بالفطرة ذا جاذبية مغناطيسية للشباب ، فقد وجّه طاقته إلى ناحية التعليم بطرقه الحديثة . فأنشأ مركزاً ضخماً للوسائل التعليمية جمع فيه عدداً وفيراً من الأجهزة السمعية والبصرية بمختلف أنواعها . ثم زاد على ذلك **بأن إشترى مطبعة للمطرانية** صارت وسيلة متيسّرة لنشر مؤلفاته الخاصة وكل المطبوعات المتعلّقة بالأيام الروحية والمؤتمرات والمعسكرات ، وشجع الشباب والشابات على القيام برحلات للجهــات الأثرية والأماكن ذات الأهمية الخاصة كالاسكندرية : المدينة التى سال فى ميدانها الرئيسى دم الكاروز العظيم مارمرقس البابا الأول لكنيستنا المحبوبة .

وإلى جانب هذه الأعمال العظمى فى المجالين الروحى والإجتماعى بنى داراً تقع إلى جنوب كنيسة مامرقس التى تتصل بها الدار الأسقفية من جهتها الشمالية والدور الأول منها عبارة وعن قاعة تتسع لسبعمائة شخص ، وفى ناحيتها الشرقية مسرح وفوق هذه القاعة – بالدور الثانى من المبنى – عدة قاعات أكبرها تسع مائتى شخص وتقام فيها المعارض لمختلف المناسبات ، يرى فيها الزائر إنتاجات شعب الكنيسة بمختلف أعضائه : سيدات ورجال ، شابات وشبان ، بل وأطفال أيضاً . **ومن أروع دلائل تشجيعه على إبراز طــاقات أولاده أن القــاعة الكبرى ومداخلها تزيّنها أيقــونات قبطية ذات جــاذبية حلوة ، رسمها فنان شاب من أهالى ملوى .**

حفلة هادفة :

دعا نيافة الأنبا بيمن زوجات كهنة إيبارشيته إلى حفلة شاى خصيصاً لهنّ (١) وقد جعل منها جلسة هادفة بدأها بالصلاة . **ثم تحدث عن عظمة الكهنوت الذى يرأسه كاهننا الأعظم السيد المسيح نفسه** ، وهو الذى منحه لرسله ولخلفائهم من بعدهم – أى للأساقفة والكهنة . وفيهم يتحقق بالفعل قول الرب : " كما أرسلتنى إلى العالم كذلك أرسلهم أنا " (٢). **فالكهنوت خدمة ذات جلال عظيم.**

والزوجة هى " المعين النظير " لزوجها ، فهى أيضاً عليها واجبات مقدسة . وتتلخص هذه الواجبات فيما يلى : **تهيء** له جوّاً من السلام والتناغم ، تحتمل تعبه وسهره – بل وتحتمل أيضاً قضاءه وقتاً طويلاً فى الخارج ، لأن الراعى الحق يسهر على رعّيته ، تهوّن له متاعبه بإشاعة جو روحى مرح ملىء بالتعاطف ، تستضيف ببشاشة كل من يحضرون إلى بيتهم ، وبخاصة أولئك الذين يطلبون الأب الكاهن للخدمات التى يحتاجون إليها (٣) . وفوق هذا كله توجّه عناية خاصة بتربية الأولاد تربية روحية رحيبة خالية من الضّغط أو الكبت أو التزمّت .

ولـمّا إنتهى من هـذه الكلمة ذات المعـانى العميقة أفسح الفـرصة للحوار . وقد دار هنا الحوار حول رعاية الآباء صحياً وما يمكن أن تقدمهُ المطرانية من أسباب الراحة لكهنة البلاد النائية .

ثم وزّع نيافته هدايا رمزية . وإختتم الحفلة بالصلاة فى جو ملء بالمحبة والفرح والرضى .

وقد طلبت السيدات تكرار مثل هذا الإجتماع تعميماً للفائدة .

وطنية الأنبا بيمن :

لقد عرفنا أن الأنبا بيمن نشأ تحت رعاية القمص سرجيوس ، فتشربّ منه كما تشرّب من والديه حب مصر وحب شعب مصر بعنصريْه . **وكان فى ملوى مثال المواطن الحق أحبه المسلمون كما أحبه القبط** . ومحبتهم له كانت إنعكاساً

---

(١) عن مجلّة الكرازة ، العدد الصادر يوم الجمعة ٢٧ أمشير سنة ١٦٩٧ سن (٦ مارس سنة ١٩٨١) .

(٢) يوحنا ١٨ : ١٧ .

(٣) يفرحنى أن أقول إننى وجدت كل هذه المتطلبات من زوجات الكهنة الذين إستضافونى فى جهات مختلفة كدمنهور وشبين الكوم . أما فى ملوى فقد إستضافتنى أرملة لها بنت وولد – ومضيفتى هى السيدة زيزف ألفونس وابنتها إيناس (بكلية التجارة) وإبنها جوزيف (فى المرحلة الإعدادية) .

لمحبته لهم . **فقد كان يعيش ذلك القـــول المأثور الذى قاله قداسة البابا شنوده الثالث : " إن مصر وطن يعيش فينا لا وطناً نعيش فيه "**. ولقد قدّم الدليل الملموس على وطنيّته فى أن النحفظ ، مع أنه كان ظلماً صارخاً ضده ، لم يؤثر على قوميته إطلاقاً . فرضى بالسجن شاكراً فرحاً بالروح على الرغم مما عاناه ومما أتعب صحته الجسدية . ولم يرضَ بالسجن فقط ، بل نشر الحب بين المساجين فسرى من روحه إلى قلوبهم المتوجّعة . وعندما خرج من السجن **قال له وزير الداخلية يومذاك : " أنت ظُلمت بينما أنا واثق من وطنّيتك وموقن بأنك ستساعدنا فى الحفاظ على البلد وإستقرار الأمن "** .

كذلك وضح الدليل على أن محبته شملت جميع مواطنيه فى أن المسلمين دافعوا عنه أيام سجنه أكثر من القبط . **وحين وقف أمام القضاء فوجىء بأن نقيب المحامين قد جاء من ملوى خصيصاً للدفاع عنه** . ويوم أن عاد إلى مقر كرسيه خرج الشعب كله لإستقباله – مسلموه وأقباطه – فى فرحة واضحة على الرغم من عدم الإعلان عند موعد عودته . ولكن لشعبنا العريق ميراث سرى سريان الدم فى عروقه : ميراث إستشعار تحركات آبائه من عمق محبته .

ولكى ندرك مدى عشقه للخدمة نذكر أنه كان يسأل بإستمرار عن سير الأنشطة المختلفة ومدى تقدمها من كل الذين سألوا عليه في السجن . ثم بعد أن وصل إلى مقر أسقفيته تعاون بتلقائيته المعهودة مع أنبا أنطونيوس أسقف كينيا بأن إستجاب لطلبه وأوفد إليه خادمة مكرسة هى د . نشوى (وهى طبيبة ومعروفة بإسم إستير) . هذا مع العلم بأنه كان قد حصل لها قبل ذلك على منـــحة دراســـية من كلية بدفــــورد (بانجلترا) حيث نالت ماجستير فى كيفية الخدمة الصحية . وبعد أن أعدّها هذا الإعداد لم يتردد فى إرسالها للخدمة فى كينيا .

ومن أواسط الصعيد نجح فى تشجيع البنت على إستخدام طاقتها فى بناء مجتمعها إلى حد أنه أرسل إحدى خادماته المكرّسات – هى الآنسة سونة – لحضور "مؤتمر لجنة خدمة المرأة " الذى إنعقد بجينيف فى يونيو سنة ١٩٨٥ ، ووضع عليها أن تتحدث فى هذا المؤتمر عن الإنجازات النسوية فى مصر . **ومن هذا كله نرى مدى سعيه إلى إبراز طاقات الخادمين معه وعلى الأخص الخادمات ، لكى يعطيهن الثقة فى نفوسهن وفى إمكانية إستخدام طاقاتهن . ولكى يوضّح بأن للمرأة دوراً فى خدمة الكنيسة** . وهذه سِمه الأب الحنون المشجع لبنيه وبناته سواء بسواء .

ولقد عاش درساً رائعاً لما يجب أن يتّصف به الآباء من سعة الصدر : **فقد أحب أسلوب المواجهة والحوار الصريح مع أولاده جميعاً** . ومثل هذا التعامل دليل على إحترام شخصيات المتعاملين معه والوعى بكرامة هذه الشخصيات . وليس من شك فى **أن الأولاد الذين يجدون من أبيهم الروحى هذا الصدر الواسع يفرحون بالأبوّة الحانية التى ترعاهم ، ويعتزون بشخصيتهم فيرتفعون إلى مستوى مسئوليتهم** . وما على أى شخص يريد مخلصاً أن يعرف مدى ما أحدثه أنبا بيمن فى إيبارشيته إلا أن يزور مختلف بقاعها ليرى بعينيه ويسمع بأذنيه هذه الحقائق التى تسجّل معظمها فى هذه اللمحة لسيرة قدسية شاعت منها رائحة المسيح الزكية فعطّرت الأرواح قبل أن تعطّر الأرجاء .

آماله فى أن تحوز الكنيسة على الأثر البعيد فى القلوب – لقد تطلع إلى :

أ – أن يكون من ينالون كرامة الكهنوت – أساقفة وكهنة – **ممن ملأت النعمة الإلهية قلوبهم فتعمّقوا فى دراسة طقوس الكنيسة وتعاليمها** فوق حصولهم على الشهادات الجامعية ، .

ب – أن يتميّز من يستعدون للخدمة بالعمق روحياً وفكرياً ، بالثقافة العالية وبالإستعداد للبذل فى عملهم من دون حساب ولا ميزان ، وأن يسعوا إلى تفتيح مجالات جديدة كلما أمكنهم مع توجيه طاقات مخدوميهم وقدراتهم توجيهاً إيجابياً ، .

جـ – العناية بالفرد فى حد ذاته فى الإفتقاد وفى غيره من المجالات .

د – من الأهمية بمكان تنقية الجو الكنسى من الخلافات والبغضة ، فإذا ما حدثت خلافات يسعى الخدام إلى حلّها بالمواجهة والصراحة – فالمحبة المسيحية تقتضى تجنّب العمل خلف الظهور .

مؤلفاته :

وإلى جانب جهوده العملاقة وضع الأنبا بيمن الكتب التالية :

– أولاً – كتب ومراجع :

– أسس التربية المسيحية – حياة العفاف – الخدمة فى القرية – الأعياد – تأملات فى إنجيل يوحنا – حياة الشركة – صوت الرب – التربية المسيحية (مع سليمان نسيم) – بعنوان : " مسيح الكون كله "– التديّن السليم – سر الحب – الشعور الدينى فى الطفولة والمراهقة – الجسد والجنس– الأسرة المسيحية – حياة الأنبا بيشوى – صوماً روحيـاً – المسيحية والجسد– أعظمهن المحبة – العبـادة المقبولة – قضايا شبابية – الرؤية المسيحية للعمل – ألقاب المسيح ووظـائفه – دليل البحث فى الكتـاب المقدس – الجنس مقدساً – اللتيورجيا : ثـلاثة أجزاء يعاد طبعها فى مجموعة واحدة مقتطفات للمراحل الثانوية – طبعهـا مكتبة المحبة فى ثلاثة عشر كتيبا – الروحانية الأرثوذكسية (مع توماس هويكو)

– ثانياً – كتيبات للشباب بصفة خاصة :

– المحبـة الطاهرة – كيف أمـارس سر الإعتـراف – القيامة ومشكلات الشباب – الحيـاة العائلية – نـريد أن نرى يسوع – الإيمـان الحى – المرشد للإعتـراف – الناموس والنعمة – المسيحية وبناء الشخصية – السماء الثانية – الرجاء – القيامة وحياتنا الروحية – علامات الكنيسة – الميلاد الثانى – لم يحبوا حياتهم – الصوم الكبير –يمين الـرب – الحياة الإجتماعية – مجـد وسلام ومسرة – الغيرة المقدسة

لقطة شخصية :

يفرحنى أن أقول إننى نلت بركة زيارة ملوى فى عيد الأسرة لثلاث سنوات متتالية : سنة ١٩٨٤ – ١٩٨٦ . فكان الشماس المكرّس فتحى حبيب يأتى مع سائق سيارة تابعة للمطرانية لغاية باب بيتنا ذهاباً ثم يوصلونى إيابا أيضاً . وكان برنامج سفرى لملوى صباح الخميس . وبعد الظهر من اليوم نفسه ألقى محاضرة على الخدّام والخادمات فى إحدى قاعات الدور الثانى . وبعد إستراحة قصيرة ألقى المحاضرة الثانية بالقاعة الكبيرة فى الدور الأول ومما يُبرز الأثر الذى أحدثه الأنبا ييمن فى القلوب أن قاعة الإجتماع ، فى الحالتين ، كانت تضيق بالحاضرين إلى حد أنهم كانوا يحضرون كراسى أو بنوكاً ليجلس عليها الواقفون . وليس ذلك فحسب بل كانوا أيضاً يحددون لى الموضوعين المطلوب منى التحدّث فيهما . وكان إختيارهم دليلاً على وعيهم بأهمية تعاليم

كنيستنا المحبوبة وبتاريخها العريق . كذلك كان بعض الأفراد من المتعطشين إلى المزيد يأتون إلى بيت الأسرة المستضيفة لى فنتحدث معاً إلى منتصف الليل أو ما يقرب منه .

ووضح وعيهم أيضاً فى أنهم إستصحبونى (فى هذه المرة الأولى) صباح الجمعية لزيارة بلدة دير " أبو بيشوى " والتبرّك بحضور القداس الإلهى فى كنيستها (التى تحمل إسم القديس عينه) . **والحق أنه كان قداساً على جانب كبير من الروعة : فالألحان يترنّمون بها معاً كأنهم كلهم شخصاً واحداً وفى وقار واضح ، والقداس باللغة القبطية** حتى لقد خيِّل لى يومذاك إننى فى عصر من العصور المشتعلة بالإيمان الحى .

وبعـد التحليق مع القـداس الإلهى قصدنا إلى كنيسة بلدة دير " أبويحنس " المسماة على إسم الأنبا يؤنس كامى ، ومنها إلى البيهو بسمالوط التى تعتزّ بكنيسة على إســم القــديس الشهيد أبسخيرون . وكاهن هذه الكنيسة ، القس تيموثيئوس عبد المسيح ، حفيد للكاهن الذى أجرى الشهيد أبسخيرون ، فى أيامه ، أعجوبة نقل هــذه البيعة بالسبع عرسان صونــاً لهم من الإعتداء وقت إتمام شعائر الإكليل المقــدس . وهو شـاب ملتهب محبة للكنيسة تمــلأه رغبة جـارفة فى معرفة المزيد عن القديس الشهيد الذى تحمل الكنيسة إسمه . ومما يؤسف له أننا للآن لا نعرف عنه غير ما جاء فى السنكسار .

وممــا أفرحنى أن رأيت بالكنيسة ثلاث مجموعات : كلاً منها فى ركن ، وهى فصول مدارس الأحد . تدرّس لإحداها شابة بينما يدرس للفصلين الآخرين شابان من أهل البـلدة – وقف كل منهما بجـلابيته وبطاقيتّه . وبالإستماع إلى ثلاثتهم لفترة وجدت أنهم يدّرسون عن معرفة – علماً بأن زيارتنا كانت مفاجئة . **ولقد ضاعف فرحى ، فى هـذه الجولة المليئة بالبركة ، معرفة الكهنة والمحيطين بهم لتاريخ كنائسهم ولقيمتها الروحية فى الخدمة .** وفى كل من هذه الكنائس رأيت المركز الإجتماعى الطبى ومدى العناية التى يبذلها الخدام والخادمات لراحة مخدوميهم (١)

---

(١) جدير بنا أن نعرف أن كل هذه الخدمات كانت تقوم بها الكنيسة من بداية العصور المسيحية ، فنقرأ مثلاً عن المدرسة التى كانت تابعة للباباوية التى إلتحق بها أثناسيوس الرسولى فى صباه ، وعن المستشفى الذى كان ملحقاً بالكتدرائية المرقسية (بالاسكندرية) الذى كان يشرف عليه الراهب الطبيب إيسيذورس – راجـــع حـ ١ من هذا الكتاب ص ٢٧ و ٢٠٦ ؛ ثم عدت عليها الإضطهادات والضيقات التى أصابت الكنيسة فى مختلف العصور

وغنــى عن البـيان أن أذكر الترحيب وكـرم الضـيافة بتلقـائية حلوة فى كـل هذه الأماكن .

وإنتهى بنا المطاف بزيارة كنيسة السيدة العذراء بجبل الطير على الضفة الأخرى من النيل . وجبل الطير من أقدس الأماكن فى وطننا العزيز ، ويقع على إرتفاع عالٍ عند شاطيء النيل مباشرة . وإمتداده إلى داخــل الصحراء يوصل إلى المنطقة المعروفة بمنطقة القلالى التى تقوم الآن بعثة سويسرية بمساعدة بعض رهباننا فى الكشف عنها .

وفى طريق العودة مررنا بثلاثة مراكز للتنمية فى ثلاث قرى مختلفة ، ومن نعمة الله أن لكلٍ منها كنيستها الخاصة . **ومن مآثر الأنبا بيمن أنه إستنهض القرويين إلى الإعتزاز بقوميتّهم حتى أن شوارع قراهم ، على الرغم من كونها غير مسفلته ، على غاية من النظافة ، كما تتوسط ميدانها فسقية مستديرة من الزهور المنعشة .**

وفى الزيارة الثانية قضيت عصر الخميس وإلى منتصف الليل منه فى المحاضرتين ثم التحدث مع طالبى المزيد . **وفى صباح الجمعة أخذونى لزيارة دير السيدة العذراء بالجنادلة (أبو تيج)** . ولولا أن جزءً من الطريق العلم كان تحت الترميم لتمكّنا من حضور القداس الإلهى ، من أوله . على أننا حظينا بنعمة الله بجزئه الأخير . وكان يؤديه أسقف أبو تيج الأنبا أندراوس (أطال الله عمره) . **وهذا الدير محفور فى الصخر منذ العصر الفرعونى ثم تحوّل إلى كنيسة** . وينزل إليه الزائر بعدد وفير من السلالم (الصخرية هى أيضاً) . **وقد شقّ القبط فى العصور الأولى قلالى حول المغارة الرئيسية كان يسكنها النسّاك. أما الآن فقد أصبحت غرفاً** للمكرسات اللواتى يؤدين خدمة ممتازة لأهل القرى المجاورة ولإضافة الزوّار . وقد نلنا يومذاك بركة الغـذاء مع نيافة الأسقف بعد أن كانت أرواحنا قد حلّقت معه فى القداس الإلهى . وكان الغذاء فى إحدى القاعات المحفورة داخل الصخر **فسعدنا بالجلوس حيث جلس آباؤنا جيلاً بعد جيل .**

ومن الجنادلة قصدنا إلى دير السيدة العذراء بدرنكة (أو بجبل أسيوط) ، وهو أيضاً محفور داخل الصخر – ولكنه فى أعلاه . وقد مهّد الأنبا ميخائيل مطران أسيوط (أطال الله عمره) الطريق بحيث تصعد السيارة لغاية بّوابة حوش الدير ، **والكنيسة قائمة داخل صخرة أعلا من الصخرة المحفورة فيها القلالى** والتى

تقع غربى الكنيسة . وهنا أيضاً إلتقينا بالمكرسات وشهدنا معرضاً من أشغالهن اليدوية .

كذلك شيّد المطران الجليل عدداً من الشاليهات على الهضبة الواقعة خلف هضبة الكنيسة ولكن على مرتفع منها . وقد هيأها لكى يجد فيها الزّوار ، فى مختلف المناسبات ، أماكن مريحة يقضون فيها فترة زيارتهم لهذا المكان المقدس .

والديران من الأماكن التى تقدستّ بأنفاس القديسين منذ العصور الأولى . **وإن الزائر لكل منهما ليشعر ساعة دخوله إليهما بانتعاش روحى بهيج . فكأن أرواح الأجيال السابقة التى رفعت إبتهالاتها منهما تتهلل لأن ترى أحفادها يسيرون على منهجها فى إلتصاقهم بالسيد المسيح** . والعجب فى موقع هذه الهضبة أن الواقف فى حوش الكنيسة يطل منه على الحقول الممتدة إلى آخر الأفق – فكأنها إطلالة على الأبدية تزيد روحه إنتعاشاً .

وهنا لا يسعنى إلا أن أهيب بجميع أولاد الكنيسة الى أن يزوروا هـذين الـديرين لتحلّق أراوحهم نحو العرش السمائى وليدركوا متانة الصـلة التى تربطهـا برب الكنيسة وبآبائنا الذين سـاروا وراءه فى محبـة وولاء .

وفى هاتين الزيارتين كانوا يصحبونى فى العودة صباح السبت . أما فى الزيارة الثالثة فأخذونى صباح الخميس كالمعتاد . وفى ذهابنا توقّف سائق السيارة عند باب كنيسة السيدة العذراء بمنهرى (وهى تقع على الطريق العام) ، لكى ننال بركة أم النور أولاتم لنزور المقصورة التى تضم رفات السائح عبد المسيح المقارى المنهرى إذ أشار عليه ملاك الله ، فى أواخر أيامه ، أن يعود الى بلدته مستهدفاً جعله صورة حية عجيبة لكل المنطقة . فقد كان يرى اللامرئى ويسعد بصحبة القديسين . وكان المارّون أمام الغرفة التى يقطنها (وهى الآن المقصورة التى تحوى جثمانه) يرون أصابعه المرتفعه نحو السماء فى الصلاة شموعاً مضيئة . وقد بلغ تقشفه جداً عجيباً حتى أنه لو ترك ثوبه على قارعة الطريق ما التقطه إنسان ! ثم عدت آنذاك ظهر الجمعة لأن الأنبا ييمن كان سيصل إلى مطار القاهرة عائداً من لندن مساء ذلك اليوم – تلك العودة التى ثبت أنها لآخر مرة إذ قد شاء رب الكنيسة أن يدعوه إلى فردوسه يوم ١٩ مايو سنة ١٩٨٦.

* * *

١١ - " طوبى لأنقياء القلب
لأنهم يعاينون الله "

- متى ٥ : ٩ -



نيافة الأنبا يوأنس يبارك الشعب بأيقونة القيامة سنة ١٩٨٧

الفهـرس

مقدمة

كتـــــاباته

+ + +

مقدمة : -

منذ سنوات ، وبالتحديد صيف سنة ١٩٦٤ ، قصد الراهب القمص شنودة السريانى إلى لندن للعلاج من إنزلاق بين فقرات*سلسته الفقرية . وكان مدير الدراسات الشرقية بجامعة كمبردج آنذاك البروفسور د . يلاملى (١) الذى حدث أن جاء إلى مصر قبل ذلك للإشتراك فى دراسة ما عثر عليه المنقبّون من كنائس فى النوبة – وكان البعض منها فى حالة جيدة . وقد عثروا عليها عن غير قصد وهم ينقلون معبد أبو سمبل حرصاً عليه من المياه التى تغمره عند الإنتهاء من بناء السد العالى . وشاءت العناية الإلهية أن يتعرّف د . يلاملى بالقمص شنوده السريانى . فلما قصد هذا الراهب الوديع القلب إلى لندن ذهب الأستاذ الذى تعلّم أن يحب مصر للسؤال عنه . وفى يوم الأحد الذى كان سيقيم فيه أبونا شنودة السريانى القداس الإلهى حضره العالم المستشرق ثم دعاه فى اليوم التالى إلى إجتـا ع إنعقد فى القاعة الملحقة بكتدرائية

. (1) Prof . Dr . Plumly

وستمنستر ووقف يرحب به بكل حفاوة . **ومما قاله : " إن للقمص شنودة السريانى قلباً نقياً ناصع البياض كبياض الثلوج التى تغطى قمم جبالنا ، وإننى لأتمنى لو أنه يبقى بيننا فترة أطول لننهل من محبته ووداعته ونقاء قلبه . "**

هذا ما وصفه به أستاذ كبير له وزنه فى المجتمع الغربى إجتماعياً وعلمياً وروحياً . ولما كانت شهاده الذين هم من خارج هى أسطع دليل على شخصية من يشهدون له كان لكلمات د . يلاملى رنين خاص فى آذان محبّى الراهب شنودة السريانى . ولقد تضاعف هذا الرنين وترددت أصداؤه فى أعماق قلوبهم حين نال الكرامة الأسقفية فأصبح الأنبا يؤنس أسقف كرسى الغربية . فأحبوه عن عمق إذ وجدوا أن هذه الكرامة زادته وداعة وتواضعاً ومحبة .

وإنى لأذكر أنه حين جاء إلى القاهرة لأول مرة بعد رسامته ذهبت لأنال بركته ولأعتبر له عن فرحتي بمانال من تقدير . **وفى هذا اللقاء الأول مع الأنبا يؤنس قلت له بدالة المحبة : "أظن إننا من دلوقت حنقول ياسيدنا . " وفى تلك اللحظة عينها دخل شابان من شباب طنطنا فبادرهما بالحديث : " قولوالى ماذا قلت لكم فى الإحتفال الذى أقمتوه لتكريمى عن النداء الذى تنادونى به " . أجابوه لفورهم : " لقد أكدت علينا أن نناديك بكلمة " يا أبانا الأسقف فهيتنا حاسماً عن ندائنا إياك بكلمة ياسيدنا "** . ففرحت فرحاً عظيماً وإعتذرت إلى أبى الأسقف يؤنس . وترابط فى ذهنى ساعتئذٍ قول والدى للأنبا يؤنس التاسع عشر ، البابا المائة والثالث عشر ، وهو . " هل هناك صلة أجمل من صلة الأبوة ؟ إن رب الأكوان علمنا أن نقول " أبانا الذى فى السموات " – وشتان ما بين إبن يخاطب أباه وبين عبد يخاطب سيده " . وهذه الشُقة الوسيعة ما بين الإبن والعبد التى كان الأسقف يؤنس على وعى تام بها هى التى دفعته إلى رجاء شعبه أن يناديه " يا أبانا "

والآن فلنتتبّع سيرته من أولها ثم مسيرته الأسقفية مع شعبه ومع كل عارفيه . (١)

---

(١) إنه لجدير بالأجيال المتعاقبة أن يعرفوا بأن أجدادهم كانوا ينادون على أساقفتهم بل وعلى باباواتهم أيضاً بكلمة " أبونا " – وهذا الواقع تشهد به مخطوطاتنا كما تشهد به كتبنا الدينية والتعليمية . فلم يبدأوا بإستعمال كلمة " سيدنا " إلا إبتداءً من سنة ١٩٣٠ . وفى تلك السنة عينها إعتلى أول مطران السدة المرقسية التى ظلت من البداية وإلى ذلك التاريخ قاصرة على الرهبان بل وعلى المتبتّلين من العلمانيين . وهذا يعنى أنه حين إنكسرت تقاليد الإختيار للكرسى الباباوى إنكسرت معها تقاليد النداء على الجالس عليه . ولم يلبث النداء الدخيل أن إمتد ليشمل الأساقفة ثم إمتد إلى أبعد عند السلام عليهم بتقبيل الأرض أمامهم أولاً ! .

- البداية : -

إن الله العجيب فى كل تدبيراته حين خلق الإنسان على صورته ومثاله خلقه على هذه الصورة وهذا المثال ليكون وسيلته الفعّالة بين كل مخلوقاته . فهو الوحيد بينها الذى يرفع عينيه نحو السماء ، وهو الوحيد الذى يبنى ويشيد وينتقل من دور حضارى إلى آخر : ولا عجب فإن المبدع خلق كل الكائنات بكلمة فقط أما الإنسان فصنعه بيديه . ومن وعى آبائنا لهذه الحقيقة المذهلة فى حد ذاتها علمونا بأن السيد المسيح حين وقف أمام قبر لعازر قال لمن حوله : " إرفعوا الحجر " مستهدفاً بــذلك أنه يريد منا أن نعمل بأنفسنا ما نستطيعه وهو له المجد يستكمل ما لا نستطيعه . فإذا ما تتبعنا قصة كنيستنا الحبيبة وجدنا أنه يقيم لها فى كل عصر من يسعون إلى عمل كل ما يستطيعــونه فيحملون نير السيد المسيح بفرح متيقّنين أنه يحمله معهم . فكما أنه لا يدع نفسه بلا شاهد هكــذا لايدع كنيسته بلا شــاهد . ألم يشتَرِها بدمه الزكى الغالى ؟ ثم ألم يجعل منها جسده السرىّ المقدس ؟

وإنطلاقاً من هذا الهدف الإلهى العجيب شاء الله أن يرسل الطفل رمزى عزوز يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٢٣ إلى أبوين ممتلئن نعمة ومحبة للكنيسة ورب الكنيسة . فتربى على هذه المحبة الدافقة منذ نعومة أظفاره .

وبديهى أنه مر بالمرحلتين الإبتدائية والثانوية ثم إختار أن يدخل قسم التاريخ بجامعة القاهرة ونال منها الليسانس صيف سنة ١٩٥٢ . وحال تخرجه عينه وزير التربية والتعليم فى مدرسة الملك الكامل بالمنصورة فظل بهذا العمل لغاية آخر السنة الدراسية سنة ١٩٥٥ .

غيره بيتك أكلتنى : (مزمور ٦٩ : ٩ ، يوحنا ٢ : ١٧) .

على أن جميع الذين تربوا فى الكنيسة ونمت محبتها مع نمّوهم الجسمى والذهنى لم يكن فى إستطاعتهم أن يصّموا آذانهم عن نداء هذه الأم الكبرى التى ولدتهم فى جرن معموديتها . فليس بغريب على الشــاب رمزى عزوز أن يبدأ خدمته الكنسية أثناء دراسته الثــانوية . فبدأ بالإنضمام إلى مــدارس الأحد بكنيسة الملاك ميخائيل بطوسون سنة ١٩٣٧ . ثم خــادماً بها سنة ١٩٤٢ حيث إرتبط فيها بخدمة فصل القديس أنبا مكارى الكبير . وفى الوقت عينه خدم فى كنيستىّ الأنبا أنطونى أبى

الرهبان والقديسة دميانة – والكنائس الثلاث تقع فى حى شبرا إذ هو من مواليد هذا الحى الذى المتبارك بالعدد الوفير من الكنائس ومن الخدام والخادمات .

ثم أضاف إلى خدمته العملية خدمته بالقلم إذ ساهم بمقالاته فى مجلة مدارس التربية الكنسية (الأحد سابقاً) . ومذاك لم يترك الكتابة . ووضحت تماماً مما كتب محبته العميقة للقديسين الذين بلغت محبته لهم حداً جعل كل أصحابه وقرائه يستشعرون أنه لا يكتب عنهم بل هو يعايشهم فى عشرة حلوة .

إنتظامه فى سلك الرهبنة :

ومن نعمة الآب السماوى على أولاد هذا الجيل أن الطرق الموصّلة إلى الأديرة أصبحت ممهدة على طول الطريق لغاية أبواب هذه المعاقل الروحية . ووجد رمزى عزوز الفرصة مواتية لزيارة هذه الأماكن التى تقدست بأنفاس عمالقة الإيمان . وفى صيف سنة ١٩٥٥ قصد إلى دير السيدة العذراء المعروف بالسريان كعادته فى كل عطلة مدرسية . على أنه فى هذا الصيف قرر البقاء فيه نهائياً . وحين تمت شعائر رسامته راهباً فى يوليو من السنة التالية أصبح شنوده السرياني . وحدث أن زارة أحد محبيه فقال له : " أتوقّع أن نرى مؤلَّفا ضخماً عن الأنبا شنودة رئيس المتوحدين الذى هو شفيعك . " أجابه بتلقائيته العذبة : " أنـا لم أحضر هنا لكى أكتب عن الأنبا شنودة إنما حضرت لأحيا حياة الأنبا شنودة "

وهذه الكلمات التى بدرت عنه فى مستهلّ حياته الرهبانية تعبّر تعبيراً رائعاً عن حياته إلى نهايتها . **فهو قد آمن بصدقٍ بالتلمذة المستديمة** حتى كأنه يردد لنفسه بلا ملل : " أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام (فيلبى ٣ : ١٣) . وهو فى تلمذته المتواضعة شابه البابا ديمتريوس الكّرام [١] فى إرتضائه بالتلمذة للعريف بل والجلوس عند قدميه ساعة الدرس . **ولأنه كان تلميذاً أميناً على وعى عميق بما فى تراث كنيستنا المحبوبة من روحانية حيوية لم يكتف بأن يتتلمذ لهذا التراث بل سعى جاهداً ، حين وصل إلى الأسقفية أن يوُصله لشعبه أيضاً . إنه كان فى شخصه نموذجاً حّياً حتى لكأنه ظلّ يردد مدى حياته " ها أنذا أرسلنى " (أشعياء ٦ : ٨)** بل إنه لم يتراجع حتى عن الأسفار فذهب إلى السودان على الرغم من ضعفه . وهناك عمل وتعلّم أيضاً .

---

(١) قصة الكنيسة القبطية للمؤلفة حـ ١ الفصل الذى يحمل إسم هذا البابا .

ولأنه ظل على تواضعه إلى النهاية كان يقول جهاراً : " إن طقس كنيستنا عظيم ومتّسع ولا أعرف منه إلا القليل " . **ولو أننا سايرنا آباءنا فى تلقيبهم الأنبا أثناسيوس الرسولى بحامى الإيمان القويم والأنبا ديسقورس** [٢] **بحامى الأرثوذكسية لأطلقنا على الأسقف يؤنس لقب : " حامى الطقوس " .**

ولصدق تواضعه وأدبه كان كثيراً ما يحضر الإجتماعات الروحية وعظات القداس الإلهى معطياً الفرصة للأب الكاهن أن يعظ فى حضرته ويقول فى بساطة متناهية:" أنا بانبسط لما أقعد أتعلم . ومش ممكن الواحد يعرف كل شىء . لازم نتعلم من بعض ."

ومن أبدع ما تتضمنته طقوسنا القبطية الألحان ذات الروعة الخاصة التى شهد لها المستشرق الفرنسى رينودو بقوله : " إن الألحان القبطية تتميّز بسمةٍ خاصة : إنها تجمع بين نغمة الفرح وعمق الحزن وفى الوقت عينه تجمع بين نغمة الحزن وبهجة الفرح " . فمن البديهى أن محبة الأنبا يؤنس للتراث الكنسى المذهل شملت محبته الغامرة للألحان . فأنشأ فى طنطا معهداً خاصاً بتسليم الألحان فى صفائها الأصيل . وإختار للتدريس فيه نخبة من شمامسته . وفى حفل إفتتاحه العام الثانى لهذا المعهد مساء الإثنين ١٢ أكتوبر سنة ١٩٨٧ طلب إلى هؤلاء الشمامسة أن يترنّموا باللحن المثير " سجوه وزيدوه علّواً إلى الأبد " مستهدفاً به إلى دفعهم ليظلوا يحيون حياة التسبيح المستمر الملازم لحياة التقوى .

ومن الواضح أن الأنبا يؤنس جمع ما بين التلمذة المتواضعة والأبوة الحانية . ووعيه الروحانى العميق جعله يتفهّم الأبوة على أنها حنان حتى النخاع بل حتى الدم : إنها إتحاد كيانى بالمسيح الحنون .

مجالات خدمته : -

وهنا نهتف مع رسول الأمم : " ما أبعد أحكام اللّه عن الفحص ... " (روميه ١١ : ٣٣) . ومن هذا العجب الفائق الإدراك بأنه قال لحنانيا حين أرسله إلى شاول : " سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجلى " (أعمال ٩ : ١٦) . وقديماً هتف المرنّم "

---

(٢) قصة الكنيسة القبطية للمؤلفة حـ ٢ الفصل الأول .

طوبى للرجل الذى إخترته يارب .. رتّب مصاعد فى قلبه فى وادى البكاء " (مزمور ٨٣ فى الأجبية) . . وهذا التعامل الإلهى المذهل وضح فى حياة الراهب شنودة وتابعه وهو الأسقف يؤنس . فلم تمص على رهبته سوى فترة قصيرة حتى أصيب بآلام عنيفة فى عاموده الفقرى إضطر معها إلى النزول للقاهرة للعلاج . وتتضاعف دهشتنا أمام أحكام الله اللامفحوصة : فما إن قضى القس شنودة السريانى أياماً بها حتى إختاره المسئولون ليكون المشرف الروحى للطلبة الإكليريكيين فنال الكثيرون منهم بركة التتلمذ له والعيش تحت إشرافه .

ورسمه الأنبا ثيؤفيلس أسقف ديره قساً فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٦ بكنيسة السيدة العذراء بالعزباوية مقر رهبان دير السريان بالقاهرة (وتقع خلف الكتدرائية المرقسية بالأزبكية) . ولقد تميز القس شنودة السريانى بصفات تبدو متضادة فهو حنون عطوف وهو حازم قوى . فعامل الطلبة الإكليريكيين كأب رحيم وكمعلم يحتّم الدقة فى العمل والمداومة على هذه الدقة . وإذ تمعّن المسئولون هذه الميزات طلبوا إليه تدريس مادة اللاهوت الروحى . فأدى تدريسه لهذه المادة إلى وضع الجزء الأول من كتابه " بستان الروح " سنة ١٩٦٠ ثم أعقبه بالجزء الثانى سنة ١٩٦٣ .

ومع كل هذه الإنشغالات إستمر حنينه الرهبانى يتضاعف فى داخله ، فكان يذهب إلى الدير من وقت لآخر ويقضى به فترات طويلة . وخلال تلك الفترات كان الأنبا تيئوفيلس يعهد إليه بإستقبال الزوّار الأجانب لا لمعرفته الإنجليزية بطلاقة فقط بل أيضاً لعذوبته فى التعامل مع الناس . ومن طريف ما حدث أن سأله ضيف ذات مرة : " هل لديكم تليفون " ؟ أجابه بفوريّته الرقيقة : " نعم . ولكنه يتصل بالسماء فقط . "

ومن الأدلة على عمق تبصّره لحنين الروح أقام بيتاً للخلوة فى الدير أقامه الأنبا تيئوفيلس مشرفاً عليه ، ثم رسمه قمصاً .

وأكبر ما تميّز به القمص شنوده السريانى هو كيفية تأديته شعائر القداس الإلهى . فهو أحب تقاليد كنيسته وطقوسها محبة صافية ، فكان يصلى هذه الشعائر القدسية من عمق أعماق قلبه . ولقد حباه رب الكنيسة صوتاً حنوناً عميقاً مليئاً عذوبة : فيصعد من قلبه ممتداً إلى القلوب التى تتجاوب تلقائياً مع روحانيّته فتهتز بتلك الروحانية الفائضة .

إنه كان مفتتناً بتأدية هذه الصلوات المقدسة يفرح فرحاً يوم أن يؤديها وعلى الأخص حين يصليها في مغارة الأنبا بيشوى القائمة داخل الدير يوم تعييد الكنيسة بتذكار هذا القديس الموصوف بأنه " الرجل الكامل حبيب المسيح " . ولأنه كان على هذه الدرجة من التعمق الطقسى كان يُعهد إليه بتسليم طقس الصلوات الشعائرية للرهبان الجدد والكهنة وهم يقضون الأربعين يوماً الأولى من رسامتهم بدير السريان .

إختيار البابا كيرلس السادس له سكرتيراً:

ولما جلس الأنبا كيرلس على السدة المرقسية إختار أربعة ليكونوا سكرتيريه منهم القمص شنوده السريانى . **ولكى يستطيع أن يؤدى كل المهام المنوط به تأديتها إضطر إلى أن يلبس حزاماً من الحديد ليسند به ظهره صنعه له د . أمين حبيب المصرى تقوية له على الوقوف خلال الصلوات الكنسية . وهو فى كل هذه المشاغل التى صاجها الألم كان يشعر بيد الله الحانية تسانده .**

ثم إنتدبه هذا البابا الوقور لحضور مؤتمر كنسى إنعقد بمدينة مندولو بروديسيا الشمالية من ٢٩ أغسطس - ٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ ، ثم إلى مؤتمر تجمّع الكنائس الأفريقية الذى إنعقد فى السنة التالية بمدينة كمبالا بأوغندا . وبعد الإنتهاء من هذا المؤتمر وتنفيذاً للرغبة البابوية ، قصد إلى الخرطوم وأقام نهضة روحية بالخرطوم بحرى وأم درمان ووادى مدنى .

قوتى فى الضعف تكمل (٢ كورنثوس١٢:٩) .

ولقد وضح للجميع أن القمص شنوده السريانى لم يكن ليشفق على نفسه إطلاقاً تاركاً الشفقة لرب الشفقة . وهنا أيضاً نبهت أمام حكمة الله الشفوق الذى قال ومازال يقول قوتى فى الضعف تكمل . **ففى ضعفات خادمه الأمين كملت قوته .** وهذه الضعفات إضطرت شنوده السريانى للذهاب إلى لندن للعلاج هناك صيف سنة ١٩٦٤ . فأجرى له الطبيب المختص عملية جراحية فى عاموده الفقرى حماية له من الشلل الذى كان يتهدده . ومع خطورة هذه العملية شاء الآب السماوى نجاحها إشفاقاً منه على خادمه الذى ظل أميناً فى الخدمة على الرغم من الآلام الممضّة . فعاد من لندن معافى .

تصاعد جهوده :

ثم رأى هذا الخادم الصبور مدى إحتياج القبط إلى التعرّف على تاريخ كنيستهم العريقة : إنها " الجندى المجهول " الذى صارع عشرين قرناً فإذا بأولادها فى القرن العشرين لايدرون شيئاً بكفاحها الطويل المرير . وبإزاء هذا الجهل عكف على الكتابة فنشر مؤلَّفاً عن " الإستشهاد فى المسيحية " سنة ١٩٦٩ ، تلاه كتاب " الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل " سنة ١٩٧١ . ثم أصدر مذكرات متعددة عن " الرهبنة القبطية ، " عصر المجامع " ، تاريخ الكنيسة القبطية بعد مجمع خلقيدونية . " وهذه الخدمات الوفيرة والكتابات العديدة قد إستغرقت ست عشرة سنة كلها صراع روحى وجهاد باطنى محبةً منه لكنيسته : **إنه شابه السبّاح الماهر بأن عرف أن يجالد الأمواج المتلاطمة ويعلو فوقها بنعمة ذاك الذى أجزل له العطاء .**

أعباؤه الأسقفية فى الخارج :

ولقد تم تنصيب[1] قداسة البابا شنوده الثالث يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١ ، وهو قد زامل شنوده السريانى فترة من رهبنته فعرفه عن قرب . وحين وجد إيبارشية الغربية شاغرة رأى أن خير من يشغلها هو هذا الزميل الوديع القلب . فبادر إلى رسامته أسقفاً على كرسى الغربية بإسم " يؤنس " فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٧١ (٣ كيهك سنة ١٦٨٧ سن) . وهذا اليوم هو الذى تعيِّد فيه كنيستنا المحبوبة بتذكار تقديم السيدة العذراء إلى الهيكل وعمرها ثلاث سنوات ونصف . وفى اليوم عينه رسم قداسة البابا راهباً سريانياً آخر أسقفاً على البحيرة ومطروح والخمس مدن الغربية بإسم الأنبا باخوميوس . على أن البابا المعظم لم يكتفِ برسامة الأنبا يؤنس أسقفاً بل إختاره فى الوقت عينه سكرتيراً للمجمع المقدس من سنة ١٩٧٢ وعلى إمتداد إثنتى عشرة سنة ، وأسند إليه أيضاً ريـاسة المجلس الإكليريكى المسئول عن النظر فى الأحوال الشخصية . كذلك إنتدبه للتدريس فى الكلية الإكليريكية بقسميها النهارى والليلى . وبعد ذلك إختاره عضواً بهيئة الأوقاف وبلجان الحوار مع الكنيسة الكاثوليكية على المستويَين المحلى والمسكونى . وحين سافر قداسته إلى روسيا وأرمينيا رأى أن يعهد إليه بإدارة شئون البطريركية أثناء غيابه .

---

(١) صلاة التنصيب تقال للأسقف الذى يأخذ الباباوية ، أما الراهب المختار من الشعب فهو الذى تقام له شعائر الرسامة ذات الروعة العظمى التى يُحرم الشعب من الإستمتاع بها عند تنصيب أسقف أو مطران .

ثم شاء رب الكنيسة أن يعطّف قلب البابا الرومانى فيقبل إعطاءنا رفات الأنبا أثناسيوس الرسولى صيف سنة ١٩٧٣ . فسافر قداسة البابا شنوده الثالث بنفسه لإستحضارها وإستصحب معه وفداً على رأسه الأنبا يؤنس .

كذلك نعلم أن قداسة البابا رسم أسقفيْن فرنييْن كبيرهما الأسقف مرقس وثانيهما الأسقف المساعد الأنبا أثناسيوس يوم عيد العنصرة سنة ١٩٧٢ . على أنه قبل رسامتهما أوفد الأنبا يؤنس ليتفقّد أحوالهما ، وعلى الأخص ليتعّرف مدى إستيعابهما للتعاليم القبطية الأرثوذكسية . وبعد هذه الزيارة قدّم الأسقف الغيور تقريراً مفصّلاً أدّى إلى أن يرسم البابا المعظم هذين الراهبين أسقفين .

أما سنة ١٩٧٣ فقد تحقق فيها للكنيسة تطلّعان لهما مغزاهما : الأول أن البابا شنوده الثالث قام برحلة للفاتيكان عاد منها حاملاً رفات الأنبا أثناسيوس الرسولى . وقد إستصحب معه فى هذه الرحلة التاريخية نيافة الأنبا يؤنس . أما التطلّع الثانى فهو أن الأنبا يؤنس بدافع تقديره لرسول الأمم إشتهى أن يستحضر رفات هذا الكارز العظيم كى يضعها فى الكتدرائية الضخمة التى أزمع على بنائها إلى جوار مبنى المطرانية بإسم مار بولس . فلما عاد من رحلته مع قداسة البابا وبعد الصلوات التى أقاموها تمهيداً لإيداع هذه الرفات الكريمة بمزارها تحت صحن الكتدرائية المرقسية بالأنبا رويس ، عاد الأسقف الدؤوب إلى روماثانية ونجح فى الحصول على أمنيّته .

ثم حدث أن رتّب الرئيس أنور السادات رحلة إلى الولايات المتحدة للتفاوض مع رئيسها كارتر بشأن إعادة صحراء سيناء إلينا . فرأى البابا شنوده الثالث أن يوفد مندوبيه للتفاهم مع القبط المقيمين بتلك البــلاد كى يمتنعوا من القيام بمظاهرات عدائية ضد الرئيس المصرى كما فعلوا فى رحليتْه السابقتين . ولهذا الغرض إنتدب الأنبا صموئيل أسقف العــلاقات العامة والخــدمات الإجتمــاعية والأنبا يؤنس وألبرت برسوم سلامة الذى كان وزيراً للدولة آنذاك . ومن نعمة اللّه أننى كنت فى نيويورك فى ذلك الـــوقت لزيارة أختٍ لى هى وزوجهـــا فنلنا بركة مقابلة هذين الأسقفين الجليلين . **ومما يجدر أن تعرفه الأجيال القادمة أن الأنبا يؤنس صرف مجهوداً جبّاراً فى هذا السبيل إلى حدٍ إضطره إلى ملازمة الفراش ثلاثة أيام .**

ثم زار تلك البلاد مرتين بعد ذلك : الأولى صيف سنة ١٩٧٥ التفقّد القبط المتناثرين فى مختلف أرجائها وفى كندا . والمرة الثانية فى صيف سنة ١٩٧٧ فى مرافقته لقداسة البابا شنوده الثالث حين قام برحلته الراعـوية . وبعد سنتين من إفتقاد القبط

فى مهجرهم الغربى إتجه البابا المعظم نحو الإفريقيين . فنحن نعلم أن كاروزنا العظيم مارمرقس نشأ فى القيروان التى هى إحدى المدن الغربية الخمس . وعلى ذلك يكون البابا الأسكندرى منذ نشأة المسيحية هو البابا لأول وأقدم كنيسة إفريقية . وفى رحلته تنقل البابا الجليل ومرافقوه ، (وأولهم أنبا يؤنس) ما بين السودان وكينيا وتترانيا .

وبعد عودته من هذه الرحلة عاود الأنبا يؤنس زياراته للخارج بأن قصد إلى مدينة كييف (روسـيا) صيف سـنة ١٩٨٢ لحضور مؤتمر الكنائس الأرثوذكسية الذى إنعقد هناك . **فإذا ما تأملنا تجوالاته فى هذه الفترة إلى مختلف أنحاء المسـكونة أمكننا أن نقول فى ثقة إنه شابه السوّاح : كان " سائحاً " من طـراز جديد .**

أعباؤه الأسقفية فى الداخل :

وبعد أن تنقلّنا بأرواحنا مع هذا العملاق الروحى إلى البلاد شرقاً وغرباً نعود معه لنتأمل خدماته الراعوية للشعب الذى إئتمنه عليه رب الكنيسة . ولئن كان الواجب الأول الموضوع على الأسقف هو رسامة الكهنة الضروريين لرعاية الشعب إلا أن الأنبا يؤنس لم يكتف برسامة كهنة خلفاً لمن سبقوهم فقط بل إنه رسم كهنة لكنائس شيدت تحت رعايته . لذلك بلغ عدد الكهنة الذين رسمهم أربعة وثلاثين كاهناً وبُنيت ست كنائس جديدة توجّها ببناء كتدرائية ماربولس التى طلب إلى إيزاك فانوس الأيقونوغزافى المعاصر أن يزيّنها له بأيقونات قبطية صميمة . **وما على أى قبطى يريد أن يتمعن الفارق الشاسع بين أيقوناتنا وبين تلك الصور المستوردة إلا أن يتمعن الأثنين . ومن أبرز الأمثلة على روعة فننا الأصيل كنيسة السيدة العذراء بـأرض الجولف بمصر الجديدة وكنيسة ماربولس بطنطا . فهاتان الكنيستان (وغيرهما) تسطقان ببهاء جبل التجلى .**

ومن مآثر الأنبا يؤنس إفتتـاح كلية إكليريكية بطنطا فى سـبتمبر سنة ١٩٧٦ ألحق بها معهدين : الأول لخدمة حملة المؤهلات المتوسطة . والثانى لتعليم الألحان الكنسية فى أصالتها - وهذا فتحه لجميع راغبى الإلتحـاق به .

ومن بداية حياته الأسقفية سار على خطة عقد إجتماع أسبوعى مساء الجمعة . وهنا أيضاً يبهجنى أن أقول إننى دعيت ذات مرة إلى طنطا للإلتقاء بالشبان فى

إجتماعهم منساء الخميس وبالشابات فى إجتماعهن عقب الإنتهاء من صلوات القداس الإلهى صباح الجمعة . فبقيت ذلك اليوم لأنال بركة الإستماع إلى الأنبا يؤنس وتضاعفت فرحتى حين وجدت الكتدرائية الضخمة التى كان قد شادها الأنبا توماس بإسم مارجرجس تضيق على سعتها بالحاضرين إذ إضطر عدد منهم إلى الوقوف عند جانبيها وقرب بابها .

وهذه الإجتماعات كانت بصفة مستديمة . أما فى أيام الصوم فكان يقيم نهضات فى آحاد الصوم الكبير . **ولكى تكون على وعى بمدى هذه النهضات يجب أن نعرف أن حصيلتها ظهرت فى أحد عشر مؤلفاً .**

على أن هذا الراعى الساهر لم يقصر رعايته على العاصمة ولا حتى على المدن بل لقد إمتد بحنانه ليشمل القرى إذ هى أكثر إحتياجاً . ويجب أن لا يفوتنا أن نذكر أن رب الكنيسة وُلد فى قرية ، والناصرة التى تربى فيها كانت أقرب إلى قرية منها إلى مدينة . ولهذا ففى عهد الأنبا يؤنس وتحت رعايته بلغ عدد المذابح التى أقيمت فى القرى إثنين وعشرين مذبحاً ورسم إثنى عشر كاهناً إختارهم ببصيرته اللّماحة ليخدموا كنائس القرى والمذابح المجاورة لها . **ولما كان نيافته قدوة حية مقروءة من الجميع لمجد إسم الله القدوس فقد تكاثر عدد الخدام الذين تقدموا للخدمة فى القرى فهيأ لهم التأهيل الروحى والعملى لهذا الجهاد .** ولم تلبث روح الخدمة أن سرت إلى القرويين أنفسهم فأعدوا بدورهم لخدمة قراهم مما زاد شعورهم بالإنتماء لها وبمحبة أهلها . فصدق عليهم قول المـرنّم : " هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الأخـوة جميعاً معاً (مزمور ١٣٢ فى الأجبية) . ولكى يستطيع الوصول إلى خدمة أكبر عدد منهم أقام الصلوات الشعائرية الخاصة بالمذبح المنتقل . وهذا المذبح هو لوح مربع من الخشب السميك تتوسطه قربانه محفور بكل ركن من أركانها الأربعة إسم من أسماء السيد المسيح ، وعلى كل ركن من اللوح شاروبيم – وكلها محفورة بارزاً . وتقام على هذا اللوح صلوات تكريس المذبح فيصبح مذبحاً متنقلاً يحمله الكاهن إلى الأماكن الخالية من الكنائس ويرفع من فوقه شعائر القداس الإلهى حيثما ذهب : فى بيت أو حتى فى الهواء الطلق . **ومن خلال كل هذه الخدمات رأى الشعب فى راعيه القلب الوسيع والإيمان الوثيق فى أن الله يتكّفل بكل إحتياجات الخدمة .** وفوق ذلك عرفوا بالخبرة مدى تواضعه . ونرى هذا المدى فى المثل التالى : تخاصم قرويان فحاول أن يصالحهما . ولكن أحدهما أصرّ

على الرقص . ففوجىء بالأنبا يؤنس ينحنى ويقّبل رأسه بوداعته ويقول له : " حقك علىّ أنا ماتزعلش منى . " فإنهمرت دموع الرجل وأمسك بيد أبيه يقبلها بحرارة ويطلب منه المغفرة . وهكذا عرفه الجميع محبة متجسدة . بل عرفوه أغنية وفرحاً وعيداً . وهذه المحبة الباذلة تدعّمت بتعاليمه ، فكثيراً ما كان يردد أمامهم : " ليس لنا سلطان على الناس إلا بالمحبة فالمحبة وحدها تصنع العجائب والمعجزات " . وبهذا الوعى لسلطان المحبة إمتد بها فى سعة عجيبة لتشمل جميع المواطنين - فقامت بينه وبينهم أواصر الصداقة المتينة والتقدير المتبادل ، يزورهم فى شتى المناسبات ويتبادل وإياهم التهانى والتمنيات ويسارع إلى مواساتهم وقت الملمّات . فبلغ تقديرهم له أن دعته جمعية الشبان المسلمين فى أحد اللقاءات إلى إلقاء كلمة فى دارهم موضوعها : " عطاء مصر الروحى "

محبته للقديسين :

إن الأنبا يؤنس ، منذ أن كان الطفل رمزى عزوز ، نشأ على محبة الكنيسة ، إنه أحب طقوسها وصلواتها أحب ألحانها ودرج على الترنّم بها ، أحب تاريخها الطويل الذى إمتلأ بالأبطال الشهداء والمعترفين . ومن نعمة رب الكنيسة على خادمه الذى إفتتن بمحبته ومحبة جسده السرى أن حباه صوتاً عذباً مليئاً بالحنان . ولقد بلغت محبته للترنّم بالقداس الإلهى أنه كان يصمم على تأديته حتى فى ساعات مرضه ووضحت هذه المحبة فى كيفية صلواته . فكان يصلى دوكصولوجية باكر وهو بعد فى غرفته ويفسّـر معناها على أنها قولنا " صباح الخير يا قديس فلان / فلانة ." وكان يقول للمشفقين عليه :" مهما كنت متبعاً لا أريد أن أحرَم من رفع القداس والذبيحة . وكان الحاضرون فى الكنيسة يلاحظون أن قوةً عجيبة تملأوه خلال تأديته هذه الصلوات القدسية وتلازمه من بدايتها إلى نهايتها . وكانت فرحته بالقداس الإلهى فرحة مزدوجة : إنها الفرحة بسّر حلول الحمل المذبوح بيننا " والكلمة حل بيننا " ، والفرحة بأن هذه الصلوات جماعية - ففيها يقول الكاهن . يقول الشماس . يقول الشعب . إذن فهى صلوات كل المجتمعين فى الكنيسة ترتفع جماعياً وتتناغم مع صلوات السمائيين . ولا بد من أن تتوافق نهايات صلاة الكاهن مع

بدايات مردات الشماسة والشعب . فكل منهم يسلم للآخر لأنها " سيمفونية روحية " . ويشهد شمامسته بأن صوته كان عذباً وقوياً معاً ولحنه سليماً صافياً ونطقه واضحاً صريحا قبطياً وعربيا . وفي تمسكه الدقيق بألفاظ الخولاجى كان يوضح السبب بقوله : " **إن القداس قد إستلمناه هكذا لفظاً ولحناً. وعلينا أن نحرص عليه كل الحرص لنسلّمه كما تسلّمناه** ." وبهذا الوعي كان يربط بين اللفظ واللحن والمعنى . فمثلاً علّم : " إن الكاهن عندما يصلى عبارة " ونظرة إلى فوق (١) يجدر به أن يقولها بحيث أن كلمة إلى فوق ، تعلو يدريجياً فيماشتى اللحن اللفظ ، وينسجم اللحن واللفظ مع رفع الكاهن نظرة إلى فوق " .

وهذا التعليم المتناغم مع المسلك يوضّح لنا إحساس الأسقف الوقور بكل كلمة من كلمات القداس الإلهى .

ولقد عبّر الأنبا موسى الأسقف العام للشباب عن هذا الإحســـاس الباطنى بقوله : " إن الأنبا يؤنس كان بحراً يموج بالعلوم الكنسية على مستوى العقل ، ويَسْبَح فى بحار الحياة الكنسية على مستوى الوجدان والمحبة ، وينقل الإحساس الكنسى على مستوى الممارسة والتعليم ". بينما عبّر مجمع كهنة إيبارشية الغربية عن هذا الواقع عينه بأن أسقفهم " كان الأب الذى تحلو لنا معه العشرة . فهذا لمسناه جميعاً ونحن نستند فى إطمئنان على أبوّته وصدره المفتوح "

فليس بغريب إذن على من فاض قلبه محبة بالصلوات والتقاليد الكنسية هذا الفيض أن تكون محبته للقديسين عارمة إلى أحد أنه كان يعايشهم أو بالحرى يعيش معهم فى ألفة ومودة كأصدقاء حميمين وأن يتحدث عنهم فى كل المناسبات . ولفرحته الكبرى وجد فى إيبار التى لا تبعد عن طنطا إلا خمسة وعشرين كيلو متراً ديراً أثرياً للأمير الشاب الشهيد مارمينا العجايبى . وهذا الدير الأثرى كان ذا مغناطيسية تجتذب العدد الوفير من محى الكنيسة لزيارته . ولم تكن زيارة الغالبية منهم مجرد مرور عابر بل كانوا يجدون فى رحابه الفرصة الحلوة للإختلاء بالقديس فترتوى أرواحهم العطشى وتشبع نفوسهم الجائعة . ومع ذلك فالبيت الملاصق للكنيسة لا يضم غير قاعة تحيط بها بعض الغرف – وكلها قديمة متداعية .

---

(١) قبطياً : ϣⲉⲣⲉ ϯⲙⲁⲥⲛⲟⲩϯ ⲡⲓⲑⲁⲏⲗ ⲁϥϫⲱϣⲧ ⲉⲡϣⲱⲓ

على أن رب الكنيسة الذى يحدد الأوقات والأزمنة شاء أن يهيء لهذا الدير الأثرى والبيت المتداعى نيافة الأنبا يؤنس محب القديسين الولوع بالخلوات الروحية . فبدأ بتوسيع رقعة الأرض المملوكة للكنيسة . ولما وجد المكان فسيحاً شيّد إلى جانب الكنيسة داراً فخمة من أربع طوابق تتسع لمبيت خمسة وثمانين شخصاً ، وزوده بكنيسة بإسم الملاك ميخائيل وبقاعة للمحاضرات وبمطعم متكامل .

كذلك شاء رب الكنيسة أن يوضّح للناس إستمرار عجائبه من جيل إلى جيل . فالممر الموصل للأرض التى أقيم فوقها بيت الخلوة ممر ترابى لايزيد عرضه على ثلاثة أمتار . ومع ذلك فقد تحقق الحلم وإرتفع بيت الخلوة عالياً شاهداً بأن كنز اللّه مخفى فى الأوانى الخزفية ليكون فضل القوة للّه لا منّا " (٢ كورنتوس ٤ : ٧) . وتدعيماً لإبراز المحبة العجيبة للقديسين إفتتح الأنبا يؤنس بيت الخلوة يوم الأحد ١٥ بؤونه سنة ١٦٩٦ ش (٢٢ يونيو سنة ١٩٨٠م) ، وهو اليوم الذى تعيّد فيه الكنيسة بتذكار مارمينا ذاته .

ومن العجب بمكان أن الأنبا يؤنس كتب وهو مازال راهباً فى الدير سنة ١٩٦٣ يقول : " مساكين خدّام هذه الأيام - إنهم يفقدون حياتهم وسلامهم وسط دّوامة الخدمة . إن سر متاعبهم هو عدم هدوئهم إلى أنفسهم وعدم تكريس أوقات للإختلاء باللّه " . ومرت أربع وعشرون سنة على قوله هذا وإذابه قد حوّل كتاباته عن الخلوة إلى واقع معاش .

وإستكمالاً لعمله ، وبدافع محبته للشهيد العظيم جدّد كنيسته الأثرية وأقام بداخلها ستة مذابح جديدة يحمل كل منها إسم قديس أو شهيد مختلف عن الآخر يستشفع بهم المؤمنون ويجدون فى تعاطفهم القوة على المسير .

فحق لكل قاصدى بيت الخلوة ولكل المستمتعين بالصلوات القدسية أن يرددوا بلا فتور . " آخرون تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم " (يوحنا ٤ : ٢٧ - ٢٨) . نعم . دخلنا على تعبهم ليس فيما يتعلق ببيت الخلوة وحده ولكننا دخلنا على تعب الأنبا يؤنس فى كل ما أقام من مزارات لمختلف القديسين كذلك المزار الجميل الذى شيّده للقديسة رفقه وأولادها الخمسة المحفوظة أجسادهم إلى الآن بالكنيسة التى تحمل إسمهم بسنباط . فكان بحق حبيباً لتلك السحابة من الشهود " التى يذكّرنا بها حبيبه بولس الرسول .

ولئن إعترض البعض إستناداً إلى أن هذا الرسول عينه قد أعلن : " ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى " (١ كورنثوس ٣ : ٧) لكانت إجابة الآباء فيها الكفاية إذ علّمونا بأن الله ما كان ليمكنه أن يُنمى لولا أنه كان هناك إنسان يغرس ويسقى . فهو له المجد يؤازر الغارسين والساقين بنعمته فينمى البذرة التى غرسوها وسقوها بعرقهم ودموعهم .

وإذا كانت النفوس كباراً .:. تعبت فى مرامها الأجساد :

ومرة أخرى نبهت أمام إختيار الله . فالأنبا يؤنس كان ضعيف البنية . ومنذ أن أصيب فى عاموده الفقرى تزايد ضعفه الجسمانى . وليس بغريب أن يتزايد هذا الضعف فهو كان نحلة دؤوباً لا يهدأ ولا يستكين ولا يعطى لجسده المنهك أية راحة فهو حتى حين كان مضطراً إلى ملازمة فراشه كان يقابل كل من يريد مقابلته ،. ولقد إختبرت هذا شخصياً . فقد قصدت ذات يوم إلى طنطا لمقابلته بشأن إستكمال كتابه السنكسار . وكان يومذاك ملازماً سريره . ولكنه ما إن سمع بأننى فى قاعة الإستقبال بالمطرانية حتى أرسل لى كاهناً يستصحبنى إليه : وعبثاً حاولت إرجاء المقابلة لأن نيافته أصـــرّ على مقابلتى . وبالفعل نلت بـــركة الإلتقـــاء به وإستأذنته فى إستكمال هذا الكتاب التعليمى . فإذن لـــى على الفور (١) . فحقّ عليه قول الوعـــد الإلهى : " الفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد . والذين ردّوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور " (دانيال ١٢ : ٣) . إنه أذن لى وهو يبتسم إبتسامته الرقيقة . وقد يظن البعض أنه أصر على مقابلتى لأننى جئت من القاهرة ولكنه كان يسلك هذا المسلك عينه مع كهنته وخدّامه المقيمين فى طنطا . فهو لم يُشفق على نفسه إطلاقاً أشفق على الآخرين أما نفسه فلم يُشفق عليها تاركاً الشفقة لرب الشفقة .

---

(١) إن أول من أصدر كتاب السنكسار لقراءته فى الكنيسة يوماً بيوم هو الأنبا بطرس المليح أسقف مليج الذى عاصر الأنبا بطرس الخامس البابا الثالث والثمانين (سنة ١٣٤٠ - سنة ١٣٥٠ م) وقد قام بهذا العمل بنفسه شخصياً . وفى سنة ١٩١٣ قام فيلوثاوس وميخائيل الراهبان بدير الأنبا مكارى الكبير بنشر طبعة جديدة فى عهد الأنبا كيرلس الخامس البابا الثانى عشر بعد المائة (سنة ١٨٧٤ - سنة ١٩٢٧ م) . أما الطبعة الثالثة فقد أصدرها القمص عبد المسيح راعى كنيسة السيدة العذراء بالفجالة فى عهد الأنبا يوساب الثانى البابا المائة والخامس عشر (سنة ١٩٤٦ - سنة ١٩٥٦ م) . وبعد تجلّى السيدة العذراء بكنيستها فى الزيتون ، وبعد إستعادة رفات مارمرقس كاروزنا العظيم سنة ١٩٦٨ ، أصدر المؤرخ كامل صالح نخلة طبعة رابعة فى عهد الأنبا شنوده الثالث أطال الله بقاءه . لأن السنكسار كتاب تعليمى لا طقسى لذلك يمكن تغييره من وقت لآخر .

فلما ناء الجســد بمتطلّبات روحه إحتج قلبه عليه : إحتج بأن مرض . ومع خطورة مرض القلب فالأسقف الحنون لم يستسلم لهذه الخطورة وإستمر يعمل ولا يهدأ إلا عن إضطرار . وغنىٌ عن القول إن القلب المريض إزداد مرضاً . وتحت وطأة هذا المرض المتصاعد عاد إلى لندن مرة أخرى سنة ١٩٨٥حيث أجريت له عملية جراحية شاء الله له أن ينال الشفاء على أثرها . فعاد سالماً . وإستقبله قداسة البابا شنوده مهنئاً يوم السبت ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٨٥ . وتنفّس كل محبيه الصُعَداء ورفعوا تشكراتهم إلى الآب السماوى ضارعين إليه أن يحفظ لراعيهم المحبوب صحته .

على أنه قد قيل : " ما سُمّى القلب قلباً إلا لتقلبه " . فما إن هدأ قليلاً حتى عاوده ضعفه . وكيف لا يعاوده الضعف وصاحبه لا يهدأ ولا يستكين ؟! فظل هذا القلب تارة هادئاً وطوراً ثائراً . وخلال ثوراته كانت الآلام والتنّهدات تقود صاحب هذا القلب الثائر إلى مزيد من الصلوات والتضرعات مستعطفاً رب الكنيسة أن يهب النعمة الروحية لكل الأجيال المتتالية لتعيش بقوة الروح القدس وثماره المباركة .

ومن نعمة الله أننى ذهبت لمقابلته فى طنطا ذات يوم وقلبه فى هدوء . وكنت قد إنتهيت من كتابه السنكسار فذهبت أحمله إليه وتركته عنده لمراجعته . وكان يومذاك متهللا لإنتهــائه من بنـــاء كتدرائية مـــاربولس التى كان قد زيّنها له إيزاك فانوس تلبية لطلبه . وقد صور هذا الفــنان القبطى الأصيل سيرة رسول الأمم منذ أن إصطاده السيد المسيح على الطريق إلى دمشق لغاية حصوله على أكليل الشهادة . وبتلقـــائيته العذبة أخذنى الأنبا يؤنس للتبرّك بزيارة هذه الكتدرائية . وبعدها أصرّ على أن أتغدى على مائدته .

ومن عجيب أمر هذا الخادم الأمين أنه وجد الوقت لمراجعة السنكسار وكلمنى تلفونياً لأذهب وآخذ المخطوط . وهكـــذا نلت بركة زيارته للمرة الثانية فى فتـــرة كان القلب فيها هادئاً .

ولقد ظل الأنبا يؤنس منذ إصابته بمرض القلب وبعد إجراء العملية له على الرغم من نجاحها - ظل تحت رحمة هذا القلب المريض إلى آخـــر نسمة من حياته . فهو لم يحمل الصليب فقط بل إنه عــاش آلام الصليب : عاشها برضى وبهدوء نفسى وبالعمل البنّاء - مـــردداً لنفسه قـــول بولس الرسول :" لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً

أن تتألموا لأجله . " (فيلبى ١ : ٢٩) . فما دام الألم هبة من رب الصليب فهو بركة خفية . ولقد عبّر الشـــاعر الإنجليزى المعــاصر تومبسون عن هـــذه الحقيقة عينها بأن هتف من عمق آلامه:" أكانت آلامى ظل يدك الحانية المرفوعة فوقى لحمايتى ؟!" (١)

فرحته بإنجازات الآخرين :

ومرت الأيام : مرت بلاهوادة ولا رحمة . مرت لأن الخالق قد شاء أن يخلقنا لننمو . ألم يقل لنا البشير عن فـــادينا الحبيب إنه كـــان " يتقدّم فى الحكمة والقـــامة والنعمة ؟ (لوقا ٢ : ٥٢) . . . . ثم حدث أن خاطبني أحد طلبتي من المعهد العالي للدراسات القبطية يسألنى إن كان عندى مانع من أن يطبع لى السنكسار صاحب مطبعة مارجرجس بشيكولانى بشبرا . فما كان منى إلا أن كتبت خطاباً للأنبا يؤنس أطلعه على هذا الطلب . وفوجئت بعد ذلك بيومين برنين صوت الأسقف الجليل فى التليفون يقول لى والفرحة صريحة فى صوته : " إبعتيه المطبعة على طول ! ". وهكذا وصل السنكسار إلى مرحلة الطباعة فالنشر . ومما أوجعنى للغاية أن هذا الأب الحنون إنتقل إلى بيعة الأبكار قبل ظهور السنكسار . **على أن إيماننا الأرثوذكسى الصميم يعلمنا بأن من إنضموا إلى صفوف الكنيسة المنتصرة مازالوا على صلة بنا ومازالوا يهتمون بأمرنا . فلئن لم يكن قد رأى السنكسار ببصره فهو قد رآه ببصيرته الروحية .**

الخـــــــاتمة :

لقد كانت رحلة الأنبا يؤنس مع المرض رحلة طويلة مضنية بدأت سنة ١٩٦٤ وسارت معه مذاك إلى نهاية شوطه . وهذا معناه أن المرض ظل يطارد جسده ما يقرب من أربع وعشرين سنة . ولكنه إستمر يردد لنفسه قول رسول الأمم زميله فى الألم : " لأننى حينما أنا ضعيف فهناك أنا قوى " (٢ كورينثوس ١٢ : ١٠) . وبهذه المواجهة الباسلة إستطاع أن يحتفظ بروحه نشطة وبعقله صـــاحياً متنبهاً فإستطاع بالتـــالى أن يداوم

---

(1) Francis Thomson : The Hound of Heaven, Burns Oates Washbourne . ١٩٢٨ Ltd ., London

على صلواته وتأملاته وعلى التعليم والوعظ . ولكى تعرف الأجيال المتتالية مدى يقظته ووعيه بواجباته الراعوية يجدر بها أن تعرف أن آخر خدمة أداها هى توقيعه على نتائج إمتحانات الكلية الإكليريكية التى كان هو قد أنشأها فى طنطا . **ومن عجب الله فى قديسه هذا أن جعله يردد مراراً ومن عمق آلامه : " أنا لا يهزنى الموت بقدر ما تؤلمنى آلام الناس وأمراضهم لا أحتمل أن أرى إنساناً يعانى وليس له شفاء " !! وهنا أيضاً يحق لنا أن نقول إنه تطابق تماماً مع قول بولس الرسول عن رب المجد : " لأنه فى ما هو قد تألم مجرّباً يقدر أن يعين المجرَّبين " (عبرانيين ٢ : ٨) . ولأنه واجه آلامه بهذه البسالة فإن هذه الآلام كانت تسير به إلى مزيد من الصلوات . وهو بإحتماله وصبره كان قدوة حية على أن الآلام التى تواجه الخدام والخادمات ليست فى الأمراض الجسدية بل هى تكمن فى عمق النفس الأمينة الهاتفة** : " من يضعف وأنا لا أضعف من يعثر وأنا لا ألتهب . عدا ما هو دون ذلك . التراكم علىّ كل يوم . الإهتمام بجميع الكنائس " . (٢كورنثوس ١٢ : ١٨ - ١٩) .

وإننا فى تمعننا سيرة هذا الأب الوديع الصبور ترن فى داخلنا صدى هتافه المرنّم : " أما أنا فصلاة (مزمور ٩ : ٤) . ومن خلف هذه الهتافة نسمع التعبير العجيب : " ها إن الرب يعطى أحباءه نوماً " (مزمور ١٢٦ فى الأجبيه) . ففى يوم ٤ نوفمبر سمع الأنبا يؤنس صوت سيده يرنّ فى أذنيه : " أما أنت فإذهب إلى النهاية فتستريح وتقوم لقرعتك فى نهاية الأيام " (دانيال ١٢ : ١٣) . **فلبى هذا الرنين فى لحظة خاطفة وإنتقل فى سكينة وهدوء ، وصحّ عليه تعبير أحد القديسين المعاصرين : " تغفو الحواس . وتصحو النفس وتتم الرحلة "**

وإن آباءنا الذين إستلهموا الروح القدس فى كل ما عملوا وعلّموا رأوا ببصرتهم الروحانية أن الكهنوت كرامة تمتد من **هذا الدهر إلى الآتى . وبهذه الرؤيا وضعوا دفن الكاهن بكل** درجاته بملابسه التى يؤدى بها الشعائر القدسية لأنه إنضم **بإنتقاله إلى الأربعة وعشرين قسيساً** (١) **الجالسين حول العرش متسربلين بثياب بيض .**

يوم نياحته [٢] ويوم الأربعين :

ولقد شاء الفادى الحبيب أن يعطى الشعب دليلاً واضحاً على عنايته بخادمه الذى ظل أميناً إلى الموت – وهذا الدليل أوضحه فى القراءات المختارة لذلك اليوم من الأسفار الإلهية التى بدت كأنها تناجيه بدورها رداً على مداومته التناجى معها . فإنجيل عشية كان عن مثل الوزنات الذى ترددت فيه عبارة " كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك " (متى ٢٥ : ٢٠ – ٢٤) . بينما وردت فى مزمور القداس الآينان : " كثيرة هى أحزان الصديقين ومن جميعها ينجيهم الرب . الصديقون يفرحون ويبتهجون أمام الله ويظفرون فرحاً . " (مزمور ٣٤ : ١٩ ، ٦٨ : ٣) . كذلك تناغمت مع حياته الآيات التى قرئت من البولس : " أخيراً أيها الإخوة كل ما هو حق . كل ما هو طاهر . كل ما هو جليل . كل ما هو عادل . كل ما هو مُسر . كل ما صيته حسن . إن كانت فضيلة وإن كان مدح ففى هذه إفتكروا . وما تعلمتوه وتسلمتوه وسمعتوه ورأيتموه فىّ فهذا إفعلوا . وإله السلام يكون معكم . " (فيلبى ٤ : ٨ – ٩) . **ففى هذه التعبيرات ترددت خلاصة تعاليمه التى دأب على غرسها فى القلوب** . ثم جاء قول يعقوب الرسول مدعّماً لجهاده فى سبيل الإحتفاظ بكل فرد من شعبه وفى طلب البعيدين ليجعلهم قريبين من الفادى الحبيب .

ومن العجب العجاب أن القراءات فى مجموعها قد تناغمت معاً فى نتاجيها الأسقف المنتقل . ففى فصل الإبركسيس ورد : " الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب . لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان . فإنضم إلى الرب جمع غفير " . (أعمال ١١:٢٣ – ٢٤) . . وجدير بالذكر أن الذى أتى كان برنابا الرسول . وبرناباً قد خدم من البداية ، وهو الذى أحضر شاول (بولس) من طرسوس وساهم معه فى الخدمة كما ساهم فى الخدمة مع القديس مرقس فى قبرص ، ومع هذا كله فقد ظل فى الخلفية راضياً بأن يكون كالأساس المختفى تحت الأرض مع أن البناء القائم فوقه شامخ عالٍ .

---

(١) إن التعبير فى اليونانية والقبطية وفى كل طبعات الكتاب المقدس الصادرة عن الكنائس الرسولية هو " أربعة وعشرون قسيساً " . أما كلمة " شيخا " الواردة فى الطبعة المتداولة بيننا فهى ترجمة أمريكيين بروتستانت مستشرقين أصدروها فى بيروت – رؤيا ٤: ٤.

(٢) النياحة معناها الراحة .

والهدف الأمثل الذى سعى نحوه الأنبا يؤنس بمثابرة وعزم القلب هو أن يسير شعبه خلف الراعى الأعلى والحياة داخل خطيرته . وقد برز هـــذا الهدف بشكل مــذهل فى قــراءة الإنجيل :" لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرّ أن يعطيكم الملكوت . بيعوا مالكم وأعطوا صدقة .... طـوبى لأولئك العبيد الـذين إذا جـاء سيدهم يجـدهم ساهرين " (لوقا ١٢:٣٢-٤٤) . بل إن هذا التناغم قد وضح أيضاً فى قراءات يوم الأربعين . فالقطعة المختارة من البولس يومذاك أثارت الدهشة وملأت القلوب تعزية حلوة إذ كانت إشارة مبدعة لحمل الألم ، ففيها يهيب رسول الأمم بالعبرانيين : " ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس عن يمين عرش الله " (١٢ : ٢) .

وقبل مسايرة الأنبا يؤنس إلى نهايته نقف قليلاً لنتأمل العدد " أربعين " لأن له معنى باطنى لدى الروحانيين . فقديماً وضح فى أنه كان عدد الأيام اللازمة للتحنيط عند الفراعنة . ثم برز فى أن الله أبقى موسى فوق الجبل أربعين يوماً تهيئةً له لتسلّم الوصايا العشر . فلما تجسد رب المجد قضى أربعين يوماً فى البرية صائماً تمهيداً لبداية كرازته . وبعد قيامته المجيدة ظل أربعين يوماً يتراءى لتلاميذه ويتكلم معهم عن الأمور المختصّة بملكوت الله (أعمال ١:٣) . ولقد سار الرسل على هذا المنهاج الإلهى حالما حل عليهم الروح القدس إستعداداً منهم للكرازة . وكنيستنا الحبيبة ، عملاً بهذا التعليم الإلهى وضعت لشعبها الصوم بعد عيد العنصرة . كذلك وضعت ذلك التقليد المبدع فى أن يقضى المرسوم للكهنوت أربعين يوماً فى الدير إستعداداً لمباشرة مهاّمة الراعوية . وهذا المعنى الباطنى للعدد " أربعين " هو الذى جعل كنيستنا تقيم صلوات خاصة يوم الأربعين لإنتقال أى من أعضائها / عضواتها .

ولنعد إلى متابعة الأنبا يؤنس فنرى أن الآب السماوى قد شاء أن يكون يوم الأربعين لنياحته هو بالضبط يوم رسامته : ١٢ ديسمبر سنة ١٩٧١ م مقابل ١٢ ديسمبر سنة ١٩٨٧ فحقاً ما أعجب الله فى قديسيه – وما أعجبه فى قديسه المعاصر الأنبا يؤنس .

* * *

كتـــاباته :

هناك من يكتبون لمجرد التسلية أو للتنفيس عن هواجسهم . ولكن هذه الكتابات تتمـــاثل والشهب الوامضة التى تسطع قصيراً . ثم تتهـاوى فى الفضاء . أما ذاك

الذى يكتب عن وعى بالضرورة الموضوعة عليه فكتاباته تبقى على الأجيال : إنها كتابات عميقة تصدر عن القلب لتستقرّ فى القلوب . وهذا هو نوع كتابات الأنبا يؤنس . فقد بدأ وهو رمزى عزوز بمقالات نشرتها له مجلة مدراس الأحد (التربية الكنسية) . ومع أنه قال لأحد أصدقائه في مستُهل رهبنته إنه دخل ليعيش كما عاش رئيس المتوحدين لا ليكتب عنه إلا أن إنطلاقة قلبه أوصلته إلى الكتابة .

وبعد أن نال كرامة الكهنوت أصدر الجزء الأول من كتابه "**بستان الروح** " ولم يلبث أن أعقبه بالجزء الثانى . وبعد فترة إستجمام ظهر كتابه " **الإستشهاد فى المسيحية** " **أتبعه بكتاب** " **الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل** ". وبما أنه أصبح مدّرساً بالكلية الإكليريكية فقد إستهدف معاونة طلبته بالكتابة إلى جانب إلقاء المحاضرات ، فأصدر مذكرات عن " الرهبنة القبطية ، "**عصر المجامع** " ، " **تاريخ الكنيسة القبطية بعد مجمع خلقيدونية** " . وبعد أن ظهر كتابه " **العبادة فى كنيستنا: دلالتها وروحانيّتها** " عـــاد فأصدر الكتاب الثالث من " بستان الروح " ثم " **باقة عطرة من سير الأبــرار والقديسين** " تــلاه مباشره كتـــاب " **عصر الرســل** " . **ثم توالت كتبه بعد ذلك فأصــدر تباعاً** : « **إيماننا الأقــدس** " ، " **المسيحيـــة والألم** " ، " **معالم الطريق إلى الله** " ، " **كتابنا المقـــدس ومسيحنا القدوس** " ، " **مذكرات فى الرهبنة المسيحية** " ، " **السماء** " ، " **المسيحية والصليب** " .

ومن أبدع ماحدث أنه أصدر كتاباً بعنوان "**مسيحنا فوق الزمان** " تتبّع فيه مسيحناً عبر كل أسفار العهد القديم .. وإستثارنى هذا الكتاب إلى حد إننى تتبّعث ما جاء فى التعاليم الفرعونية الروحـانية عن فادينا الحبيب وضمّنتهـا كتاباً أسميتـه " تابع مسيحنا فوق الزمان ". ولست أدرى أكان ذهن الناشر منشعلاً بكتاب نيافة الأنبا يؤنس أم أنه خطر له إبراز إيماننا بأزلية الكلمة المتجســد فأصدر الكتاب بالعنوان عينه:" مسيحنا فوق الزمـــان ". وبكل صراحة أحسست بشىء من المضايفة لهذا التعدّى غير المقصود فأرسلت لفورى خطـــاباً إلى الأسقف الجليل أعرّفه بحقيقة الموقف وإعتذر له . وإذ به يفاجئنى بوداعته الرقيقة : يكلمنى فى التليفون ويهدىء نفسى وينتهى بالقول :" ولا يهمك " !

وخير إختتام لقدسية هذه السيرة العطرة نداء أبنائه عليه يوم الأربعين بقولهم : " يا أبانا الأسقف الطاهر يؤنس – أذكر أبناءك الشمامسة . ونحن بدورنا نتمثل بوقفتك أمامنا فى كل تسبحة وعشية وسهرة وقداس إلهى –

إلى أن نلتقى أخيراً حول عرش الحمل هناك فى السماء » .

المراجـــع

١ - الأنبا يؤنس السراج المنير والبستان المثمر - ظهر يوم الأربعين لنياحته ، وقد أضيف إلى هذا العنـوان : " تذكار حب ووفاء من أبنائك كهنة وشـعب إيبارشية الغـربية .

٢ - الأنبا يؤنس بستان الفضائل .

٣ - صور مضيئة فى حياة نيافة الأنبا يؤنس

وأشكر الشماس المهندس جرجس إبراهيم صالح لأنه تفضّل فأهدانى هذه المراجع الثلاثة التى صدرت عن إيبارشية الغربية .

وأشكر الخادمة الأمنية الغيورة على الخدمة صوفية توفيق ديمترى لتقديمها المعلومات والتعليمات التى أفادتنى بها كثيراً .

٤ - ذكرياتى الخاصة .

* * *

١٢ - إمتداد المسيرة :

القمص أنطونيوس المقارى

١٢ - إمتداد المسيرة : القمص أنطونيوس المقارى

لقد علّمنا الآباء أن الإستشهاد هو إمتداد للصليب لأن رب المحبة يتناغم تماماً مع كل شخص فى آلامه . ألم يسأل شاول لماذا تضطهدنى ؟ وحين ألقى عليه هذا السؤال كان الفريسى إبن الفريسى منشغلاً بإضطهاد السائرين فى طريق فاديهم الحبيب .

ومقابل هذا الواقع العجيب واقع ثانٍ لا يقل عنه عجباً وهو أن الرهبنة إمتداد للكرازة . وقد يندهش البعض أمام هذا الواقع المذهل ظناً منهم أن الكرازة تحتّم التجولّ . على أن ربنا حين وضع لنا الكمال هدفاً مهّد له بقوله : " لكى يرى الناس أعمالكم الصالحة ويمجدوا آباكم الذى فى السموات " (متى ٥ : ١٦) : إنه أوصاهم بالعمل قبل أن يوصيهم بالكـــرازة .

ولو أننا تفحصّنا تاريخ كنيستنا المحبوبة لوجدنا أن أجدادنا الأوائل نجحوا فى إكتساب مواطنيهم إلى الإيمان المسيحى بأعمالهم أكثر مما كسبوهم بأقوالهم فالوثنيون حين كانوا يتلاقون مع شخص محتشم فى مسلكه وملبسه وتعامله مع الغير كانوا يسألونه : " هل قابلت مسيحياً اليوم ؟ " وهذا السؤال فى حد ذاته يشير إلى مغزى عميق : إنه إشارة واضحة إلى تسامى المسحيين نحو ذلك الكمال الذى وضعه عليهم رب المحبة . ومن نعمة الله أنه مازال هناك مثل هؤلاء العائشين مسحّيتهم فعلاً : إنهم ملح للأرض ونور للعالم .

ومن أقوى الوسائل العملية الصلاة والصمت . وما علينا إلا أن نتأمل سير آباء البرية لنكون على وعى بهذه الفعالية . فهم يرفعون صلواتهم بلا إنقطاع فى صمت وهدوء . ومن العجب بمكان أن حكماء الفراعنة عرفوا عن خبرة هذا الواقع فقالوا فى مناجاتهم : " أيا أمون ، أيها البئر فى الصحراء ، ومتى جاء الصامت فـإنه يجد البئر . " بينما نصح حكيم إبنه : " ضع نفسك بين يدى الله . وهدؤك سيغلب العدو . " (١)

بل إن إنجازات الصلاة أكثر بكثير مما يتصور معظم الناس . فمثلاً ظل الألمان ينتصرون فى الحرب العالمية الثانية . وزهواً بإنتصـاراتهم نزلوا بقـواتهم المسلّحة على

---

(١) عن كتاب : " لماذا نسينا " للمؤلفة نشرته مكتبته المحبة سنة ١٩٨٦ .

الشاطىء الإفريقى . وتقدموا فى بداية الأمر إلى أن وَصلوا للعَلَمَيْن حتى لقد ترددت أصداء مدافعهم عند مشارف الإسكندرية . ومع ذلك فقد فشلوا فى الدخول إلى مصرنا الحبيبة . ولقد تيقّن آنذاك عدد غير قليل من القبط أن الصلوات المرتفعة ليل نهار من السوّاح والرهبان إرتفعت أصداؤها إلى عرش النعمة فكانت السد المنيع الذى إنتصب فى وجه المغيرين وإضطرهم إلى النكوص على أعقابهم .

وقبل البـدء فى تتبع سيرة أبين أنطـونيوس المقـارى يرنّ صدى سؤال من بعض المتشككين ، وهذا السؤال : إذن لماذا جازت كنيستنا الحبيبة إضطهادات هذا مقدارها ؟ ! ورب المجد نفسه يعطينا الإجابة بحياته على هذه الأرض ثم بتهيئة رسله حين قال : " ... تُسـاقون أمام ملوك وولاة من أجلى شهادة لهم وللأمم . " ثم عاد فأعلن . " ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة " (متى ٧ : ١٤ و ١٣) وتضاعف إنذاره حين شبّه الكرازة بمخاص المرأة وهى تلد (يوحنا ٢١:١٦) . والعجيب فى رسول الأمم أن الدليل الذى قدّمه للكورنثيين على كونه رسولاً هو سجّل الالام التى قاساها فى سبيل الكرازة (٢كورنتوس ١١ :٢٣ - ٢٧) . وهكذا نجد نحن " سحابة من الشـهود مقدار هذه محيطة بنا " (عبرانيين ١٢ : ١) وإذ نجـدها نهتف " إذ الضرورة موضوعة علينا " (١ كورنتوس ٩: ١٦) . وهذه الهتافة صدرت عن وعى من عمق روح بولس قلاديوس فسار على هديها .

نشأته : ولد بولس فى قرية السلامات بمركز أبو تشت (بقنا) فى ١٨ مايو سنة ١٩٠٥ . وبعد أن حصل على الثانوية العامة إشتغل تاجراً . على أن هذه المهنة ، مع ما فيها من مكسب مادّى ، لم تشبع روحه المتطلّعة إلى العـلا . فغاص فى صلواته وتأملاته ، وإستشعر من خلالها بأن طريق النسك والتبتّل هو الطريق الذى يرغب فيه . ومن نعمة اللّه أنه عاش أيام أن كان أنبا أبرام أسقفاً على البلينا - فهذا الأسقف تشابه بسميه أسقف الفيوم . فقصد إليه بولس قلاديوس وأطلعه على إشتياقاته . فصحه الأسقف الوقور بالتوجّه إلى دير الأنبا مكارى الكبير ببرية شيهيت . وأطاع هذه النصيحة الأبوية وذهب إلى برية شيهيت سنة ١٩٢٦ فقبله رئيس الدير ووضعه تحت الإختبار وفقاً للقانون الرهبانى . ولكن سرعان ما وضحت أمامه فضائل بولس قلاديوس كما وضح صدق عزيمته . ولم يكن بالدير آنذاك غير أربعة عشر راهباً . وبإزاء ما تبينه رئيس الدير فى طالب الرهبنة ألبسه الزى الرهبانى بعد قبوله فى الدير بأحد عشر يوماً فقط بإسم أنطونيوس . فقضى الراهب الجديد ثلاث سنوات فى نسك

وتعبّد وفى أسهار وصلوات وفى خدمة إخوته . ثم فى نوفمبر سنة ١٩٢٩ نال الراهب أنطونيوس كرامة الكهنوت بإسمه الرهبانى . ولم يمضِ إسبوعان على هذه الرسامة حتى إنتدبه رئيس الدير للصلاة فى الكنيسة القائمة بعزبة الدير فى بيتريس مركز إمبابة فقضى فى هذه الخدمة القدسية خمس سنوات : من سنة ١٩٢٩ – سنة ١٩٣٤.

دراسته فى الكلية اللاهوتية :

ولما أثبت القس أنطونيوس جدارته بالخدمة التى أئتمنه عليها رئيس دير الأنبا مكارى الكبير قرر أن يوفده للدراسة فى الكلية اللاهوتية التى كان قد أنشأها الأنبا يؤنس التاسع عشر[1] فى حلوان تحت رئاسة اللاهوتى الضليع ميخائيل مينا . وكان البابا الوقور قد إتفق ، عند إفتتاحها ، مع رؤساء الأديرة على أن يختاروا الممتازين من رهبانهم ويرسلوهم إلى هذه الكلية ليزدادوا تعمقاً فى المعرفة الدينية والثقافية والعلمية والتاريخية وبالتالى يزدادوا مقدرة على تعليم الشعب وتوجيهه عند الضرورة . فقضى القس أنطونيوس المقارى الخمس سنوات المقررة لإتمام الدراسة بها . ثم عاد إلى ديره حيث ظل لغاية سنة ١٩٥٠ وكان قد عيّن فى سنة ١٩٤٨ " رتبية " (أميناً للدير) .

خدمة دؤوب :

وقد فرح رئيس دير الأنبا مكارى الكبير بما رآه من النضوج الروحى الذى بلغه القس أنطونيوس فرسمه قمصاً ، وبالتفاهم مع أسقف أسوان إنتدبه للخدمة هناك . فقضى أربع سنوات فيها . وقد شاءت المراحم الإلهية أن تمنح خادمها الأمين بركة الإشتراك فى بناء ثلاث كنائس فى تلك الفترة . وهذه الكنائس هى كنيسة السيدة العذراء بنجع المواساه ، كنيستان بإسم مارجرجس إحداهما فى كلح الجبل وثانيتها فى نجع الليد .

ومرة أخرى رأى رئيس الدير توسيع مجال خدمة القمص أنطونيوس المقارى فإتفق مع المسئولين عن الكنيسة فى أسوان على إيفاده إلى الإسماعيلية . ولكنه لم يبقَ بها غير سنة واحدة . ومع قصر المدة فقد نال هذا الخادم الأمين بركة الإشتراك فى بناء كنيسة مارجرجس بأبو صوير . وبعدها أوفده رئيس ديره إلى الإسكندرية فخدم فى عاصمة كاروزنا العظيم من سنة ١٩٥٥ – ١٩٦٠ .

ثم شاء رب الكنيسة أن يعتلى الأنبا كيرلس السادس السدة المرقسية فى ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ . وبعد سنة من باباويته إنتدب القمص أنطونيوس المقارى للخدمة فى كنيسة

---

(١) راجع كتاب ١٦ من " قصة الكنيسة القبطية " للمؤلفة ، ص ٤٠-٤٢ ، نشرته مكتبة المحبة سنة ١٩٨٥ .

مارمرقس برشيد . وهنا أيضاً لم يخدم غير سنة واحدة صدر بعدها قرار باباوى بأن يعود كل راهب إلى ديره . على أن البابا الوقور رأى أن يختاره للخدمة فى الأراضى المقدسة . ومن ثم سافر إلى مدينة الملك العظيم ، وهناك نال بركة إقامة القداس الإلهى على المذبح المملوك للكنيسة القبطية داخل كنيسة القيامة . وفى هذه الكنيسة العظمى تتشارك الصلوات الكنائس الرسولية الشرقية – وجميعها أرثوذكسية . وغنى عن القول إنه خدم فى بيت لحم وفى النـاصرة ويافا وعند ضفـاف الأردن إذ أنه للقبط هيكلاً فى بيت لحم وكنائس فى كل الأماكن الأخرى . بل أنه حتى بعد إستيلاء إسرائيل على هذه الأماكن منذ سنة ١٩٦٧ تركوا المطـران والكهنة والرهبان القبط فى أماكنهم يخدمون فى هدوء . ولقد خدم القمص أنطونيوس المقارى الشعب القبطى المقيم بتلك البلاد من سنة ١٩٦١ – سنة ١٩٦٣ .

وهنا يجدر بنا أن نربط بين تسلسل الأحداث فى تاريخ كنيستنا الحبيبة فنذكر أن أول مطران قبطى على الأراضى المقدسة رسمه الأنبا كيرلس الثالث سنة ١٢٢٦ م (١) . وبما أنه إختاره من رهبان الأنبا أنطونى فقد سار خلفاؤه على نهجه وإستمروا يختارون مطارنه القدس الشريف من أبناء أبى الرهبان . ومن نعمة رب الكنيسة أن شاء إمتداد سلطته الروحية إلى الأردن والكويت ولغاية إمارات الخليج . بل لقد أصبحت كنيسة مارمرقس القبطية بمدينة الكويت المركز الذى يقصد إليه جميع أرثوذكسى الشرق الأوسط الذى يعملون هناك .

ومما يجب أن يعرفه أولاد مارمرقس أن جزءً شاسعاً من البلاد الإفريقية داخل ضمن كرازاته : فالنوبة والسودان واثيوبيا وكينيا وزائير كلها تنتمى إلى كنيسة مصر – وهناك ثلاث أسقفيات قبطية فى السودان : الخرطوم وأم درمان ووادى مدنى . فرأى الأنبا كيرلس السادس أن يوفد القمص أنطونيوس المقارى إلى هذا القطر الشقيق ليتعاون فى الخدمة مع العاملين هناك . فإنشغل بهذه الخدمة لغاية سنة ١٩٦٦ عاد بعدها إلى ديره ببرية شيهيت فاستمتع بالخلوة الروحية فى رحاب "أبى البطاركة" (٢) .

إستكمال السعى :

وإنتقل البابا الوقور كيرلس السـادس إلى بيعة الأبكار فى ٩ مارس سنة ١٩٧١ ،

---

(١) هو البابا الخامس والسبعون ، " قصة الكنيسة القبطية" للمؤلفة حـ٣ ص ٢٠١-٢٢١.

(٢) هذا هو اللقب الذى أضفته كنيستنا المحبوبة على أنبا مكارى الكبير إذ قد إختير خمسة وعشرون من رهبانه ليجلسوا على السدة المرقسية ولم يزد على هذا العدد غير المتبتّلين الذين لم يعيشوا فى أى دير – قصة الكنيسة القبطية " حـ ٥ ص ١٦١ – ١٦٨ .

وخلفه البابا شنوده الثالث على السدة المرقسية فى ١٤ نوفمبر من السنة عينها . وفى مستّهل سنة ١٩٧٢ إنتدبه هذا البابا الجليل ليقيم الشعائر المقدسة على المذبح المقام فى الدور العلوى من المستشفى القبطى وليتفقد المرضى وبخاصة أولئك الذين لا أهل لهم ولا يجدون من يسأل عنهم . على أن الراهب العطوف لم يبقَ فى هذه الخدمة غير سنتين نقله قداسة البابا بعدهما لخدمة شعب كنيسة السيدة العذراء الدمسَّرية بمصر العتيقة لمدة سنة – لأن كاهنها القمص إسحق تادرس إضطر إلى أن يُجروا له عملية جراحية فى الحبال الصوتية فى زوره . فلما عاد الكاهن معافى إنتدبه قداسة البـابا شنوده الثـالث لخدمة شعب كنيسة السيدة العذراء بعزبة النخل . فظل فى هذه الخـدمة من سنة ١٩٧٥ لغاية أوائل سنة ١٩٨٩ – لأن وليد بيت لحم شاء أن يريحه من جهوده الجبّارة التى داوم عليها فى ليلة عيد الميلاد المجيد من تلك السنة إذ إنتقل إلى الفردوس ليلتمذاك .

وتعبيراً عن تقديره لهذا الراعى المتّعمق رسالته أقام شعبه صلاةً يوم الأربعين لإنتقاله . ويومذاك أصدروا نشرة وصفوها بأنها " لمسة وفاء " ، لخصّوا فيها سجاياه كما يلى : " **كان رجل صلاة بحق متذكراً أولاده بكل ظروفهم ، لا يتكلم كثيراً مردداً لنفسه بإستمرار أن الصمت فضيلة رهبانية ، له مكان ومكانه فى قلب كل عضو من شعبه يتبادل وإياهم المحبة والمودة** " . ثم بعد نياحته إكتشف الشعب مجموعة من العائلات المستورة ظل يعاونها فى الخفاء .

ويمكن تلخيص حياة القمص أنطونيوس المقارى بذلك البيت الشعرى الرقيق .

إن الذى جعل الحقيقة علقما . لم يُخلِ من أهل الحقيقة جيلا

* * *

١٣ - الرنين الإلهى

" لأنه من قِبَلكم قد أذيعت كلمة الرب "

(١تسالونيكى ١ : ٨)

مقدمة

تمهيد

وقفة للتأمل

منبته

حنينه للرهبنة

إلتحاقة بكلية اللاهوت بحلوان

رسامته قساً ثم قمصاً

أنواع مواهب ولكن الروح واحد

باباوية الأنبا كيرلس السادس

رسامته أسقفاً

المهام الجديدة

إنشاءاته

ما أبعد طرقه عن الإستقصاء

النظرة الأخيرة

* * *



حضرة صاحب النيافة
أنبا بولس أسقف منف الشرقية
الشهيرة بحلوان

مقـــــدمة :

لو أننا تتبّعنا محتويات تاريخ كنيستنا المحبوبة لتناوبتنا الإنفعالات المتضارية : الإعتزاز الممتزج بالعجب، التهليل الذى يخترقه الحزن ، بل وأحياناً التجاسر على مساءلة رب الكنيسة " لماذا يارب؟! " على أننا فى غمرة هذه الإنفعالات بسطح أمامنا وبلا إستثناء ذلك الخيط الذهبى : الخيط الذهبى الذى يحيط حتى أكثر الغيوم ظلاماً . إنه الومضة الإلهية التى تؤكد أن ذاك الذى لا ينعس ولا ينام ســاهر على كنيسته حافظ أمين لها ناصر إياها وسط تقلّبات الأيام .

ولقد شاءت مراحمه أن يزيد هذا الخيط الذهبى سطوعاً فى جيلنا الملىء بالمتضاربات ليعلمنا أن نرفع عيوننا دوماً إلى فوق مرددين مع المرنّم : " إليك رفعت عينّى يا ساكن السماء " فيتجاوب على التوّ فى داخلنا قول رب المجد : " ها إن ملكوت السموات فى داخلكم " [(١)] وإذ نتهلل بهذا الرنين الإلهى بتضاعف هذا التهليل حينما نتلفت حولنا لواقهية الوعـــد الإلهى فى يومنا هذا حتى لكأن فادينـا الحبيب يهمس فى داخلنــا توكيد ما قاله لرسله المضطــربين : "ها أنا معكم كل الأيــام وإلى إنقضاء الدهر " . [(٢)].

فللمسيح منا محبةٌ كل هذه الأيام وإلى ما بعد إنقضاء الدهر .

تمهيـــــد :

حينما ترددت فى داخلى أصداء الحنين إلى الكتابة عن أحبارنا المعاصرين الذين شاءت حكمة إلهنا أن تنقلهم بعد سنوات قليلة من الجهاد ساورنى التردد . على أن نداء القلب ظل يرنّ مســتحثّا إياى لتسجيل جهودهم البنّاءة لتستمتع بها الأجيال المتتالية . وفجأة وجدتنى أمام الأنبا بولس أسقف حلوان الذى سمعت عنه كثيراً ولكنى لم أنَلْ بركة مقابلته .

على أن رب الكنيسة فى شامل محبته يهب التعويض لكل المتطلّعين نحوه الراغبين فى إبراز أمجاد كنيسته . وبهذا التعويض الإلهى العجيب هيأ لى من إخوتى وأخواتى – أولاد الأنبا بولس – الموّجهين لى للتعرّف على هذا الأسقف الجليل بعد نياحته .

---

(١) مزمور ١٢٣ من مزامير صلاة الغروب بالأجبية ، لوقا ١٧ : ٢١ .
(٢) متى ٢٨ : ٢٠ .

وقفة للتأمل :

درج مسجّل أحداث الحياة على بداية سيرة أى شخص بمولده . **على أن الإنسان وهو جنين داخل رحم أمه تتكوّن معه مقّومات شخصيته . والدماء التى تبدأ الإنسياب إليه تأتيه من أجيال بعيدة وأجيال جديدة . فهو إذن خلاصة الأجيال التى ساهمت فى تركيبه .** ومن أغرب ما قرأت أخيراً سيرة كتبتها طبيبة إنجليزية لحياتها تقول فيها إنها مازالت تتذكر الإهتزازات النفسية التى سرت إلى كيانها وهى مازالت جنيناً نتيجةً للإنفعالات التى إجتاحت أمها آنذاك ! ولماذا نستغرب مثل هذا التذكر ؟ ألا يقول لنا الروحانيون إن الإجهاض قتل ؟

على أن هذه القوى التى تعتمل داخل الجنين لا يمكن التوصّل إلى معرفتها . فالإنسان حتى بعد أن ينمو وينضج لغز عميق لا يستطيع هو ذاته أن يتفهمه – وفى هذا الصدد **قال غريغوريوس النيسى " فى عدم معرفة الإنسان نفسه نرى البصمة الإلهية "** . ومع عدم معرفتنا فإن خالقنا الذى بصمنا ببصمته الإلهية قد وضع علينا الضرورة لتسجيل السير الروحية تمجيداً لكنيسته المقدسة . لأن هذه السير ، على الرغم من محدوديّتنا ، هى وميض ساطع ينير الطريق ، الطريق الذى وصفه أشعياء بالمعوّجات والشعاب (٤٠:٤) فيستقيم من هذا الدهر إلى الدهر الآتى .

مَنبْتــــــه :

ليس من شك فى أن الذين ساروا فى طريق الكمال الإلهى كانت غالبيتّهم ممن نشأوا فى كنف والديْن محبيْن لله ولكنيسته ولقديسه والطفل رزق عبد الملك إنحدر من أبوين تقيين ملتزمين بتقوى الله . وكانت صيحته الأولى فى يناير سنة ١٩٢٥ . ومن نعمة الله عليه أن أسرته كانت تقطن جزيرة بدران . لأن هذه البقعة من القاهرة تنعم بعدد من الكنائس الفائضة بالحيوية والنشاط . وهو لم يفتح عينيه على قباب الكنائس ومناراتها فحسب بل تعلم فى مدارس جمعية الإيمان فى المرحلتين الإبتدائية والثانوية .

وفى أثناء دراسته رُسم شماساً بكنيسة السيدة العذراء بشارع عياد سنة ١٩٤١ . وداوم على الخدمة كشماس وكخادم من خدام التربية الكنسية فى هذه الكنيسة عينها وفى كنيســة مارجرجس وفى جمعية المحبة لغـاية سنة ١٩٤٥ . وخــلال هذه الخــدمة كان قد نال الثــانوية العامة فتوظف فى شركة فورد . وليس من شك فى أنه إســتطاع أن يتقن اللغة الإنجليــزية ليستطيع التــعامل بها مع الأمريكيين المسئولين فى الشــركة .

حنينه إلى الرهبنة :

وحينما بلغ العشرين من عمره ترددت فى أعماقه الدعوة الإلهية إلى الرهبنة . فإستأذن من والديه وقصد إلى عزبة بوش بمحافظة بنى سويف حيث العزبة التابعة لدير الأنبا أنطونى أبى الرهبان . وعاش فيها سنة كاملة يهيء نفسه للحياة الرهبانية . وبإنتهاء هذه السنة إرتحل مع القافلة المتّجهة إلى دير الأنبا أنطونى بالصحراء الشرقية . وهناك رُسم راهباً وليس الزى الملائكى بإسم قلاديوس . ومن نعمة الآب السماوى أن زامله رفيق هو الراهب كيرلس الأنطونى (الآن أبنا باسيليوس مطران الكرسى الأورشليمى) . وقد شهد القمص يؤنس (حنس) رئيس الدير بمعرفتهما للطقوس الكنسية معرفة دقيقة .

إلتحاقه بكلية اللاهوت بحلوان :

وفى سنة ١٩٤٧ إنتقل القمص يؤنس إلى مساكن الأبرار فعهد الأنبا يوساب الثانى(١) إلى الأنبا إيساك مطران الفيوم بتولى رياسة الدير ونظارة عزبته . وإذ توسم هذا الرئيس الجديد فى الراهبين الزميلين قلاديوس وكيرلس الإستعداد الروحانى قرر إرسالهما للدراسة فى كلية اللاهوت بحلوان - وهذه الكلية قد أنشأها الأنبا يؤنس التاسع عشر (٢) سنة ١٩٣٠ ليدرس فيها الرهبان المختارون من مختلف الأديرة إستهدافاً لتعميق صلتهم بكنيسة الآباء والأجداد .

وعند دخول الراهب قلاديوس هذه الكلية قابله مديرها القمص ميخائيل مينا الذى وضع كتاباً فى ثلاثة مجلّدات عن علم اللاهوت . وهذا العالم الضليع ، بعد إختباره للراهب الجديد ، أدخله فى السنة الثانية مباشرة لمالمسه فيه من تفوّق . فلم يقضِ الراهب قلاديوس بهذه الكلية غير ثلاث سنوات بدلاً من الأربعة المقررة وبالتالى تخرّج فيها سنة ١٩٥١ . وكان قد دخلها سنة ١٩٤٨ .

رسامته قساً ثم قمصاً :

وفى يوم عيد العنصرة ٥ بؤونه سنة ١٦٦٥ سن (١٢ يونيو سنة ١٩٤٩م) وخلال

---

(١) البابا المرقسى المائة والخامس عشر ،٢٦ مايو سنة ١٩٤٦ - ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، قصة الكنيسة القبطية " حـ ٦ ص ١ - ٩٠ .

(٢) البابا المرقسى المائة والثالث عشر من ١٦ سبتمبر سنة ١٩٢٨ - ٢١ يونيو سنة ١٩٤٢ ، " قصة ... " حـ ١٦ ص ١٧ - ٧٩ .

إجازته الصيفية ، رسمه الأنبا إيساك قساً بإسمه الرهباني قلاديوس . ولم يلبث أن رسمه قمصاً لما رآه فيه من غيره حارّة على الطقوس الكنسية - وكان ذلك في يوم النيروز ١ توت سنة ١٦٦٦ سن (١١ سبتمبر سنة ١٩٥٠ م) .

وفي السنة التالية ، بينما كان القمص قلاديوس الأنطوني في السنة النهائية بالكلية الإكليريكية ، إنتدبه الأنبا يوساب الثاني ليرعى شعب الكنيسة الجديدة التي تحمل إسم السيدة العذراء بعزبة النخل (شرق) ، فأدّى هذه الخدمة الراعوية إلى جانب إستمراره في الدراسة .

أنواع مواهب ولكن الروح واحد (٢ كورنثوس ١٢ : ٤) .

وحال تخرّجه من الكلية اللاهوتية صيف سنة ١٩٥١ ، إختاره الأنبا يوساب الثاني سكرتيراً خاصاً له . وبعد سنة من هذا الإختيار عرف فيها البابا الجليل قدرات القمص قلاديوس الأنطوني الإدارية وغيرته على مصالح الكنيسة أقامه أيضاً وكيلاً عاماً للبطريركية - فكان بهذا التعيين أول راهب يجمع بين هذين المنصبين وما يستتبعهما من أعباء ومسئوليات ظل يؤديها ما بين سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ . وفوق ذلك فقد أقامه قداسة البابا رئيساً للمجلس الإكليريكي ومديراً لشئونه الروحية . وبديهي أنه أدىّ كل هذه المسئوليات بحكمة وفهم قلب . وأثناء تأديته لأعباء هذه الأعمال وماتستلزمه من الجهد الشاق أنشأ الرابطة العامة لكهنة القاهرة .

ثم حدث أن قامت ثورة الضباط الأحرار التي أطاحت بالملك فاروق في آخر يوليو سنة ١٩٥٢، فصار القمص قلاديوس الأنطوني . ضابط الإتصال أي " همزة الوصل " ما بين البطريركية ورجال الثورة . وبهذه الصلة الدقيقة ساعد في حل الكثير من المشاكل التي تهمّ الأقباط .

على أن الحنين لحياة الرهبنة الوادعة في خلوتها مع اللّه عاود السيطرة على قلبه فألح على الأنبا يوساب أن يعيده إلى ديره . وما إن عاد حتى إختير لإدارة شئون هذا الدير العريق . على أنه لم يستمتع بالحيــاة الديرية طويلاً إذ إختــاره الشعب النبراوي (مركز المنصورة) ليرعاه . فوجد الضرورة موضوعة عليه لينزل إلى العالم مرة أخرى . وقد شاء رب الكنيسة ذهابه إلى تلك البلاد لكي يعيد بناء كنيسة السيدة العذراء التي كانت قد تهدّمت . وبما إنه إستمر على التفاني الدؤوب في الخدمة كعادته فقد ظل يخدم شعب نبروه من سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٩ .

باباوية الأنبا كيرلس السادس :

وفى يوم الأحد ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ أنعم رب الكنيسة على شعبه براع من عمالقة الرعاة هو الأنبا كيرلس السادس . ولم تمر على رسامته غير أسابيع قلائل ، وفى يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩٥٩ ، رسم البابا الوقور القمص كيرلس الأنطونى مطراناً على الكرسى الأورشليمى وبذلك أصبح راعياً للقبط المتناثرين ما بين فلسطين وإلى إمارات الخليج – أطال الله عمره وأدام رياسة كهنوته . وفى ديسمبر من السنة عينها أقام قداسة البابا القمص قلاديوس الأنطونى رئيساً لأديرة القبط فى الأراضى المقدسة . وهكذا سافر مع أخيه فى الرهبنة الذى أصبح الأنبا باسيليوس . **وإن كل من منحه الآب السماوى نعمة التبرّك بزيارة الأراضى المقدسة يعرف عن خبرة مدى الرعاية الساهرة المطلوبة من آبائنا بتلك البلاد . فهم حارسو المقدّسات ، وهم رعاة الشعب الذى تسعى الكنائس الأخرى إلى إقتناصه . وهم الموضوع عليهم تأدية الشعائر الكنسية المختلفة فى مواعيدها بالضبط . وبالإضافة فهم المستقبلون للمقدّسين فى مختلف المواسم والمرحّبون بالرؤساء والكبراء الذين يزورون هذه الأراضى التى تقدّست بحياة فادينا الحبيب على أرضنا هذه .**

ولقد قضى القمص قاديوس الأنطونى ما يقرب من أربع سنوات فى هذه الخدمة الحلوة التى تستلزم حلاوتها السهر المتواصل . ومن مستلزمات هذا السهر الحرص على الإحتفاظ بدير السلطان . فهذا الدير وهبه السلطان صلاح الدين للقبط إعترافاً منه بوفائهم الأصيل . ثم حدث أن إستضاف الرهبان القبط إخوتهم الرهبان الأحباش بذلك الدير . ومما يؤسف له أن الأحباش قد إستغلّوا هذه الإستضافة بمناوأتنا فى ملكّيته مراراً وتكراراً . وظل آباؤنا – وهم حراس الأماكن المقدسة – على الدفاع عن هذه الملكية كلما حاول الأحباس الإستيلاء عليه . ولقد سار القمص قلاديوس الأنطونى مسيرة آبائه فى هذا الدفاع المستميت – فحين كانت مدينة القدس مقّر خدمته جمع بعض المستندات الوثيقة المؤيّدة لحق مصر فى دير السلطان ، ثم أخفاها فى طيّات ملابسه الكهنوتية – وبذلك نجح فى توصيلها إلى وزارة الخارجية المصرية . فقامت آنذاك إتصالات رسمية بين حكومتنا والحكومة الأثيوبية . ثم عاد بعد ذلك إلى القدس يرافقه أبنا أنطونيوس مطران سوهاج وأنبا يؤنس مطران الجيزة والأنبا بنيامين مطران المنوفية

(الســابق) . فعاد الدير إلى أصحابه الأصليين بمساعيهم المتكاتفة [1] . ثم عاد إلى القاهرة فى أوائل سنة ١٩٦٣ .

وتتضح ثقة البابا كيرلس فى هذا القمص الأنطونى إذ أسند إليه حال عودته وكالة دير أبى الرهبان بعزبته فى بوش . فزاول هذه الخدمة لغاية ١٧ مارس سنة ١٩٦٥ حينما إستدعاه وإتخذه سكرتيراً خاصاً له . وفى الوقت عينه جعله مشرفاً عاماً على أملاك البطريركية مذاك وإلى سنة ١٩٦٧ .

رسامته أسقفاً :

وبتتبعنا لسيرة القمص قلاديوس وجدنا أنه حاز على ثقة إثنين من باباواتنا الأجلاء هما الأنبا يوساب الثانى والأنبا كيرلس السادس ، بل إن تقدير كل منهما له ظل يتصاعد سنة بعد الأخرى إذ إستمرّا يسندان إليه خدمات أكثر مسئولية على طول الخط . وقد توّج البابا الوقور كيرلس السادس تقديره بأن أعاد لمنف كرامتها برسامته أسقفاً عليها بلقب أسقف حلوان . ففى ٢ بشنس سنة ١٦٨٣ سن (١٠ مايو سنة ١٩٦٧ م) أصبح القمص قلاديوس الأنبا بولس أسقف منف الشرقية وفقاً لما أعلنه قداسة البابا فى الشعائر المقدسة للرسامة .

ولنقف قليلاً أمام هذه الأسقفية - فمنف هى أول عاصمة لمصر أسسها الفرعون مينا أول من وحّد مصر كلها إلى مملكة واحدة : المملكة ذات النهر الواحد . وتقع هذه المدينة فى منطقة سقارة ، وتقوم على موقعها الآن قرية ميت رهينة والجزء الأكبر من البدرشين . فهى إذن على الضفة الأخرى من النيل مقابل حلوان . وإمتد مجد مصر الفرعونية بمنف ليجعل منها مقراً أسقفياً لغاية القرن الميلادى الثانى عشر . ثم تداعى هذا المجد ، بل ونسى المصريون أوثناسوا مجدها الفرعونى والقبطى . ولكن شاءت نعمة الآب السماوى أن يظل إسم مينا لامعاً : فقد حمله إثنان من خلفاء مارمرقس هما الأنبا مينا الأول ، البابا السابع والأربعون سنة ٧٦٣ - سنة ٧٧٦م ، والأنبا مينا الثانى البابا الحادى والستون سنة ٩٥٦ - سنة ٩٧٤ م، كما حمله قديسه الشاب الأمير مارمينا العجايبى . وفى سطوع هذا الإسم نرى البصمة الفرعونية المغروسة فى قلوب أحفـاد الفراعنة إلى درجة جعلتهم يتخذونه إسماً لباباوتهم وقديسيهم .فهذا الإســم للآن تتجــاوبه الأصداء من شواطىء الإسكندرية إلى مرتفعات أسوان .

---

(١) " قصة الكنيســة القبطــية " جـ ٤ ص ٣٥٣ - ٣٥٥ ، جـ ٦ ص ١٦٥ - ١٦٦ ، " رجع إلى بيته " - كتاب أصدره أولاد الأنبا بولس بعد نياحته ، ص ١٠ .

وإرتباطاً بمارمينا فإن عالماً سويسرياً حين علم بتجديد منطقته ، قال عن البابا كيرلس السادس : إنه بطريرك عظيم واسع الأفق تمثّل تاريخ كنيسته وشعبه " ونحن نجيب عليه بأنه لم يتمثل تاريخ كنيسته وشعبه فقط إنما عاش هو نفسه هذا التاريخ بكل ما إحتواه من فرح وما إنسكبت فيه من دموع . ولأنه عاش هذا التاريخ بإرتفاعاته وإنخفاضاته سعى جاهداً ليجعل من كنيستنا الحبيبة منارة ساطعة كما كانت عبر العصور الأولى . وإنطلاقاً من هذا السعى رأى أن يجدد تلك الإيبارشية التى تنتمى أصلاً إلى الفرعون مينا - فرسم لها أسقفاً أطلق عليه إسم بولس لأن فى هذا الإسم أيضاً رنيناً حلواً فى آذان المسيحيين قاطبة .

ولنَعُدْ الآن إلى الأنبا بولس أسقف منف الشرقية لنلحظ أن الشعب القبطى قاطبةً ظل على تجاهله الإسم العريق فظل يقول عنه " أسقف حلوانّ !

المهامّ الجديدة :

والطريف فى رسامة الأنبا بولس أن إختار البابا الوقور لرسامته هو والأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والتعليم العالى يوم الذكرى التاسعة لباباويّته ، وهو يوم ١٠ مايو سنة ١٩٦٧ ، فلقد سعدت الكنيسة برسامته يومذاك .

وما كادت الكنيسة تبتهج بهاتين الرسامتين حتى داهمت إسرائيل مصر بحرب شنتها فى شهر يونيو . وهذه الحرب كانت قاصمة إذ تآمرت الولايات المتحدة وروسيا مع الدولة الغادرة ! فظل وطننا الحبيب يئن تحت وطأتها لغاية ٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ حين إلتقطت أنفاسها إذ إستردت عزتها بإنتصارها المبين . ومعنى هذا أنه حين عاد الأنبا بولس إلى مقّره بعد قضائه الأربعين يوماً فى الدير كانت مصر كسيفة متوجّعة .

على أن ذاك الذى لجأ إلى مصر وهو طفل فمنحها بمجيئه وتجّوله فى ربوعها بركة أبدية لم يكن لينسى مصر فعّوضها تعويضاً غايةً فى العجب . ففى ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ ، وكان يوم إثنين البسخة المقدسة ، شاء أن يفيض نعمة العزاء والهدوء القلبى على شعب مصر بتجلّى السيدة العذراء فوق قباب الكنيسة التى تحمل إسمها الكريم بضاحية الزيتون . وظلت والدة الإله تظهر يومياً مدى سنتين وأربعة شهور - ولهذا السبب

وُصف ظهورها بالتجلّي . ومثل هذا الظهور الخارق لم تنله آية بلد أخرى من بلاد العالم أجمع[1] .

والخالق العجيب في قديسيه عجيب أيضاً في كنيسته المصرية . فمنحها تعويضاً ثانياً في ٢٣ يونيو من السنة نفسها بوصول رفات مارمرقس المكرّم من البندقية إلى مقرّ رياسته التي يعتز باباواتها بكونهم خلفاؤه . وكان هذا الوصول ثمرةً لمفاوضات بين مندوبي بابانا الجليل أنبا كيرلس السادس وبابا رومية مار بولس السادس . وعند إختيار الوفد القبطي للذهاب إلى رومية وتسلّم هذه الرفات العزيزة كان الأنبا بولس ضمن هذا الوفد الذي عاد يحمل رفات كاروزنا العظيم بعد غياب ألف سنة .[2]

ومن أهم ما تميّز به الأنبا بولس محبته لأمه الكبرى الكنيسة ولأمه الأكبر مصر . وهذه المحبة تفسّر لنا سبب نجاحه في مختلف المهام التي أسندت إليه وهو راهب وقمص وأسقف . والإحدى وعشرين سنة التي قضاها أسقفاً ســـاهراً على شعب منف الشرقية (حلوان) شـــاهد حق على هذه المحبة الدافقة . لأن مودته مع مواطنينا الأعزاء جعلت إيبارشيته تنعم بهذه الألفة الودود فيسودها السلام طوال مدة أسقفيته . ولما كـــانت المحبة قوة عاملة فهي بدورها تستثير المحبة - لهذا بادله المواطنون جميعاً محبة بمحبة . بل إن هذه المحبة المتبـــادلة مكّنته من بناء الكنـــائس في المناطق التي كانت محرومة أو تلك التي إستجدّت .

إنشاءاته :

ينبؤنا التاريخ بأن الأنبا كيرلس الخامس إشتري قطعة فسيحة من الأرض في حلوان بنى عليها كنيسة بإسم السيدة العذراء وأحاطها بمجموعة من الشاليهات الأنيقة لإستراحة الآتين للصلاة والإستشفاع بأم النور . وزين بالأشجار والأزهار الأرض المحيطة بالكنيسة وبالشاليهات . وقد ورد أن القمص ميخائيل المقارى هو الذي أشرف على عمارتها بعد عـــودته من البعثة بأثينا التي كان البابا الوقور قد أوفده إليها مع ستة آخرين من الرهبان[3] .

---

(١) و (٢) - " قصة الكنيسة القبطية " جـ ٧ ص ٣٩ - ٤٠ و ٥١ - ٥٥ .
(٣) " " " جـ ٥ ص ٦٠ ، ٥٠ .

على أن الأنبا بولس وجد أن بنيان هذه الكنيسة بدأ يتصدّع فأعاد بناءه مع توسيعه ، وأقام إلى جانب الكنيسة مقراً للمطرانية ملاصقا به مبنى للأنشطة الكنسية المختلفة ولمكتبة الكنيسة . **وبما أن هذه الكنيسة هى أقدم معاقل العبادة المسيحية فى حلوان فقد إحتضنت أكبر تجمّع من الروّاد والرائدات الذين إختطوا الطريق لمن جاء بعدهم فى الخدمة الروحية والإجتماعية ليس لحلوان وحدها بل لكل المنطقة المحيطة بها .**

كنيسة مارجرجس بحدائق حلوان – إن كل من يهدف إلى معرفة ثمار الجهد والصبر والعرق والدموع المدّعمة بالصلاة المستمرة ما عليه إلا أن يزور هذه الكنيسة الشامخة . ففى يوم ٦ مسرى سنة ١٦٧٨ سن (١٤ أغسطس سنة ١٩٦٣م) أرسى البابا كيرلس السادس حجر أساسها وأقام فوقه شعائر التكريس . وظلت فترة مجرد بناء عادى . ثم بدأ الأنبا بولس وشعبه يبذلون الجهود الضخمة فى سبيلها . **وبما أن رب الكنيسة لا يمكن أن ينسى تعب المحبة فقد بارك هذه الجهود وهذه التطلّعات وهذه القلوب الضارعة فإذا بهذا المبنى العادى يرتفع شامخاً كأنه حصن منيع – وإنه لكذلك لكل المبتهلين داخل رحابه** . وإذ به يضم كنيسة كبرى فى الطابق العلوى بينما يحتوى الطابق الأرضى على كنيسة مستطيلة (١) تغطى أرضها موكيت نبيذى اللون ويضيئوها نور سماوى هادىء يجدها الداخل عن شماله على الفور . وتلاصق بها قاعة مربعة فسيحة للإجتماعات ولإعطاء دروس الألحان ودروس التقوية فى مختلف المناهج . بينما تقع عن يمين الداخل سلسلة من الحجرات للتربية الكنسية .

وهذا البناء الشامخ إفتتح الصلاة فى كنيسته قداسة البابا شنوده الثالث يوم الأحد ٣٠ بشنس سنة ١٦٩٧ سن (٧ يونيو سنة ١٩٨١ م) . وبديهى أن الأنبا بولس قد إشترك مع قداسة البابا فى هذه الصلوات الرائعة . **وليس بعجيب أن يكون البناء على هذا الشموخ وهو من تصميم عميد المعماريين المهندس د . ميشيل باخوم .**

دير وكنيسة الأنبا برسوم العريان – إن القديس الذى يحمل هذا الدير إسمه شخصية لها العجب . فأبوه – وإسمه الوجيه – كان سكرتيراً للملكة شجر الدر التى إختتمت عائلة الأيوبيين وبدأت حكم المماليك . ومع منصبه المرموق فقد كان هو وزوجته يثقيان الله . ولما بلغ الشباب فقد برسوم أبويه ولاحظ أن خاله طامع فى ميراثه . فتركه له وعاش فى مغارة خارج الفسطاط خمس سنين . ولتناهيه فى التقشّف لم يستتر بغير منطقة من جلد حول حقويه – ولهذا لقّبه مواطنوه بالعريان . ثم ترك هذه

---

(١) وتحمل هذه الكنيسة إسم السيدة العذراء

المغارة وعاش فى حجرة منخفضة عن سطح الكنيسة بخمس عشرة درجة عن شمال الداخل إلى كنيسة أبى سيفين بمصر العتيقة حيث أقام عشرين سنة [1] . وحدث أن قامت فتنة أدّت إلى القبض على عدد كبير من القبط منهم برسوم العريان . وما كاد أن يـــدخل السجن حتى أخذ يضرع إلى الآب السماوى ليرفع عن شعبه ما حلّ بهم من أذى . فإستُجيبت ضراعته إذ صدر الأمر بالإفراج عن المسجونين وبالكفّ عن مضايقة القبط وتأمينهم على أعمالهم . وعندها قصد القديس إلى دير شهران بالمعادى وعاش فوق سطحه مداوماً على نسكه وتأملاته وتشفّعه فى بنى قومه .

ومن نعمة اللّه عليه أن منحه السلطة على الوحوش تحقيقا لوعده الراسخ : " لأنه مع حجارة الحقل عهدك . ووحوش البرية تسالمك " (أيوب ٥ : ٢٣) . فقد حدث أنه كان جالساً ذات يوم خارج الدير يحيط به عدد من المؤمنين طلباً لبركته وللإرتواء من تعليمه . وفى أثناء حديثه صمت فجأة ثم قال لمن حوله " عما قليل سيأتينا وحسن مخيف ولكن لا تنزعجوا منه البته لأنه لن يؤذى أحداً منكم " . وبعد لحظات رأى المجتمعون ثعباناً ضخمـــاً زاحفاً نحوهم إلى أن إستقر بين ساقى القديس الذى أخذ يداعبه وهو يقول له : " لماذا لم أرك منذ وقت طويل ؟! " وقدّم له وعاءً مليئاً بالماء . فشرب الثعبان إلى أن إرتوى . وبعد فترة قصيرة أمره القديس بالإنصراف . فأطاعه على الفور . فمجّد الجميع اللّه الذى منح قديسه سلطاناً هذا مقداره .

ولأن الأنبا برسوم العريان عاش المحبة التى أوصانا بها رب المحبة فقد وَسع قلبه الرحيب كل المواطنين . وتتجلّى هذه المحبة فى أن الشيخ زين الدين أحد قضاة الإسلام الأربعة أصيب بمرض . وبعد علاج مدى تسعة شهور دون جدوى رأى الشيخ هذا القديس فى حلم يسأله عمّا به . فسأله الشيخ عن إسمه وحين عرفه قال له : " أرجوك يا أخى أن تصلى إلى اللّه ليمنحنى الشفاء . " ولكنه فوجىء بأن القديس لم يَعُدْ أمـــامه . ففى الصباح أرســـل الشيخ زين الدين إبنه إلى الأنبا برسوم ومعه هـــدية ليرجوه أن يحضر إليه ويشفيه . فقصد الإبن إلى القديس وحينما

---

(١) قدم فريد شوقى شاكر رسالة الدبلوم بالمعهد العالى للدراسات القبطية عن" سيرة القديس الشهيد أبو سيفين وكنيسته بمصر القديمة " ذكر فيه على ص ٢٤ مدفنة البطاركة المحفورة تحت المذبح فى الهيكل الكبير . فقال إنه إكتُشف أثناء عملية ترميم الهيكل الكبير جسد القديس الأنبا كيرلس آخر مطران قبطى لاثيوبيا وأن هذا الجسد سليم لم يتحلل مع أن هذا القديس قد إنتقل إلى مصاف الأبرار فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٠ . وهذه الظاهرة العجيبة هى ضمن إكرام اللّه لقديسيه .

إقترب من دير شهران سمع القديس يناديه بإسمه هاتفاً : " يا محى الدين عُد بالهدية إلى أبيك وقل له إنه سينال الشفاء بنعمة اللّه " . ثم أخذ منه حَبة كمثرى وبارك عليها وقال : " أعطها لأبيك ليأكلها ففيها يكمن الشفاء " . فعاد محى الدين إلى أبيه الذى ما كاد يفرغ من أكل الكمثرى حتى برىء تماماً (١) .

ومن الواضح أن هذا القلب الرحيب الذى تميّز به الأنبا برسوم قد تميّز به أيضاً الأنبا بولس الذى نال من الروح القدس موهبة الجهد المثابر فمكّنه من البناء والتعمير . فالدير الذى يحمل إسم برسوم العريان والذى إمتدت إليه يد الأسقف الدوؤب بالتجديد يرجع تاريخه إلى القرن الخامس حين كان يحمل إسم شهران . وكان آنذاك عند ضفة النيل ثم إنحسر عنه سريان النهر الخالد غرباً إلى مئات الأمتار . فلما وصل الأنبا كيرلس الخامس إلى السدة المرقسية وإنشغل أولاً ببناء كنيسة السيدة العذراء بحلوان رأى أن يشمل كنيسة العريان بعنايته ، فجددها وبنى إلى جوارها داراً يستريح فيه المؤمنون الذين يستهدفون بركة هذا القديس فى مختلف المناسبات . وأحاط الكنيسة والدار بحديقة واسعة زرع فيها الأشجار والنخل والأزهار . وهذه الأشجار والنخل مازالت تعطى ثمارها فى حينها بعد إنقضاء قرن على زراعتها .

ولقد بدأ الأنبا بولس بتوسيع رقعة الأرض القائم عليها الدير حتى بلغت مساحتها تسعة أفدنة . ثم إمتدّ بالتوسيع إلى الكنيسة فجعل منها كتدرائية كبرى إرتفعت منارتها عالية نحو السماء حتى أنه ليمكن رؤيتها من بعيد . وبما أن الأرض متسعة فقد أقام داراً للمطرانية من طابقين : الأول به قاعات لإستقبال الضيوف والثانى مسكن الأسقف . وإستكمل هذا التعمير ببناء قاعة لإجتماع الشباب وإستراحة للزوّار ومكتب للرعاية الإجتماعية . وأحاط كل هذه المنشآت بسور عالٍ عريض . ثم زوّد الدير بدائرة تلفزيونية معلّقة . وإشترى أوتوبيساً كبيراً لتسهيل الرحلات . ومن الأنشطة التى رعاها الأسقف الجليل نادٍ صيفىّ وإجتماع أسبوعى للشباب ، كما هيأ الفرصة لإقامة معرض سنوى من منتجات شعب الكنيسة . وقد إحتفى الراعى والرعية بإفتتاح هذه المنشآت الضخمة يوم الجمعة ٢١ يونيو سنة ١٩٧٠ .

وجـــدير بالذكر أن برسوم العـــريان له زميل فى الزهـــد والتقشف والمحبة الباذلة

---

(١) "أسقفية حلـوان ودير القديس برسوم العريان " للقمص صموئيل تاوضروس السريانى ، " قصة الكنيسة القبطية " حـ ٣ ، ص ٢٨١ - ٢٨٥ .

هو روبس . وكل منهما لم يكن كاهناً ولا شماساً ولم يلبس زى الرهبنة . ولكن كنيستنا الصاحبة ، لتقديرها لهما قد أعطتهما لقب " أنبا " – وهو لقب خاص بالباباوات والمطارنه والأساقفة .

كنيسة مارجرجس بالتّبيّن :

إن التبيّن ضاحية قديمة أشبه بقرية داخل منطقة حلوان . وكان سكانها قليلى العدد . ثم حدث أن أقيمت مصانع الحديد والصلب والكوك ، ومعاهد البحوث للغازات ، ومصانع المساكن سابقة التجهيز ، وهذه من المصـــانع الصغيرة ، وكـــل هذه المصانع تستلزم العمال والمشرفين والمديرين والمراقبين . وهكذا تزايد عدد السكان بالتبيّن وبالتالى تزايد عدد القبط منهم . فلما رأى الأنبا بولس هـــذا التزايد بنى لهم سنة ١٦٨٤ سن (١٩٦٨م) كنيسة بإسم مارجرجس لرعايتهم الروحية وإذ وجد التزايد مستمراً شعر بحـــاجتهم إلى الخدمات التى درجت الكنيسة القبطية منذ عصورها الأولى على تقديمها لشعبها فأقام إلى جوار الكنيسة مبنى من ثلاثة طوابق لمختلَف هذه الأنشطة . ثم أضاف طابقاً فوق سطح الكنيسة لتستوعب الشعب المتكاثر .

وقد يندهش البعض من أن الخدمات الموصوفة بالإجتماعية والتدريبية بل والتعليمية أيضـــاً كانت منذ نشأة كنيســـتنا المحـبوبة هدفاً أســـاسياً تحتّمه المحبة . ففى عهد الأنبا أنياثوس الذى رســـمه مارمرقس نفسه أسقفاً ، أنشأ هو وكهنته وشعبه مقابل الكنيسة التى تحمل إســـم كاروزنا العظيم فى مدينة الأســـكندرية العظمى مبنى لإيواء الغـــرباء ومعاونة الفقراء – وبديهى أن هذا كان فى القرن المسيحى الأول . إذن فليست هذه الخدمات بالشىء المستحدث التى يظن البعض منا أننا نقلنـــاها عن الغرب إذ هى الخدمات التى قال عنها رب المجد : " مافعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم ." (متى ٢٥:٤٠) . وهذا الإستمرار فى هذه الخدمات بل وفى التوسّع فيه دليل لامع على حيوية الشعب القبطى ورعاته .

كنيسة الست دميانة بالمعصرة المحطة :

إن المعصرة كانت أيضاً ضمن القرى المتناثرة قرب نيلنا الخالد . ويتضخّم عدد سكان مصر حتّمت الضرورة تّحول هذه القرى إلى ضواحى للقاهرة . ولما أخذ عدد سكان تلك الجهة يتزايدون رأى الراعى الساهر وجوب إقامة كنيسة لهم . فإشترى لهذا الغرض بيتاً وأعدّه ليكون كنيسة منذ سنة ١٩٧١ . على أنه لم يكتف بذلك بل أراد أن يفرح ويفرّح شعبه معه بكنيسة أصيلة البناء . فهدم البيت وإشترى قطعة أرض بجانبه ثم أقام كنيسة تحمل إسم الشهيدة الباسلة الأميرة دميانة . وهذه الكنيسة وضع تصميمها مكتب المهندس الأستاذ د . ميشيل باخوم . ويضم مبناها الكنيسة التى تحتل الطابق الأرضى وتعلو فوقها القاعات والحجرات اللازمة لمختلّف الأنشطة الكنسية . فإستلزم بناء هذه المجموعة الجهد والمال من سنة ١٩٨٥ – سنة ١٩٨٨ . ولئن كانت المبانى قد تمّت ويستخدمها الشعب للأهداف التى أقيمت من أجلها إلا أنها مازالت فى حاجات إلى الأيدى المرهفة : أيدى الأيقونوغرافيين القبط لتصبح تحفة فنية جميلة تتّفق وعقيدتنا الأرثوذكسية وتراثنا المصرى العريق .

كنيسة السيدة العذراء بزهراء حلوان :

هذه المنطقة هى تلك المعروفة تاريخياً بإسم وادى حوف . ولهذه المنطقة تاريخ يروى لنا صلابة جدودنا وصمودهم . فكم من مرة إشتعلت فيها الثورات بل وقامت معارك حربية دامية ! ثم أخذت الأحوال تهدأ تدريجاً إلى أن إستتبّ الأمن نهائياً . ومما ساعد على إستقرار الأمن أن إشترى كامل صدقى باشا أحد أقطاب الوفد المصرى تحت زعامة سعد زغلول باشا الذى جعله وزيراً للمالية فى المرتين اللتين ألّف فيهما وزارته المصرية الصميمة . إشترى عزبة فيها تقع فى منطقة مصانع النصر للسيارات وما تستلزمه هذه المصانع من أفرع متعددة . ولهذه الأسباب إمتدت رقعة الأرض الآهلة بالسكان وأصبحت " زهراء حلوان " . وبما أن السيدة العذراء هى نرجس شارون سوسنة الأودية (نشيد الأنشاد ٢ : ١) كان من الطبيعى أن يحتار الأنبا بولس إسمها الغالى ليطلقه على كنيسة منطقة تسمى " زهراء " . وقد تم بناء هذه الكنيسة سنة ١٦٩٤ سن (١٩٧٨م) ، . وهى كأخواتها اللامعات فى إيبارشية حلوان تحتوى على الأماكن الخاصة بكل الأنشطة الكنسية المتباينة .

كنيسة الملاك ميخائيل بعرب سلاّم :

وهذه تنضم إليها المنشية الجديدة والمعصرة البلد فهى بالتالى مسكن عدد غير قليل من القبط . فإشترى الأنبا بولس أرضاً هناك فى أوائل السبعينات ، وبتعصيد وبتكاتف الشعب الذى درج مدى القرن على محبة كنيسته والوفاء لرعاته لم تلبث أن قامت مبانى الكنيسة وملحقاتها عالية ترهو بمجد فاديها وهذه المبانى تضم مدرسة حضانة ومشغلاً ومستوصفاً خيرياً يؤدى عدداً من الخدمات الصحية مجاباً والعدد الآخر بأجر زهيد .

كنيسة مارجرجس بحلوان :

كانت هذه الكنيسة مملوكة للألمان قبل الحرب العالمية الأولى (سنة ١٩١٤ - ١٩١٩) . ثم سادها الخراب لغاية سنة ١٩٣٩ لأن الألمان إنهزموا هزيمة نكراء فى تلك الحرب البشعة. ثم قامت بعد ذلك الحرب العالمية الثانية التى شنّها الألمان لأنهم لم يتعظوا بما أصابهم من فشل فى حربهم الأولى التى كانوا هم أيضاً باديئيها . وهذه الحرب العالمية الثانية إستمرت من سنة ١٩٣٦ - ١٩٤٢. وفى تلك الحرب الثانية حين إنتصر الحلفاء - وهم فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة ومعهم روسيا- إســتهدفوا أن يعلموا الألمان درساً لا يمكن أن ينسوه مدى الأجيال فخربوا برلين تخريباً شاملاً ، وبعد إنتهاء الحرب قسموها إلى منطقتين " الشرقية والغربية " : يحكم الأمريكيون الغربية منها والروس الشرقية حكماً صارماً إلى حد أن المقيمين فى منطقة لا يمكنهم الذهاب إلى الأخرى بغير جواز سفر مؤشّر عليه بإذن الخروج كأنهما دولتان مختلفتان ! فعجز الألمان على الأقل فى بداية سنى الهزيمة عن الحضور مجموعاتهم إلى مصر مما أدّى إلى إنغلاق كنيستهم . وبديهى أن الإهمال لعدة سنوات بدأ يطبع بصماته على تلك الكنيسة . فتقدم الأنبا بولس لإنقاذها بأن إشتراها وجددها وبدأ بإقامة صلوات الشعائر المقدسة فيها من سنة ١٩٧١ ، ثم أخذ الراعى الساهر يضيف إليها التعديلات والتوسّعات فألحق بها المبانى التى تستلزمها التربية الكنسية وإجتماع الشباب والخدام والخادمات ومكتبة وناديا صيفيا .

كنيسة الملاك ميخائيل بحلوان :

وهذه كان أصحابها الروم (اليونان) الكاثوليك . وهم بدورهم أخذوا فى الإجلاء عن مصر تدريجياً على أثر تأميم قناة السويس(١) . وإذ وجد الأسقف الجليل أن من بقى

---

(١) كانت هذه القناة المصرية تتحكم فى تسيير أمورها شركة فرنسية منذ أن حصل المهندس الفرنسى دى لسيس على الإذن بحفرها من الوالى سعيد باشا - مع أن المال الذى صرف على هذا المشروع جمع بطريق الأسهم التى إشتراها كل من يريد . ثم فى سنة ١٩٥٦ أعلن جمال عبد الناصر الرئيس الثانى لجمهوريتنا المصرية تأميم هذه القناة - أى تحويلها إلى ملكية أصحابها الشرعيين . فإستشاط الفرنسيون وحلفاؤهم الإنجليز غضباً وشنّوا علينا الحرب مؤازرة منهم لدولة إسرائيل - ولكنهم إضطروا إلى الإنسحاب. وجدير بالذكر أن ١٢٠,٠٠٠ مصرى ماتوا فى سبيل حفر القناة .

منهم عدداً هزيلاً إشترى منهم الكنيسة كما كان قد إشترى سابقتها . ففى أوائل الثمانينات خرجت من حوزتهم إلى حوزتنا . وبما أن الكنائس تقام وفقاً لعقيدة أصحابها وتراثهم وبيئتهم فقد إستلزمت هذه الكنيسة أيضاً التعديلات الضرورية لتحويلها إلى معقل عبادة أرتوذكسية - ومن له أذنان للسمع فليسمع وأيضاً من له عينان للبصر فليبصر . وحالما فرغ من إعدادها إختار لها إسم رئيس جند السمائيين المنتصر على الشيطان وقواته والحارس للأهوية والمعين للشهداء خلال تعذيبهم لينتصروا بدورهم على عدو الخير .

كتدرائية مارمرقس بمدينة ١٥ مايو :

نرى مما سبق أن الأنبا بولس قد نجح بالنعمة المؤازرة له فى أن يبنى ويجدد تسع كنائس فى مختلف جهات إيبارشيته الفتيّة . ثم إمتدّ ببصيرته نحو الضاحية الجديدة التى أنشئت بعد ثورة التصحيح ولذلك أُطلق عليها إسم " ١٥ مايو " (وهو اليوم الذى تحقّقت فيه تلك الثورة) . فإشترى قطعة أرض مساحتها أربعة آلاف متر مربع لهذا المشروع وبُدىء بتخطيطها تمهيداً لبناء كتدرائية تحمل إسم كاروزنا العظيم . على أن رب المجد رأى فى حكمته اللامسيورة أن يريح هذا الخادم الأمين فنقله إلى مصافّ الأبرار يوم الثلاثاء ١١ برمودة سنة ١٧٠٤ سن (١٩ أبريل سنة ١٩٨٨م) قبل الشروع فى بناء هذه الكتدرائية المشتهاة .

" ما أبعد طرقه عن الإستقصاء" (روميه ١١ : ٣٣)

ومما لازلنا نبهت أمامه ما يصيب العاملين الساهرين من أمراض . ومقابل ذهولنا يرنّ فى آذاننا قول رب المحبة : " أما الروح فنشيط . وأما الجسد فضعيف " (مرقس ١٤ : ١٨) . فهذه الروح المتوثّبة الملتهبة محبة التى دفعت بصاحبها إلى بذل كل هذه الجهود العملاقة قد أنهكت الجسد فنهض القلب يحتج . وإشتدت وطأة المرض . فإضطر الأنبا بولس إلى السفر ثلاث مرات إلى الولايات المتحدة للعلاج . وفى المرة الأخيرة أعلنه الطبيب بأن لابد له من أن يجُرى عملية زرع قلب جـديد بدلاً من قلبه الثائر ! فعاد إلى إيبارشيته على أثر هذا القرار . وأرسل كل التقارير الطبية إلى د . مجدى يعقوب بلندن بيد د . مجدى رزق الله أسكندر أحد أولاده بالإيبارشية . ولما إطّلع هذا الطبيب ذو الشهرة العالمية على التقارير أكد بدوره ضرورة إجراء هذه العملية . وكذلك متابعة نتائجها لمدة سنة . ولما كان نيافته كريم النفس لا يرضى أن يثقّل على

أولاده إلى حدّ أنه رفض إقتناء سيارة خاصة فإنه لم يطلع أحداً على ماتستلزمه العملية من مصروفات باهظة قدرها الأطباء بمائة ألف دولار أمريكى . على أن اللّه محب البشر العارف بخفايا القلوب قد هيأ لنيافته إثنين من أقاربه مقيمين بالولايات الأمريكية هما د . جميل موسى ود . محب رزق اللّه (وهما من أقاربه) تكفّلا بهذه المصروفات – ومع ذلك فقد صدر الحكم الإلهى .

الرحلة السعيدة :

وحينما إنتابت الأنبا بولس الأزمة القلبية الأخيرة قصد إلى مستشفى الأمل بحلوان ليكون تحت الإشراف المباشر للدكتور عزيز فريد الذى طالما تولّى علاجه . وفى مساء الإثنين ١٨ أبريل سنة ١٩٨٨ زاره د . عزيز إذ كان قد عاد إلى مقر أسقفيّته . وكان مع الطبيب فى ذلك المساء بعض أعضاء لجنة كنيسة السيدة العذراء بحلوان . إلا أن د . عزيز ظل مع نيافته بعد إنصراف الآخرين . ثم حين همّ هو بالإنصراف قال له رجل اللّه : " عند إنطلاقى من هذا الجسد أرجو أن تبلغوا الخبر أولاً لقداسة البابا وتعطوه عصانى الأسقفية ثم تبلغوا الخبر لأعضاء لجنة الكنيسة بحلوان " .

ولم تنقض على هذه الوصية بضع ساعات حتى إنتهت الرحلة المليئة بالجهاد وبالسعادة الروحية معاً . فإستودع الأنبا بولس روحه الطاهرة فى يد الآب السماوى فى الساعة السادسة والنصف من صباح الثلاثاء . وكان د. عزيز قد عاد إلى جانبه فنفّذ رجاءه بدقة إذ قد وصل الخبر الأليم إلى الأستاذ وهيب رياض عضو اللجنة والخادم المعروف بحلوان فى الساعة السابعة وعشر دقائق . ثم توجّه الإثنان إلى الأب المكرّم القمص بنيامين شقيق الأسقف الجليل وأوقفاه على الخبر – وهو بدوره أبلغه للبطريركية . فأوفد قداسة البابا شنوده الثالث على الفور أنبا بسنتى (أسقف عام) وأنبا سرابيون أسقف العلاقات العامة والخدمات الإجتماعية . فوصلا إلى مقرّ الأسقفية بدير العريان فى التاسعة من صباح اليوم نفسه . وهكذا سرى الخبر المفجع فى أنحاء إيبارشيته ومنها إلى أنحاء الجمهورية . ولا داعى للقول بأن وقعه كان أليماً للغاية . فتوافد المئات من أحباء الحبر الجليل على المقر الأسقفى وبخاصة أولئك الخدام والخادمات الذين نالوا بركة العمل تحت رعايته . ولئن كان الحزن قد ملأ قلوب أولاد الكنيسة المجاهدة فالفرح قد ملأ صفوف الكنيسة المنتصرة . فحقّ لنا أن نردد قول ذهبى الفم :" كيف يتّشحون السواد على من إنتقلوا إلى مساكن النور ! "

النظرة الأخيرة :

ومن توجيهات كنيستنا الحبيبة إلباس رجال الكهنوت ملابسهم الخلاّبة التى يؤدون بها الشعائر القدسية عند وضع جثمانهم الطاهر فى التابوت . والهدف من ذلك هو تنبيه الأذهان بأنهم إنضموا إلى صفوف الكهنوت السمائى الذى يجلس فى صفه الأول الأربعة وعشرون قسيساً المحيطون بعرش الحمل ليتشاركوا وإياهم الصلوات - تلك الصلوات عينها التى كانوا يرفعونها وهم وسط زمرة الأرضيين . ومن توجيهاتها أيضاً أن يظل الجثمان راقداً داخل تابوته المكشوف - وهكذا أرقدوا الراعى الذى سهر عليهم فى الدور الأرضى من الدار المطرانية لغاية فجر الأربعاء ٢٠ أبريل سنة ١٩٨٨ ، ثم نقلوه ووضعوه أمام حجاب الهيكل الرئيسى بكنيسة السيدة العذراء بعد أن ظلت الصلوات المليئة حزناً والتسبيحات الهادفة إلى تعزية القلوب ترنّ طوال الليل متشاركة تهليل السمائيين لترفّ حبيب السيد المسيح إلى مصاف القديسين .

ثم فى تمام الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم أقام شعائر الصلوات الجنائزية الأنبا دوماديوس أسقف الجيزة والأنبا فيلبس أسقف الدقهلية والأنبا باخوميوس أسقف البحيرة والأنبا سرابامون أسقف دير الأنبا بيشوى (بوادى النطرون) والأنبا أنجليوس أسقف الشرقية والأنبا متاؤس الأسقف العام لكنائس مصر القديمة والأنبا موسى الأسقف العام للشباب والأنبا أبرآم أسقف الفيوم . وقد شاركهم الصلوات ستة آخرون من الأساقفة وعشرات من الكهنة .

وقد شاركت الدولة هذا الأسى بأن أوفد الرئيس حسنى مبارك السيد العقيد جلال لطفى مندوباً عنه والسيد العقيد سعيد ميخائيل مندوباً عن وزير الداخلية ، كما حضر رؤساء مختلف الطوائف .

ولما تمت المراسيم الشعائرية حمل بعض الآباء الأجلاّء التابوت على أكتافهم ووضعوه داخل السيارة المعدّة لذلك والتى تقدّمت الموكب المهيب المؤلّف من أعداد هائلة من السيارات . وسار هذا الموكب الضخم إلى دير القديس الأنبا برسوم العريان بالمعصرة .

وفى خشوع . وفى تسليم للإرادة الإلهية . أودع المحزونون راعيهم فى القبر الذى كان قد أعدّه لنفسه تحت منارة الكنيسة حيث رقد الأسقف بسلام إلى جوار هذا القديس العظيم .

وهكذا إنتهت الرحلة الأرضية ورجع الأنبا بولس أسقف منف إلى بيته : بيت الآب السماوى الذى دعاه للسكنى فى دياره .

المراجـــع

١ - " أســقفية حلوان ودير القديس برســوم العريان " للقمص صــموئيل تــاوضروس السريانى .
٢ - " رجع إلى بيته " كتــاب أصــدره أولاد الأنبا بولس فى ذكرى الأربعين لإنتقاله .
٣ - " قصة الكنيسة القبطية للمؤلفة - حـ ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ .

" أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بهم " .

ليس تاريخ كنيستنا كتاباً يُقرأ بل هو قوة دافعة للقارىء المتمعّن تجعله يحفظ كل هذه الأمور متفكّرا بها فى قلبه "(١) وليست سير الآباء والأبناء قصصاً يتسلّى بها الراوى والسامع إنما هى نماذج تنتصب أمام كليهما لتلهب القلوب وتسمو بها إلى التطلّع نحو القمم الشاهقة التى وصلوا إليها . وهذا هو الهدف الأساسى الذى جعل معلمى كنيستنا ينظمون السنكسار ضمن القراءات الكنسية ، وهو الهدف أيضاً الذى ألهب الكاتبين ليسجّلوا هذا التاريخ وهذه السيّر . وليس من شك فى أن سير المعاصرين ذات جاذبية خاصة لأنها تنبّه الذهن إلى أن **القداسة** ليست وقفاً على عصر معين : **إنها الخيط الذهبى الذى يمدّه الله من نفس إلى أخرى على ممر الأجيال** . ومن هذا الموقع لنتمعن سيرة القديس المعاصرة القمص عبد المسيح سيداروس .

البيئة التى نشأ فيها - إن أبوىّ عبد المسيح هما القمص سيداروس أخنوخ خادم مذبح كنيسة مارجرجس بالبياضية ملوى ، والسيدة فردوس كريمة إسكاروس القمص شيخ قرية دير الملاك بمركز ملوى . ولقد عرف الشعب البياضىّ فى أبيهم سيداروس صلته الوثيقة بربّه إذ كـان قلبه مشتعلاً بمحبة السيد المسيح وبقديسيه وشهدائه وبكنيسته المصرية العريقة . كما أن المقربين إليه قد عرفوا مدى هذه الصلة فهم يحكون عنه **أنه كان يناجى شهيد كنيسته فما لأذن** ، وأن الكثيرين من السوّاح كانوا يظهرون فى هذه الكنيسة ويقيمون فيها الصلوات والقداس الإلهى .

وهناك نادرة عنه تقول بأنه كان نائماً ذات ليلة فإذا بملاك يوقظه وهو يقول : " قم إصرفنى " . فتذكر لتوّه أنه نسى أن يصرف ماء المعمودية بعد الإنتهاء من تأدية هذا السر المقدس صباح اليوم المنصرم . فقام فى الحال وذهب إلى الكنيسة وصلى صلاة تسريف الماء ليصرف الملاك المعّين من الله لرعاية هذا الطقس الجميل .

وهنا يليق بنا أن نذكر **أن كنيستنا المحبوبة تؤمن بأن لكل من الأسرار المقدسه * ملاكاً حارساً يرفّ فوق السر القدسى من بداية الصلاة إلى آخرها . والعجيب أن هذا الملاك لا يصعد إلى السماء ما لم يصرفه الكاهن** . فالآب السـماوى بما أنه تفضّـل فجـعلنا أولاده ، فقـد تفضّـل أيضـاً

---

(١) أورد لنا لوقا البشير هذه الكلمات وصفا للسيدة العذراء المباركة - لوقا ٢ : ٥١ .

* والكنيسة القبطية تؤمن بأن السيد المسيح هو الذى يقيم سر الافخارستيا وهو الذى يناول مندبيه بنفسه - أما الكاهن فهو وسيط ، وكذلك فى المعمودية .

بإقامة ملاك حارساً لكل شخص بالذات ولكل سرّ على حدة . ونحن نسمع أبانا الكاهن الخديم ، بعد أن ينتهى من غسل الأوانى المقدسة ، يصبّ الشماس فى يديه بعضاً من الماء ، فينفخ هو عليها بأنفاسه الطاهرة ويقول علنا : " يا ملاك هذه الذبيحة الصاعد بها إلى السماء أذكرنا أمام العرش " . فينصرف الملاك الذى رفّ فوق الافخارستيا صاعداً إلى الملكوت حاملاً معه تذكر الكاهن والشعب الذين حضروا القداس الإلهى .

وهناك كاهن آخر إنسابت دماؤه ضمن ما انســاب فى شرايين عبد المسيح . وهذا الكــاهن هو القمص زكــريا عم والدته. وكان راعياً لكنيســة الســيدة العذراء بمدينة الروضـــة.

والبياضية ، مع كونها أقرب إلى قرية منها إلى مدينة ، قد قدّمت للكنيسة الأنبا مرقس الخامس البابا الثامن والتسعين (سنة ١٦١٠ – ١٦٢١م) الذى كان جديراً حقاً بأن يحمل إسم الكاروز العظيم وأن يجلس على كرسيه . وهى أيضاً مثوى الأنبا يؤنس الخامس عشر البابا التاسع والتسعين (سنة ١٦٢١ – ١٦٣٧م) (١) . فقد حدث وهو عائد من رحلة راعوية أن انتقل إلى الأخدار السماوية عند وصوله إلى البياضية . فبعد الصلاة عليه دفنوه فى " دير الأنبا بيشوى " – وهو قرية تقع فى الشمال الشرقى للمدينة . والواقع أن الأشمونين والمنطقة المحيطة بها (وتشمل ملوى) قد إزدهرت بالأديرة للرهبان والراهبات وإزدهرت بالنسّاك والناسكات . كما إزدانت ، ومازالت مزدانة بالعدد الوفير من القديسين والقديسات . وزاد صيتها الحسن أن كانت إيبارشية الأنبا ساويرس كاتب " تاريخ بطاركة الأسكندرية " ، وهو قد عاش فى القرن العاشر ، وإيبارشية الأنبا يمين الذى إنتقل إلى الفردوس سنة ١٩٨٦ .

وفى هذه البيئة المليئة بالروحيات عبر أجيالها الطويلة والتى سادتها المحبة المسيحية بكمالها وُلد عبد المسيح فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٢١ . **فرضع محبة الكنيسة رضعاً ، وتعلّق بالخدمة وبالكهنوت** . ومن الأدلة الساطعة على هذه المحبة أن له صورة ، وهو فى الثالثة عشرة من عمره ممسكاً صليباً بيده اليمنى والكتاب المقدس باليسرى – كأنما شاءت روحه أن تسابق الأيام فترتفع به إلى المثول أمام الكاميرا فى هذا الوضع الملازم للكهنوت . كذلك كانت اللعبة المفضّلة عنده هى " لعبة الكنيسة " فيجمع الأطفال ويتخذ أمامهم دور الكاهن والمعلم والمصلىّ .

---

(١) راجع سيرتهما فى جـ ٤ من هذا الكتاب ص ٣٢ – ٣٥ و ٣٦ – ٣٩ .

كهنــــوته :

ولما بلغ الخامسة والعشرين زكـاه حبيب جرجس للكهنوت عند الأنبا أبرآم مطران الجيزة والفيوم فعمل بالتزكية ورسمه قساً على كنيسة مارجرجس بالصف التى تتبعها بلدة الأقـواز . وقد تمّت رسامته صباح الأحـد ٢٨ يوليو سنة ١٩٤٦ باسمه الأصلى " عبد المسيح " . ومن عجب الله فى قديسيه أن أحد أولاده نال كرامة الكهنوت بدوره فى التاريخ عينه لسنة ١٩٧٢ باسم جده " سيداروس " . ومن عجبه أيضاً أن أبانا سيداروس لم يكن قد نال بركة الإلتقاء بالأنبا كيرلس السادس وهو على هذه الأرض . وبعد أن تخرج فى الإيكليريكية قضى فترة شماساً واعظاً فى الكنيسة التى يرعاها أبوه . وذات ليلة تراءى له البابا الوقور فى حلم وأمسك بيده وقاده إلى كنيسة دون أن يخبره عن موقعها ولا عن إسم شفيعها ، بل إكتفى بسؤاله : " تعجبك الكنيسة دى ؟ " أجابه : " نعم " . ثم توارى عنه .

ومرّ أسبوع واحد فقط إستـدعاه بعده الأنبا شنوده الثالث أطال الله حياته وسأله : " عندك مانع أن أرسمك كاهناً فى شبين الكوم ؟ " أجابه " . أرحّب بالكهنوت فى أى مكان " . وتمت رسامة القمص سيداروس عبد المسيح . فلما إنقضت الأربعون يوماً المقرر على الكاهن قضاؤها فى الدير عقب رسامته وذهب ليتسلّم مهامّ رعايته ، ودخل كنيسة مارجرجس بشبين الكوم وقف مذهولاً : **إنها الكنيسة بعينها التى أراه إياها الأنبا كيرلس !** .

وفى أواخر سنة ١٩٤٨ مرض أبوه القمص سيداروس وضعف بصره ، فرجا من نيافة مطرانه الأنبا ساويرس أن يسمح لأبنه القمص عبد المسيح بالمجىء إليه للخدمة معه . فلما أوصل نيافته رجاء كاهنه إلى مطران الجيزة والفيوم إستجاب لفوره . فترك مذبح مارجرجس بالصف ليخدم مذبح مارجرجس بالبياضية .

وما إن عاد إلى قومه وعشيرته حتى بدأ خدمته ليل نهار ، وظل على هذا التفانى طيلة حياته . وفى تلك الآونة تعرّفت المؤلفة بهذا الكاهن الأمين . فقد كانت هناك جمعية باسم " جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة " (١) تهدف إلى إنشاء المدارس بالمجان لأن التعليم آنذاك كان ، فى كل مراحلة ، بالمصروفات ، ففتحت عدداً غير قليل من المدارس فى القرى وفى الأحياء الفقيرة من القاهرة . وبما أن **القمص عبد المسيح أنشأ مدرسة ملحقة بكنيسته بالمجان** ، وبمـا أنه كان قد سمع عن هذه الجمعية ، فقد بادر بمكاتبتها ليعرض على أعضائها مطالب مدرسته . وكانت المؤلفة ضمن المسئولات عن البرامج والكتب والأدوات الدراسية وعن تعيين النظـار والمدرسين .

---

(١) راجع ما ء عنها فى حـ ١٦ من هذا الكتاب .

ونتيجة للمكاتبات المتبادلة اعتاد أبونا عبد المسيح أن يزور الجمعية فى مقّرها أو أن يزور الكاتبة فى بيتها كلما جـاء إلى القاهرة . ويفرحنى أن أقـول أنه ثابر على هذا الجهاد إلى آخر حياته **ولكى ندرك توقّد حماسه يجدر بنا أن نذكر أن الكاثوليك حاولوا إفتتاح مدرسـة على نمط مدرسـته ليصطادوا أولاده . على أن نعـمة السيد المسيح آزرته فمكنته من أن يحتفظ بأولاده داخل حظيرته .**

ولقد شمل عمله الراعوى هدم الكنيسة القديمة وبناء كنيسة أوسع تضم بين رحابها الأماكن اللازمة للمدرسة ولمراكز الخدمة الإجتماعية والصحية ، وللتوعية الروحية العقيدية . فى هذه المجالات جميعها دأب على توزيع الكتب والنشرات والصور وغيرها من وسائل التشويق والإيضاح .

سـجاياه :

الواقع أن الكلمـت مهما بلغت من الدقة تقصر عن وصف الشـخصية فى حقيقتها . **فالإنسـان العائش كما شاءه خالقه طاقة ديناميكية** ، فمن أين للقلم أن يبرز هذه الطاقة الإلهية فى تمامها ؟ إلا أنه على الرغم من هذا القصور فالضـرورة موضوعة علينا لأن نرسـم صورة مضيئة قدر الإمكان لهـذه الشخصيات المثلى لعلنا نستطيع أن نترسّم خطواتهم . **ولقد كان أبونا عبد المسيح نحلة دؤوباً لا تكّفّ عن أنتاج الشهد والعسل** . والصلاة كانت الأساس الذى قام عليه كل سعيه . فلقد كان شغوفاً بالصلوات وبتأدية شعائر **القداس الإلهى ، يترنّم به بصوته الحنون عن محبة دافقة فيعطى للسامعين أن يتذوّقوه ويستطعموا حلاوته** . ولم يكن يحسّ بأدنى تعب بعد قضاء الساعات الطوال فى تأدية هذه الشـعائر القدسية .

كذلك كـان على جانب كبير من البسـاطة ، دقيقاً منظماً لكل أعمـاله حتى لقد أخضـع حياته الخاصة لهذه الدقة وهذا النظـام . **وكان راعيـاً يقظاً بحـق ومعلماً ملتهباً يعرف شـعبه وأولاده شـخصاً شـخصاً** . وهو إلى جـانب هذا كله **صفوحاً يسـارع إلى التصـالح والمسامحة** . ومع كل أعبـائه وجهاده بلا هوادة فقد عـرف أن يحـتمل آلامه فى صـبر وصـمت .

نيـــاحته :

وفى صباح السبت ٣ سبتمبر سنة ١٩٨٣ رنّ داخله صوت الفادى الحبيب : " أدخل إلى فرح سيدك " .

ولقد بدت المراحم الإلهية ساطعة فى عبده الأمين ، فأحد أبنائه – القمص سيداروس عبد المسيح – هو الذى نال كرامة الكهنوت فى نفس اليوم الذى ناله هو بعده بست وعشرين سنة . وهو يخدم الآن مذبح كنيسة مار جرجس بشبين الكوم ، كما أنه وكيل للإكليريكية بتلك المدينة . وغنى عن القول أنه متفانٍ كل التفانى فى مختلف مجالات خدمته الوسيعة . ويفرحنى أننى أعرفه إذ قد دعانى عدة مرات للتحدث إلى بنيه وبناته الإكليريكيين فى شبين الكوم المحبة للسيد المسيح . وزادت المراحم الإلهية أن منحته أن يحضر رسامة ابن ثانٍ له ليخدم معه فى كنيسته بالبياضية وهكذا يكرم الله الذين يكرمونه .(٢)

❊ ❊ ❊

١٥ – والدى كما عرفته : د . صابر جبره : ١٩٠٨ – ١٩٥٧.

مقـــدمة :

ولد صابر فى أكتوبر سنة ١٩٠٨ فى أبو تيج ، بلدة من صعيد مصر . وأبو تيج كلمة فرعونية هى " أبو نبكا " التى تعنى مخزن الأدوية أو العقاقير ، وكأن مكان ولادته إشارة خفية إلى مستقبل حرفته وهوايته .

عـائلتـــه :

إن عائلته من أعرق وأغنى عائلات المنطقة ، وكان لوالده مكانته فى نفوس أهلها وحكامها الأتراك فى ذلك الوقت ، فقد كان منزل عائلته مكان ضيافة لهم ولرؤساء الهيئات والدين . فدرج مملؤ القلب كبير النفس جمع بين التربية الإجتماعية والمثل الدينية . وفوق كل هذا كان لأمه أكبر الأثر فى صقل طباعة وتقويم أخلاقه : فزرعت فى قلبه محبة أصيلة قوية لازمته طوال حياته ، ولعل قلبها الكبير كان المنبع الوحيد الذى إستقوا منه جميعاً المحبة والعطف ورقة الشعور .

دراسته حتى نهاية الجامعة :

أدخله والده ، مدرسة القرية ونجح فى شهادة الإبتدائية ثم إنتقل إلى أسيوط ليكمّل تعليمه الثانوى . وفى هذا البلد بعيداً عن أهله ، إعتمد على نفسه ونجح فى ذلك ، فكان محبوباً لأخلاقه وإجتهاده من جميع مدرسيه وأقرانه . ولقد كثرت الندوات التى كان يعقدها خلال الإجازات أمام منزله ، وإنتقت موضوعات مناقشاتهم إذ تناولت الجديد من العلوم والآداب والأحداث السياسية وطالما ذكرنى أنه فى نهاية دراسته وحصـول

---

(٢) عن نشرة أصدرتها التربية الكنسية بشبين الكوم فى ذكرى الأربعين .

على شهادة الكفاءة كان قد إنتهى من قراءة " الإلياذة " و " الأودسا " لهوميروس . [١] وقد كاننا بداية حركة الترجمة الأدبية حينذاك ونقطة إنطلاق الأفكار التحررية بين الشباب المصرى . ولقد آمن بتحرر المرأة ورفع مستواها الإجتماعى والسماح لها بان تتعلّم مثل الرجل سواء بسواء .

وأنهى دراسته الثانوية بنجاح وتقدم . وظهرت ميوله إلى العلوم الطبيعية فالتحق بكلية الطب ولكن لسؤ تفاهم حدث بينه وبين أستاذه فى علم النبات إضطر إلى أن يغير دراسته الطبية وبدأ يدرس الصيدلة بعد سنة إعدادية . فما لبث أن قبل هذا الوضع الذى لم يكن ينتظره وسرعان ما تأقلم وأطلق لطاقته العقلية العنان . – وبدأت البلورات الأولى من مستقبل حياته تظهر أمامه فزادته عناية بها . وإنتظمت دراسته أكثر فأكثر وفعلاً كان له ما أراد . وقد أنهى دراسته فى مدرسة الصيدلة عام ١٩٣٢ وكان ترتيبه الأول فى سنوات دراسته الأربع فحاز جائزة مظلوم بك وقدرها عشرة جنيهات بجانب حصوله على جائزة بحرى بك لتفوقه فى علم خواص العقاقير وهى ميكروسكوب مازلت أحتفظ به حتى الآن .

وطوال مدة دراسته كانت هوايته القراءة والكتابة وبعض الرحلات مع أصدقاء مخلصين مازالوا على إتصال بنا بكل رعاية .

ما بعد الصيدلة :

وكان أمله بعد نجـــاحه المتفوق أن تتاح له فرصة تكملة دراسته العملية بالكلية . وكان المفــــروض أن توجد الكلية له مثل هذه الفرصة . ولما لم يتحقق له ذلك مارس مهنته حراً حتى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٣٤ وحَينذاك عُين صيدلياً ضمن أول فوج من المصريين بمصلحة المستشفيات الجامعية . وتدرج فى هذا المنصب حتى أصبح الصيدلى الأول بمستشفى القصر العينى . وظل فى هذا المركز حتى إنتقل فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ . ومن عجيب المصــــادفات [٢] أن مثل هذا اليوم سنة ١٩٣٤ كان تاريخ تعيينه بالوظيفة عينها .

وفى نفس السنة تزوج . فكان لزوجته أثر غير قليل للإستمرار فى التحصيل العلمى والتقدم الثقــافى والإجتمــاعى . واختير عضـواً بلجنة وضع الدستـور المـصرى للأدوية

---

(١) هاتان قصتان شعريتّان كتبهما الشاعر اليونانى الكبير هوميروس ، وقد تُرجمتا إلى معظم لغات العالم . وشهادة الكفاءة تعادل الإعدادية حالياً .

(٢) يعلمنـــا الآبـاء أنه ليست هناك مصـــادفات لأولاد الله بل إن مـــا يبدو كذلك هو ضمن تدبيره تعالى .

سنة ١٩٣٤ . وأختص هو بمـواضيع المقارنة بين دساتير العالم فى مختلف التحضيرات والمركّبات .

وإنتدبه الأستاذ الدكتور بحرى بك عام ١٩٣٥ للإشراف على معامله التى كانت أكبر معامل فى مصر وأقدمها وقد قضى ستة شهور بها يتدرب على التحاليل الطبية والصناعية شهد له بعدها الأستاذ بحرى بك بتفوقه وتقدمه .

وحاول أكثر من مرة أن يعود إلى كليته لتمنحه حق الإستمرار فى البحث والتحصيل ولكن الوقت لم يكن قد حان لذلك . وتعذر عليه إستمرار دراسته العلمية . فرأى أن يستزيد علماً بطريقته الخاصة . فكان الطريق الجديد الذى شرع فى سلوكه طويلاً لولبيا ، ولكننى أشهد لوالدى المناضل أنه وصل إلى مرحلة لا بأس بها من التحصيل بل أكاد أقول التقدم . فقد إلتحق فى سنة ١٩٣٩ بمعهد الآثار المصرية بكلية الآداب بجامعة القاهرة . ولما أنشئت دراسات التخصص بكلية الطب سنة ١٩٤٠ لم يتخلّف عن الركب فتقدم مبعوثاً من مصلحة المستشفيات الجـامعية لدراسة دبلوم تحليل العقاقير . D. D. A وهو أحد الفروع الدراسية المعقّدة فى مادة الصيدلة . وقد نال هذه الدرجة العلمية فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ وكان أحد الثلاثة المتخصصين فى هذه الدراسة بمصر.

وفى عام ١٩٤٤ حصل على دبلوم الآثار بعد دراسة دامت خمس سنوات والواقع أنه كان يدرس الفرعين فى نفس الوقت (العقاقير والآثار) لأنه على الرغم مما بينهما من بعد فإنهما كانا منسجمين بالنسبة له لأنه كان يرى فى التاريخ مالا يراه صاحب النظرة العلمية الخالصة فيذيب جمود هذه الدراسة ويجعل منها دراسة جديدة ذات طابع خاص فى مقارنته وإستساغته .

وقد كان يمر فى هذه الفترة بأزمة عائلية حادة ، وهى مرض زوجته التى كانت له خير معين ولأولاده المربى والأم . وكانت أختى مازالت صغيرة تحتاج إلى رعاية فكان فى وظيفته صباحاً . وفى الظهر زوجاً ومعالجاً وأباً وإنساناً . وبعد الظهر فى معهد الآثار ومعمل التحليل . وفى الليل دراسة . وهكذا كان يستميت ليقوم بكل هذه الواجبات على الوجه الأكمل .

وبدأ الحصاد يتجّمع ، وبدأت المعلومات تقترب من هنا ومن هناك ، وأصبحت دراسة الآثار مقرونة فى ذهنه بدراسة الصيدلة ، وشعر بأن هذا الجمع بين هذه العلوم ميدان مغمور لم يطرقه أحد بعد وهو . " الدواء والعلاج عند قدماء المصريين " . وفعلاً إكتملت النبتة فى ذهنه وحاول أن يقوم بتسجيل موضوع الدكتوراه بكلية الطب . ولكن هذه

الدرجة لم تكن قد أنشئت بعد بالكلية . فسجلها بكلية الآداب وأعد الموضوعات وإستمر فى البحث والتجميع بإرشاد أساتذته الذين أحبوه دائماً فكان الدكتور سامى جبرة يشرف على ناحية الآثار ، والدكتور جورجى صبحى يشرف على الطب والصيدلة والتاريخ . كما أن الدكتور لويس كيمر وضع تحت تصرفه مكتبته الخاصة ومعلوماته القيمة . وأثناء هذا الوقت أنشأت كلية الآداب معملاً كيماوياً بمعهد الآثار فإنتدب للإشراف على ترميم وإصلاح الآثار الموجودة بمتحف المعهد . وساعده ذلك على تكملة الناحية العلمية المعملية من دراساته وأبحاثه ، وأنهى أبحاثه وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٥١ بتقدير جيد جداً . وكانت مناقشة رسالته من أعنف النمناقشات التى شاهدتها فقد كان بين المتحنين الدكتور جرجس متى أستاذ اللغات القديمة المصرية . وقد إهتم بنوع دراسته فأثبت البحث أنه يعتمد إلى حد كبير على دراسات لغوية عميقة قلما يلم بها المتفرع لهذا النوع من الدراسة . وكان البحث شيقاً شاملاً جمع بين الأدب والطب والصيدلة واللغات . فكان حقاً خير تنفيذ لما كان طالما يراوده من إدماج الدراستين وقيام دراسة جديدة طابعها العمق العلمى والإسترخاء الأدبى الذى يزيل عما هو مطمور من حلقات تطور تحتاج فى كشفها إلى رجل جمع بين عقلية علمية أدبية . وقد ثبتت جدارة البحث فعلاً عندما فاز بعد أربع سنوات من تقديمه بجائزة كامل بولس حنا بكلية الآداب على أنه أحسن بحث دكتوراه قُدم ما بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٥٥ .

وكان الطريق المرسوم مازال فيه الكثير من العثرات . وكان دائماً يحاول أن يُخرج إلى الوجود دراسة تاريخ الصيدلة . فكان يرسل إلى كلية الطب المذكرة تلو الأخرى للعمل على إتاحة الفرصة له لتكملة أبحاثه ونشرها بالكلية ، وفى خاتمة إحدى هذه المذكرات يقول : " أطمع فى إتمام أبحاثى فى موضوع العقاقير القديمة وخاصة المصرى منها ولا يخفى ما فى ذلك من الأهمية الوطنية والعلمية كما أشارت بذلك مؤسسة اليونسكو العالمية " .

وكللت هذه المحاولات بالترحيب وتمت الخطوة الأولى فقد انتدب فى العام الدراسى ١٩٥٠ / ١٩٥١ لإلقاء محاضرتين أسبوعياً فى تاريخ الصيدلة لطلبة مدرسة الصيدلة .

وأوصت بعد ذلك لجنة الصيدلة فى العام ١٩٥١ / ١٩٥٢ بنديه أسوة بالعام الذى سبقه . وإستمر هكذا بجامعة القاهرة ثم بكلية الصيدلة بجامعة الإسكندرية بعدها . وقد عمل عميدها الأول الدكتور محمد مطاوع على تشجيع هذه الدراسة وإنتدبته الكلية لتدريسه كجزء من علم الصيدليّات .

وكان أثناء ذلك ينشر أبحاثاً عن نشاطه العلمى تارة بمجلة جمعية الصيدلة وأخرى فى نشرات المجمع العلمى ، وتارة فى نشرات خاصة : ومن أبحاثه التى خرجت فى هذا النطاق بحثه (١) " Papaver Species, & Opium Through the Ages " .

وحاز به على إعجاب أعضاء المؤتمر الصيدلى فى قسم تاريخ الصيدلة الذى عقد فى بوسطن منذ سنوات .

كان يهتم دائماً بنشر كل ما يتجمع عنده من معلومات . ولقد ظهرت له كثير من المؤلفات بالعربية والإنجليزية منها مقتطفات كثيرة وترجمات من المجلات السيارة الأجنبية ظهرت تباعاً فى مجلة الصيدلة المصرية . كذلك نشرت له نفس المجلة سلسلة من المحاضرات عن تاريخ الصيدلة والتخمّر الكحولى والمضادات الحيوية والتحنيط وشجر السنط وعدداً آخر لا بأس به من الأبحاث الصغيرة . كما أنه إهتم بتاريخ الصيدلة والطب فى فترة العصر القبطى وكتب فيها الكثير وألقى عدة محاضرات فى المعهد العالى للدراسات القبطية بالأنبا رويس حيث كان يشغل منصب أستاذ الحضارة والترميم لمدة ثلاث سنوات إلى يوم إنتقاله .

وعلى الرغم من كل هذا لم ينسَ واجبه الإجتماعى نحو إخوته الصيادلة ، ولعلهم أعلم منى بمجهوداته فى هذا النطاق : نطاق جمعية الصيدلة المصرية ونقابة الصيدلة وأسرة تحرير مجلة الصيدلة لأنه كان عضواً فى كل منها .

وإمتد واجبه الإجتماعى فشمل أفرع أخرى من النشاط المنتج فى كثير من المؤسسات والجمعيات مثل مستشفى هومل والجمعية الخيرية القبطية وجمعية التوفيق والكلية الإكليركية وجمعية البحوث الروحية . غير ما له فى النواحى الثقافية والدينية والعلمية كمقالات تنشر تباعاً فى الصحف . وأول كتاب له فى هذا النطاق هو " مجد الكتاب المقدس " ، وهو بحث شامل لما يحويه الكتاب المقدس من حقائق علمية وأدبية وفنية فى شتى نواحى الدراسات كالهندسة والصيدلة والموسيقى .

وفى أوائل عام ١٩٥٧ تم طبع الجزء الأول من كتابه الكبير " مصر وركب الحضارة " ، وهو بحث فى تاريخ الصناعات والعلوم الصيدلية والكيمائية . ولكن أعجب ما فيه بل وأصدقه هو مقدمته " إلى إثنين من أعز الناس إلى قلبى وأقرب الناس إلى روحى وهما أصحاب فضل على ، منهما قبست العلم فى ناحيتيه الآثار والصيدلة ، إلى هذين الشيخين ، شيخ الصيدلة فى مصر وعميدها الدكتور إبراهيم رجب فهمى وشيخ الأثريين فى مصر وعميدهم الدكتور سامى جبرة ، أقدم مجهودى الصغير المتواضع (مصر فى ركب الحضارة) لعله يرضيهما ولعلى أكسب رضاهما "

---

(١) أنواع الخشخاش والأفيون عبر الأجيال .

هـــذه نبذة مختصرة لحياة قصيرة المدى ولكنها حافلة خاضها رجل عميق الإحساس ، متفانٍ فى خدمته ، غير مفرق ولا متحيز ، واسع الأفق متواضع ، شعاره المحبة والتضحية ، كريم النفس والخلق ، يجود بما لديه من مال أو علم أو صحة إذا دعاه داعي الواجب الإنساني .

إنى أشعر وأنا أسطر هذا الكلام بشيء غريب فى صدرى ربما كان ألماً - ربما كان سروراً - ربما الإثنين معاً - أو لا هذا ولا ذاك ولكنه مجموع ما تركه فيَّ : فقد عرفه فـلان كزميل وعرفه فلان كمدرس وعرفه فلان كعـــالم . أما أنا فقد عرفتـه قدر فلان وفلان : عرفته كأبى مارس كل هذه الصفات معى ،،

* * *

عن جمـــال صابر جبرة

فى الذكرى السنوية الأولى لإنتقال أبيه

نوفمبـــر ١٩٥٨

ونضيف إلى ما سجّله ابنه عنه أنه لم يقصر أبحاثه على موضوعات تخصصه بل دفعه شغفه بالبحث إلى الخوض فى موضوعات لاصلة لها بدراساته إطلاقاً . وقد أشير إلى كتابه " مجد الكتاب المقدس " ولكن من نعمة الله أن ورد وصف تفصيلى لهذا الكتاب جدير بأن نورده هنا . فهو كان سليل عائلة ذات نزعة روحية إستوعب روحانيتها .

فلقد كان د . صابر جبرة فى الوقت عينه من رجال العلم . فاشتمل كتابه هذا على مواضيع دينية وإلى جانبها فصول عن حضارة الشرق الأوسط القديم ركّز فيها بصفة خاصة على النواحى العلمية لتلك الحضارات .

ويتضمن الكتاب ما يلى : مقدمة عامة . الروحانية كما تصورها العجائب الواردة فى الكتاب المقدس . الفن . الهندية . العمارة . تنظيم التاريخ والتسلسل التاريخى . البيولوجيا . التجارة . الموسيقى . المرأة . القانون . تدوينه وفلسفته . مصر فى الكتاب المقدس . الطب والصيدلة . الخمر . مصر والمسيحية . حياة السيد المسيح . أهمية الكتـــاب المقـــدس بين الديانـــات الأخـــرى . وهـــذا السجل يوضّح مدى تضلعه من الأسفار الإلهية .

وكتابته عن الحياة الروحية وفقاً للكتاب المقدس تبيّن أنه بحاثه عميق إلى جانب كونه وثيق الصلة بالله درس هذه الأسفار الإلهية طيلة حياته . فهو قد أكّد الحياة الروحية كما يلى : التجسّد - مقدّماً بعض الأمثلة المتصلة به بنصوصهـــا من العهدين القديم والجديد ، الكتابات الموحَى بها ، التجلّى ، البوق ، التسامى الروحى الصوت المباشر ، الغيبوبة الروحية ، الشفافية ، الوحى ، النبوّة ، توارد الخواطر والشفاء الروحى . ولهذه كلها يجد القارىء أمثلة من الكتاب المقدس . وبالإضافة فقد كتب عن العجائب فى الوحى الإلهى موقناً بأن كل من كان ذا إيمان عميق بالله وعلى نضوج روحى يستطيع أن يصنع العجائب لأن هذا هو وعد السيد المسيح للمؤمنين به .

وهناك إشارات عديدة فى الكتاب المقدس إلى مختلف الأنواع من الحيوانات والنباتات ، المعادن ، والمعدنيات وكيفية تسميتها وفوائدها للإنسان . كما يذكر أيضاً أن الشعوب القديمة للشرق الأوسط دبّروا تجاراتهم ومهنهم ، كما وضح حبهم للموسيقى باستعمالهم عدد من الآلات الموسيقية لا فى عباداتهم داخل الهياكل فقط بل وفى حياتهم اليومية .

والمرأة أيضاً كان لها دور هام فى الكتاب المقدس من بداية سفر التكوين إلى آخر سفر الرؤيا .

ولقد أفاض د . صابر فى كتابته عن الأسلوب والفلسفة وكيفية الكتابة التى أتبعت فى الكتاب المقدس واللغات التى إستُخدمت لكتابته موضّحاً ما فيه من أمثال وحكمة وفلسفة . وإستكمل حديثه بالكتابة عن الإشارات الطبية والصيدلية . وبما أن هذين الموضوعين من إختصاصه فقد إستطاع أن يربط بينهما وبين صلتها بأزمنة الأسفار

الإلهية . فأدخل ضمن كتابه وسائل علاجية كانت شائعة لشفاء بعض الأمراض . وتمشياً مع هذا كتب عن الخمر وتاريخه وأهدافه والتوصيات الكتابية بالإمتناع عن إستعماله فى بعض الحالات – بعضها فقط .

وصابر جبرة جمع إلى مصريّته مصرولوجيته . لذلك أفرد لمصر والمسيحية فصلاً ضمنه تفاصيل رحلة العائلة المقدسة لوطننا العزيز ، أعقبها بالكتابة عن مارمرقس وعمله الكرازى فى مصر . ثم غاص فى سير الباباوات ، آباء الأسكندرية ، ودور القديسين فى مختلف مجالات اللاهوت والفسلفة وتفسيراتهم الكتاب المقدس ، وكيف ساهموا فى الحفاظ على الإيمان القويم على مدى الأجيال .

كذلك كتب عن حياة يسوع المسيح من ميلاده العجيب إلى قيامته المجيدة . وإختتم كتابه بتوكيد أهمية الكتاب المقدس للأديان الأخرى . وكان يؤمن بأن كل الأديان ، ما قبل المسيح وما بعده ، قد تحدثت عن مجيئه وأعطته الأوصاف بعينها الواضحة فى العهد الجديد .

وبوضعه هذا الكتاب أثبت صابر جبرة بأنه لم يكن رجل علم فقط بل كان أيضاً متعمقاً دراسة الكتاب المقدس الذى تعود مطالعته منذ طفولته .وقد أشار فى الصفحة الأولى إلى تعاليم أبويه وإلى الجو الدينى الذى حافظاً عليه .

و " مجد الكتاب المقدس " شيِّق للغاية ، مكتوب لكل المستويات ، وبلغة سلسة ينساب أسلوبها بسهولة من أوله إلى آخره . فيستطيع القراء جميعهم أن يستوعبوه . (١)

نداء إلى الصلاة :

تعالوا يا جميع المتحركة قلوبهم بالشكر ، تعالوا لنعبد رجاء العالم . تعالوا لنشهد أن ملكوته أبدى . أيها المسيح إلهنا الذى صلى ليكون الجميع واحداً بقوة روحك القدوس ، إغفر لنا لأننا تباعدنا وتناسينا معنى الأخّوة . إغفرلنا قصر نظرنا وإكتفاءنا الذاتى . سيطر على قلوبنا جميعاً لنتعلم التوبة والمغفرة – فنحن لا نعيش إلا بمغفرتك .

---

(١) عن " كويتولوجيا " – مجلة البحث فى دراسات قبطية أرثوذكسية ومصرية قديمة (بالإنجليزية) تصدر سنوياً عن الجمعية للدراسات القبطية والمصرية القديمة بمدينة توندرياى بأونتاريو (كندا) ، العدد الثالث – سنة ١٩٨٢ ، باب تقريظ الكتب ، مقال للدكتور بولس عياد عياد عن " مجد الكتاب المقدس " بقلم د . صابر جبرة ، ويؤسفنى أنه لم يسجل تاريخ مولده ولا تاريخ إنتقاله .

يا فادينا الحبيب نطلب إليك أن تعطينا : عيوناً متفتّحة لتراك تعمل فى أحداث العالم ، آذاناً حسّاسة لتسمع نداءك لأن نكون صانعى السلام ، إيماناً ثابتاً غير متزعزع ونحن نطلب الطريق لعمل إرادتك – لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين .

١٦ – الأستاذ الدكتور ميشيل باخوم إبراهيم :

مقـــدمة :

إنه من البنيان لنفوسنا أن نتتبّع سير العاملين الساعين نحو القمم الشاهقة . ألم يوضّح لنا يعقوب الرسول إمكانياتنا التى أودعها الخالق فى أعماقنا حين قال :" كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا ".[1] ؟ ولو أننا تعمقنا كلمة " مثلنا " لنلنا قوة من الأعالى لكى نعمل بدورنا ولا نفشل .

وميشيل باخوم عملاق فى عصرنا الحديث ، بلغ صيته إلى أقاصى الأرض . فمن هو ؟ وكيف نشأ ؟ وإن العجب ليأخذنا من اللحظة الأولى إذ نعرف أنه إبن المعلم باخوم إبراهيم مرتل كنيسة مارجرجس بمصر العتيقة . فهو إذن قد إنفتحت عيناه على نور هذا العالم فى بقعة مليئة بالذكريات الروحية المنعشة ويبدو أن هذه الذكريات قد تسرّبت إلى أعماقه وسرت مع الدم فى شراييينه . لأنه – من حيث تقدسر العالم للناس وليد من أبويْن متواضعيْن . على أن الذى يرفع المتواضعين قد مكّن الطفل ميشيل من أن يتدّرج وأن يخطو مرحلة إثر مرحلة حتى أوصله إلى أن يكون ذا مكانة مرموقة بين كبار العلماء والأساتذة فى أكثر من دولة .

إذن فلنتمـــاشَ معه ونخشع أمام إنجازاته ، فنعرف أنه وُلد فى ٢٣ يوينو سنة ١٩١٣ ، ثم نعم بالفـــردوس من ٢١ إبريل سنة ١٩٨١ . فعمره بالأيام والليالى لم يزد على سبع وستين سنة ، أمـــا عمره بروحه الوثـــابة وفكره المتطلع دوماً إلى الأمام فيبلغ سنيناً طويلة طويلة .

وإليكم ما سجّلته عنه السيدة الفضلى سيسيل بطرس رزق الله زوجته الوفية :

إن الغرض من هذه النبذة الموجزة هى إعطاء فكرة عن المرحوم الأستاذ الدكتور ميشيل باخوم إبراهيم – ولما كان من غير السهل حصر كل الأعمال التى قام بها فإن العرض سيكون فى أضيق نطاق يكفى للإطمئنان إلى الجهد الذى بذله فى سبيل الوصول إلى المستوى اللائق الذى نجح فى الوصول إليه .

---

(١) يعقـــوب ٥ : ١٧ .

فالشهادات الدراسية التى حصل عليها هى البكارلوريوس والماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة ، ودبلوم عال من لندن ، ودكتوراه ثانية من جامعة اللبنوى ، كما قضى عاماً كاملاً فى جامعة كولومبيا بعد ذلك في دراسات لما بعد الدكتوراه عن نظرية المرونة على الخصوص ، وكان مستواه دائماً طلباً إذ كان من الأوائل بإستمرار .

ولقد كان فى دراسته العليا بالولايات المتحدة موضعاً للتكريم فلم تمضى على إلتحاقه بجامعة اللبنوى غير مدة وجيزة حتى عيّن بهيئة التدريس فيها كما مُنح العضوية الكاملة لجمعية البحوث الأمريكية وهى أعلا هيئة علمية أمريكية ويندر الحصول على عضويتها مباشرة قبل البقاء مدة فى درجة الزمالة . كذلك درّس طرقه المنشورة باسمه أساتذة عظام مثل بروفسير مورجان .

ومنذ عام ١٩٤٣ وهو يشترك فى عضوية الجمعيات العلمية والمهنية كما أنه مشترك الآن فى ثمانى جميعات هندسية فى أوروبا وإنجلترا وأمريكا ومصر : بعضها حصل على عضويتها بامتحانات إذ هى تتطلب مؤهلات خاصة . هذا وقد أعد بنفسه ثلاث رسائل هى : رسالة الماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة ، والدكتوراه من جامعة اللبنوى ، كما أشرف إشرافاً مباشراً على سبعة وعشرين رسالة لدرجات علمية تمت ومُنحت درجاتها (٢١ رسالة ماجستير + ٦ رسالة دكتوراه) .

ويوجـد فى البيان الذى سيرد فيما بعد أسماء ثمانية وعشرين بحثاً علمياً ثم نشرها – وقد بدأ أ . د . ميشيل باخوم بحوثه منذ تعينه بالكلية بمحاولة إيجاد طرق مبسطة للتصميم نشرها فى المجلة وعملت على أساسها المنحنيات التصميمية التى تستعمل للآن فى الكلية . ولعلها أسهل طرق لتصميم القطاعات الخرسانية بالنسبة لما هو موجود فى مراجع الخرسانة المسلحة الأخرى . ثم أوجد الحل المبسط للقطاعات الخرســـانية المعرّضة لقوى غير محورية – وهو الحل الوحيد لهذه المشكلة ولم يكن مـــــوجودا قبل ذلك ســـوى الحل التخطيطى الـــذى عمل به (سيانْجِلْبرج) فى المانيا عام ١٩٢٥ . وقد عمل سيادته هذا الحل المبسط عام ١٩٤٠ ونشره عام ١٩٤٤ فى (المجلة رقم ٣) بجامعة القاهرة .

ثم حاول إيجاد حلول لمشكلة لم يكن لها أى حل صحيح ، وهى إيجاد الإجهادات فى القطـــاعات الخـــرسانية المعرّضة لحــــالات عزم غير متماثل ، وتمكن من إيجاد ثلاثة حلول عامة أساسية ، واستنباط علاقات عــــامة هامة ، كما عمل عدة منحنيات سهلة لحــــالة القطاعات المستطيلة ونـــوقشت طرقه فى مجالات متعددة على أنها الحلول الأساسية لهذا الموضوع .

وتلت ذلك مجموعة من الأبحاث فى نظرية المرونة واللدونة والحمل الأقصى والتصميم الحدّى وإنبعاج الأعمدة الطويلة ، وإبتكر لهذه الأعمدة جهازاً مبسطاً قال عنه البروفسير روشو الأستاذ بجامعة برمنجهام بأنه : جهاز مبدع بسيط عملى [1] كذلك قام بمجموعة كبيرة من الأبحاث فى الخرسانة السابقة الإجهاد والأسقُف القشرية والمنشورية .

وفى كل ذلك بذل جهداً لمحاولة إيجاد مركز أبحاث بالكلية [2] يعادل فى إنتاجه ومستواه ماهو موجود فى محطات الأبحاث الهامة بالجامعات فى الخارج ، وخلْق جيل من الباحثين الناشئين ، واستنباط الطرق العملية التى تؤدى إلى وفر فى نفقات الإنشاء أو إلى تبسيط فى طرق التصميم .

هذا وقد قام بزيارة كثير من الجامعات ومحطات الأبحاث الهامة بالخارج وتتبع أعمالها. وحضر كثيراً من المؤتمرات وزار كثيراً من مواقع العمل فى المنشآت الكبيرة .

وتوضح التفصيلات التالية بيانات أوفى لما سبق إجماله .

أولاً : الشهادات الدراسية والعلمية :

١ – بكالوريوس قسم مدنى من كلية الهندسة بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٦ .

٢ – ماجستير فى الهندسة المدنية من الكلية نفسها سنة ١٩٤٣ .

٣ – دبلوم معهد المهندسين الإنشائيين بلندن يوليو سنة ١٩٤٣ .

٤ – دكتوراه من كلية الهندسة بجامعة القاهرة فى الهندسة المدنية سنة ١٩٤٥ .

٥ – دكتوراه ثانية من كلية الهندسة بجامعة إلينوى (الولايات المتحدة) فى الهندسة الإنشائية والميكانيكا النظرية والتطبيقية سنة ١٩٤٨ .

٦ – دراسات بعد الدكتوراه بجامعة كولومبيا (بالولايات المتحدة) لمدة سنة دراسية ، وقد قيّدت الجامعة إسمه بوصفه " باحث زائر " . وكانت دراسته آنذاك مركّزة على الخصوص فى نظرية المرونة والرياضية التطبيقية اللازمة لها .

ثانياً – الوظائف التى شغلها :

١ – مهندس بوزارة الأشغال فور تخرّجه من ١٩ أغسطس سنة ١٩٣٦ – ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٧ .

٢ – معيد بقسم الهندسة الإنشائية بالكلية من ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٧ .

٣ – مدّرس بقسم الهندسة الإنشائية بالكلية من ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣ .

---

(1) Amost ingeneous simple & Practieal method .

(٢) كلية الهندسة بجامعة القاهرة .

٤ – أستاذ مساعد بالقسم عينه من ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٥ .

٥ – أستاذ كرسى حساب الإنشاءات ونظرية المرونة بقسم الهندسة الإنشائية من ١٩ يونيو سنة ١٩٥٧ .

٦ – أستاذ متفرّغ بقسّم الإنشاءات من ٢٣ يونيو سنة ١٩٧٣ .

ثالثاً – الأوسمة :

١ – وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٦٣ .

٢ – وسام التجارة والصناعة من الطبقة الأولى سنة ١٩٦٤ .

رابعاً الأعمال والمهامّ الإضافية إلى جانب عمله بجامعة القاهرة .

١ – عضو بلجنة معهد البحوث القومى لبحث وسائل توفير حديد التسليح فى الخرسانة .

٢ – عضو بلجنة تحضير المواصفات القياسية المصرية للخرسانة المسلّحة .

٣ – عضو بهيئة التحكيم لمسابقة المدارس الريفية .

٤ – مشرف على أبحاث الخرسانة التى يقوم بها معهد بحوث البناء .

٥ – خبير للقوات الجوية فى أعمال إنشاء المطارات والحضائر .

٦ – عضو هيئة الإشراف على مجلة الهندسة المدنية .

٧ – أوفدته وزارة التموين لأمريكا سنة ١٩٦٢ لدراسة صوامع الغلال .

٨ – أوفدته وزارة السياحة فى زيارة علمية للولايات المتحدة سنة ١٩٧٥ لدراسة الطرق الحديثة لإنشاء الفنادق .

٩ – عضو باللجنة العلمية الدائمة للهندسة الإنشائية لوظائف الأساتذة .

١٠ – مهندس إنشائى إستشارى .

خامساً – الخبرة فى التدريس :

١ – عُين بقسم الهندسة الإنشائية بكلية الهندسة بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٧ ، وظل معيداً لنظرية الإنشاءات والإنشاء المعدنية ولمعمل ميكانيا التربة والخرسانة المسلحة . وتدرّج إلى مدرّس فأستاذ مساعد بقسم الخرسانة المسلّحة إلى جانب الإشراف على معمل أبحاث الخرسانة .

٢ – إبتداءً من سنة ١٩٥٧ أصبح أستاذ كرسى لنظرية الإنشاءات والمرونة ودرّس لطلبة القسم المدنى والدراسات العليا .

٣ – حين كان فى البعثة الدراسية بجامعة إيللينوى إشتغل بالتدريس للأبحاث بقسم الدراسات العليا بالكلية . وتركّز عمله على ميكانيكا التربة والأساسات . كذلك عهد إليه بروفسور بييك وقتئذ بمراجعه كتاب ألفّه هو وزميلٌ له إسمه ثيرناجى عن الموضوع نفسه . فلم يراجع الكتاب فقط بل حلّ أيضاً جميع المسائل المسجّلة فيه دون حلول ! .

٤ – إنتدب لتدريس حساب الإنشاءات بكلية الهندسة بجامعتّى عين شمس وأسيوط بالإضافة إلى عمله بجامعة القاهرة .

سادساً–عضوية الجمعيات العلمية والمهنية:

١ – زميل بمعهد المهندسين الإنشائيين بانجلترا ، وقد إختاره هذا المعهد ممثّلاً له فى مصر .

٢ – زميل بالجمعية الأمريكية للمهندسين المدنيين .

٣ – عضو بجمعية البحوث الأمريكية " سيجما X "

٤ – عضو بمعهد الخرسانة الأمريكى .

٥ – عضــو بالجمعية الدولية للكبارى والهندسة الإنشـــائية بزيوريخ وبشُعبتها المصـــرية .

٦ – عضو بجمعية الخرسانة المسلحة بلندن .

٧ – عضو البعثة المصرية للجمعية الدولية للخرسانة السابق إجهادها .

٨ – عضو بجمعية المهندسين المصريين .

سابعاً – الأبحاث والمقالات :

١ – نشر سبعة أبحاث فى مجال إختصاصه : البحثين الأوليْن نشرتهما له كلية الهندسة بجامعة القاهرة فى مجلتها العددين ٢ و ٣ لسنتى ١٩٤٤ و ١٩٤٥ . ثم أربعة نشرها له المعهد الأمريكى للخراسة لسنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، وبحثان معاً نُشرا سنة ١٩٤٩ . ثم نشرت له كلية الهندسة بجامعة القاهرة بحثاً قدّمه مع الزميلين وليم سليم حنا ولطيف رياض فى عددها للسنة الأكاديمية ١٩٥٣ – ١٩٥٤ . وقد نشرت له المجلة عينها بحثاً آخر إستتبعه ببحثين للسنتين الأكاديميتين التاليتين

٢ – مجموعة من المقالات عن الأسقُف القشرية والمنشورية فى الخرسانة المسلحة بمجلة الهندسة المدنية السنة الأولى بالعددين الأول والثانى والسنة الثانية بالعددين الأول والرابع – سنة ١٩٥٣ و سنة ١٩٥٤ .

٣ – " حول الكتـابة العلمية باللغة العربية " بمجلة الهنـدسة المدنية السـنة الأولى والعدد الأول سنة ١٩٥٣ .

٤ – " وجـوب توحيد الرموز للمصطلحـات الهندسية " بالمجلة نفسها السنة الثانية والعدد الأول سنة ١٩٥٤ .

٥ – " بعض التطـّورات الحديثة فى الخرسانة المسلّحة " بالمجلة نفسها السنة الثالثة والعدد الأول سنة ١٩٥٥ .

٦ – " حركة بناء المسـاكن فى أوروبا " بالمجـلة نفسهـا السنة الثالثة والعـدد الأول سنة ١٩٥٥ .

٧ – " بعض نواحى التقدّم الحديث فى الخرسانة السابق إجهادها " بالمجلة فى عدديّ فبراير ومارس سنة ١٩٥٩ .

والواقع أن مجموعة الأبحاث التى نشرتها له الجامعات المصرية والإنجليزية والأمريكية بلغت ثمانية وعشرين بحثاً : وكلها على مستوى علمى رفيع ، وقد تضمن بعضها إبتكارات هندسية تقّبلها العلماء بالترحاب . ومع ما تتطلبه هذه الأبحاث من جهد ووقت فإنها لم تنسِهِ واجبه نحو طلبته . فطبع لهم مذكرات كان يطبها بنفسه ويوزعها عليهم مجاناً . ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن بحثه الثامن الذى نشرته له الكلية فى مجلتها لسنة ٥٣ – ١٩٥٤ قد أدرجه المسئولون ضمن المراجع اللازمة للطلبة – كذلك إتبع الخطة عينها المعهد الأمريكى للخرسانة .

ثـامناً – المؤتمـرات الهـندسية والزيارات العلمية والعملية التى حضرها :

١ – مؤتمر معهد الخرسانة الأمريكى بمدينة سانتا فيبه سنة ١٩٤٧ .

٢ – مؤتمر معهد الخرسانة الأمريكى بنيويورك سنة ١٩٤٩ .

٣ – مؤتمر الميكانيا النظرية والتطبيقية بنيويورك سنة ١٩٤٩ .

٤ – المؤتمر الدولى للخرسانة السابق إجهادها فى لندن ، وأمستردام سنة ١٩٥٥ ، وبرلين سنة ١٩٥٨ ، وروما سنة ١٩٦١ ، وباريس سنة ١٩٦٩ ، وبراغ سنة ١٩٧٠ – وقد قدم بحثين إلى مؤتمر روما سنة أن حضره .

٥ – " مؤتمر الخرسانة المسلحة والأساسات " لجامعة بيروت الأمريكية سنة ١٩٦٨ – وقدم فيه بحثاً أيضاً .

وقد ألقى محاضرة عـــامة سنة ١٩٧٣ بـــدار جمعية المهندسين المصـــرية عن : " تصميمـــات الخرسانة المسلحة السابق إجهادها بطريقة المرونة والليونة وحالات الحدود " . كذلك قام بزيارات علمية وشاهد الأبحاث الجارية والأجهزة والطرق المستعملة بالولايات المتحدة وبعدة مدن فى أوروبا .

تاسعاً – بعض المقالات نشرها فى الصحف المصرية :

١– المـــرور فى القاهرة : مريض على حافة الموت ينتظر علاجاً – الأهرام فى ١٣ مايو سنة ١٩٧٦ .

٢ – هـل الـــدراسات العلـــيا فى الجامعات ترف علمى ؟ الأهرام فى ١٤ يوليو سنة ١٩٧٦ .

٣ – الحل الوسط لمشكلة الإسكان – الأهرام فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٧٦ .

٤ – الشقة الصغيرة – هل هى الحلّ الأمثل ؟ الأخبار فى ٣٠ يناير سنة ١٩٧٧

٥ – حوادث إختطاف الطـــائرات يمكن ويجب أن تقف فوراً – الأهـــرام فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧ .

٦ – أين تقام دار الأوبرا الجديدة ؟ الأهرام فى ١٠ يناير سنة ١٩٧٩ .

٧ – المكان المناسب للأوبرا مرة أخرى وبهدوء – الأهرام فى ٢٣يناير سنة ١٩٧٩

٨ – ما هى التواريخ الصحيحة لعيدىّ الميلاد والقيامة المجـــيدين – وطنى فى ٢٨ يناير سنة ١٩٧٩ .

٩ – رائد الهندسة العملاق الذى فقدته مصر– الأهرام فى ١٠ أبريل سنة ١٩٨٠ .

١٠ – وطن واحد . شعب واحد . أمة واحدة . – وطنى فى ١١ يناير سنة ١٩٨١ .

* * *

ومن هذه الإنجازات الوفيرة المتعددة النواحى يعلن لنا ذاك الذى خلقنا على صورته ومثاله أن حياة الإنسان يجب أن تقاس بإنتاجاته لا بالأيام والسنين : فكم مات قوم وما ماتت مكارمهم – وعاش قوم وهم فى الناس أموات .

١٧ - المعلم ميخـــائيل :

١٧ – المعلم ميخائيل :

مقـــدمة :

لقد شبّه الأنبا صموئيل أسقف العلاقات العامة والخدمة الإجتماعية[١] شعب الكنيسة بالهرم . فهذا البناء الشامخ لم ينتصب على مدى الأزمان إلا لأن حجارته متلاصقة متماسكة . وهذه الأحجار ترتفع إلى قمة متجهة نحو السماء . هكذا الشعب فى الكنيسة : إنه يتماسك ويترابط وتعلو أفراده نحو باباه : يساند الجميع بعضهم البعض من القاعدة حتى السماك . وآباء الكنيسة ، مع كونهم القمة – ترابطوا مع أبنائهم . ولولا هذا الترابط لتداعى هذا البناء الروحى . صحيح أن رب الكنيسة حالّ فى وسطها حافظ إياها بنعمته ، ولكنه له المجد قال لتلاميذه : " كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا[٢] . وقوله هذا معناه أنه يعمل من خلالنا فلابد إذن من أن نسلّم له قلوبنا وعقولنا بل وأيدينا وأرجلنا لكى نعمل بهذه الوصية العليا . **وصحيح أيضاً أنه كلّى القدرة ومع ذلك فلا يعمل فى فراغ .**

ومن نعمته على كنيسته أنه هيأ لها كل الأسباب لبنيانها بما فيها الإضطهاد – ألم يقل بولس الرسول : " لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله[٣] ؟ فكأنه بعطاياه هذه يقول لنا " إجر يا عبد وأنا أجرى معك " وبالإضـــافة فقد وعدنا بأن يكون معنا إلى الإنقضاء . ومن هنا كان لِزاماً علينا أن نتمعن تـــاريخياً وبالأخص العصـــور القريبة لنستنهض قلوبنا فنكون " عاملين بالكلمة لاسامعين فقط[٤] .

كلمة تمهيدية :

إن حياة المعلم ميخائيل درس حيّ عن التواضع والتفانى فى محبة الكنيسة . ومن خلال هذه الحياة ، وفى شىء من الذهول ، نرى مدى تواضع الأنبا كيرلس الخامس . فجرجس والد المعلم ميخائيل كان باشكاتباً للأموال غير المقررة بوزارة المالية – وهى وظيفة صغيرة . ومن هذا الوضع نرى أن الأسرة التى نشأ فيها هذا المعلم الأمين أسرة متواضعة . ومع ذلك فقد حباها البابا الوقور صداقته إلى حـــد أنه كان ينزل أحيـــاناً ضيفاً عليها . ألا نرى فى هذه الصلة

---

(١) إنظر " قصة الأنبا صموئيل " للمؤلفة طبعته مكتبة المحبة سنة ١٩٨٦ .

(٢) يوحنا ٢٠ : ٢١ .

(٣) فيلبى ١ : ٢٩ .

(٤) يعقوب ١ : ٢٢ .

ترابط المحبة الذى ربط بين قمة الهرم وبين قـــاعدته ؟ فالنموذج للوداعة والتواضع يقدّمه لنا أولاً البـــابا الجليل ، ثم حين نتتبع سيرة المعلم ميخائيل نجده قد تمثّل ببابا‌ه فأصبح بدوه نموذجاً لنا .

نشـــأته :

بديهى إن كل إنسان يبدأ حياته على هذه الأرض لحظة أن يندفع من بطن أمه ويُطلق صرخته الأولى . وهذه اللحظة كانت بالنسبة لميخائيل جرجس فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٧٣ أى أن الله أرسله إلى هذه الأرض فى السنة السابقة على إعتلاء البابا كيرلس الخامس السدة المرقسية . **وبما أنه ليست هناك صدفة لأولاد الله ، فإن ميلاده آنذاك كان ضمن التدبير الإلهى .**

على أنه ما كاد يبلغ الثالثة من عمره حتى أصيبت عيناه بالرمد . وعلى الرغم من كل ما بـــذله أبوه فى علاجه حتى لقد صرف غى هذا السبيل النفقات الباهظة فقد ضاعت جهوده كلها عبثاً ، وفقد الطفل ميخـــائيل بصره . ولكن هذا الواقع الأليم لم يتبط من عزيمة الوالد البـــاسل الذى ألحق ابنه بكتّاب " المعلم أبو السعد " بشارع الجبرونى بالأزبكية . فقضى سنتين فى هذا الكتّاب ، من سنة ١٨٧٩ – ١٨٨١م . ودرس المـــزامير والتسبحة واللغة القبطية وبعدها أدخله أبوه مدرسة الأقباط الكبرى(٥) حيث بقى أربع سنوات .

وعند هذه المرحلة نبهت أمام جراة التلميذ ميخائيل : جرأة حفّزته إلى أن يدرس بالأزهر من سنة ١٨٨٥ – ١٨٩١ . وفى هذه الفترة أتقن علوم النحو والصرف والبيان ، كما إستمع إلى ألفية ابن مالك من الشيخ محمد بصرة .

وخلال السنة الثانية من دراسته بالأزهر – أى سنة ١٨٨٦م – رأى البابا الوقور فى صوت هذا الناشىء وفى حفظه السليم لكل ما تلقّنه من الطقوس والألحان المؤهلات الوافية لرسامته شماساً : فرسمه بيده الكريمة .

ولما أتمّ ميخائل دراسته بالأزهر عيّنه الأنبا كيرلس مرتلا بالكتدرائية المرقسية بمرتّب شهـــرى قدره خمسة وعشـــرون قرشاً ! وإزداد تقدير البـــابا الجليل لهذا المرتّل الملتهب محبةً لكنيسته فعيّنه أيضاً مدّرساً للألحان فى الإكليريكية فى ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٣ – التى كان قد إفتتحها قبل ذلك بسنة (١)

---

(٥) هى المدرسة التى كان قد شيّدها الأنبا كيرلس الرابع وجعل منها مَعْلما من معالم القاهرة من سنه ١٨٥٦ م – ومما يؤسف له أنها هُدمت بأمر باباوى سنه ١٩٧٢

(١) إنظر حـ ٥ من هذا الكتاب ص ٤٠ – ٤١ .

وكان قد إلتّحق بالإكليريكية حال تخرّجه فى الأزهر ، وهناك درس اللاهوت والعقيدة على يدّى القمص فيلوثيئوس عوض الذى كان متضلّعاً فى كليهما [٢] . أما الألحان فقد تلقّنهما عن المعلميْن أرمانيوس وصليب ، وكان يتحايل بكل الوسائل على إستيعاب أكبر مقدار منها ، لأن الإثنين – مع تبحرّهما – كانا بخيليْن فى تقـديم معرفتهما لتلاميذهما . وإلى جانب ذلك كان يحفظ اللغة القبطية عن ظهر قلب لقلة الكتب وبخاصة المكتوبة بطريقة برايل [٣] . وهذا الحماس للتعلّم وهذه الغيرة على كل ما تسلّمه أثبت بهما جدراته حتى لقد عيّنه **المسئولون سنة ١٨٩٥ مدرساً لطقوس الكنيسة وعلم الدين واللغتين القبطية والعربية بمدرسة المكفوفين بالزيتون** . ولحـرصه الشديد على تقـديم كل معلوماته لتـلاميذه إستخدم طريقة برايل فى تعليم اللغة العربية . **وإذ لم يجد لها مثيلاً فى القبطية صنع لها بنفسه حروفاً على نفس النمط .**

وحدث سنة ١٩٠٣ أن زار الخديوى عباس حلمى الثانى المدرسة ، فألقى المعلم ميخائيل بين يديه قصيدة باللغة القبطية ثم ترجمتها العربية ، وكان قد لحّن نشيداً مناسباً ولقّنه للتلاميذ فأنشدوه تحت إشرافه . فأبدى الخديوى سروره وإرتياحه وحيّا المعلم بقوله : " برافو يا ميخائيل بك " ومعنى هذه الكلمات أنه منح المعلم ميخائيل رتبة البكوية التى كان يشتهى الكثيرون أن يحصلوا عليها .

هذا من الناحية العلمية ، على أن المعلم ميخائيل جمع إلى جانب علمه الوافر وإتقانه للألحان التواضع الجم والبساطة المتناهية حتى لقد شابه الأطفال فيها ، كذلك إمتلأت نفسه غيرة على التراث الأبوى إلى حد التفانى فى تلقينه للأجيال الصاعدة . **فهو لم يكن يكتفى بكونه مرتّلاً لكنيسة كبرى ولا معلماً بالإكليريكية ، بل كان ينتقّل بين الجمعيات حيث يحيط به جميع راغبى الإستمتاع بالإرتواء من نبعه المنساب ، لأن الألحان كانت تنبعث من عمق أعماقه فترتفع فى تقوى وخشوع وفى عذوبة تهزّ القلوب .**

وهناك دليل أخّاذ على إشتعاله الروحى هو أنه طلب ذات يوم إلى القمص صليب سوريال أن يعيّن له موعداً ليزوره فيه . وأشفق الأب الكاهن على الرجل الشيخ لبعد المسافة ولإرتفاع طابق سكنه ، فحاول أن يقنعه بالإكتفاء بلقائهما فى الإكليريكية . ولكنّ المعلم الحريص على توصيل الوديعة المؤتمن عليها أصـرّ على رغبته فى الزيارة .

(٢) شرحه جـ ٤ ص ٣٧٠ – ٣٧٥ .

(٣) شرحه جـ ١ ص ٢٥٠ – ٢٥٦ .

وفى الموعد المحدود وصل إلى المنزل . وصعد إلى الدور الرابع . وما إن إستقرّ به المقام حتى سارع إلى القول : " أريد يابونا صليب أن أطمئن على تمكنك من ألحان أسبوع الآلام . وهذا هو السبب الذى دفع بى إلى المجىء إليك لأراجعها معك " . وظل يراجعها فى صبر وفى إصغاء رهيف مدى ثلاث ساعات متواصلة ! ولكى يدرك القرّاء عظمة هذا الرجل يجدربهم أن يعرفوا أنه كان آنذاك فى الثالثة والثمانين من عمره . **وسيتضاعف إعجـــابهم وتقـــديرهم حين يعلمون أن هذا الرجل الذى يحمل داخل صدره كنوز الماضى العريق ويشتعل رغبة فى توصيلها إلى كل من يتصل بهم كـــان يرفض أن يتقاضى أجراً** ! إنه كان يكتفى بالخمسة عشر جنيهاً التى كانت تعطيها له البطريركية مرتّباً . والعجب العجـــاب أن مرتبه هـــذا لم يرتفع قرشاً واحـــداً خلال النيف وستين عاماً قضاها فى الخدمة : من سنة ١٨٩٣ - ١٩٥٧ .

ولا يتبادر إلى الذهن أن غيرته على التمكّن من الألحان اقتصرت على هذا الذى فعله مع أبينا القمص صليب سوريال - فقد أدىّ الخدمة عينها بنفس الغيرة وبالإلتهاب عينه مع كل كاهن عرفه .

ولقد جمع صوته بين العذوبة والعمق والقوة مما جعل الألحان تنساب عنه إنسياب نور الفجر . وكان وهو يعلّم يستمع بكلّيته إلى تلاميذه . فما إن تصل إلى أذنه الرهيفة همسة خاطئة وسط اللحن حتى يطالب تلاميذه بإعادتها مرة ومرّات إلى أن يتأكد من أنهم أتقنوها . إنه بدا لمن عرفوه وتعلموا منه إنه أقرب روحاً إلى رسل الرب الذين دفعتهم غيرتهم إلى أن يفتنوا المسكونة . فيقول عنه أحد مريـــديه (١) : " فى ثوبه البسيط ، ومعطفه المتواضع كنت تراه . فى الكتدرائية . فى الإكليريكية بمهمشة وبالأنبا رويس يبذل دمه وأعصابه فى تسليم الذخيرة الثمينة التى حفظها هو باجتهاده وبعصاميّته . لم يبخل على أحد قط . كل من يسأل تجويداً للحن كان يجيبه إلى طلبه على الفور ولو جلس معه الساعات الطوال . كان صوته ينساب باللحن العذب فى غسق الفجر وعند سكون الليل . وما كان ليحول دون ذلك قيظ الظهيرة أولفح الهجير . ولا برد الشتاء أو هطول الصقيع . سيّان عنده أن يكون طالب المعرفة مبتدئاً أو شيخاً . نفس الإهتمام ونفس الغيرة . **فقد كان يعتبر نفسه وكيلاً على أمانة .وكان يريد**

---

(١) هو سليمان نسيم المربى الكبير فى مقال له نشره بمجلة مدارس الأحد عدد أبريل - مايو سنة ١٩٥٨ (برمودة - بشنس سنة ١٦٧٤ سنة) ص ٦٩ - ٧٣

أن يسلّم الأمانة كاملة دون نقصان . فحتى آخر حياته كان لا يفتر عن التفكير فى واجبه المرهق " .

وإمتداداً لتأملنا فى حياة المعلم ميخائيل نقف أمامه لحظة أن فارق هذه الحياة فهو قد أدّى صلوات البسخة المقدسة من يوم أحد الشعانين إلى مساء الأربعاء - فى إبريل سنة ١٩٥٧ - ولما أوصله تلميذه المرافق له إلى بيته مساء ذلك اليوم المقدس ، طلب إليه أن يمرّ عليه باكر خميس العهد ليصحبه إلى الكنيسة كالمعتاد . ولكن الآب السمـاوى سبق التلميذ إذ شـاء أن ينقله إلى مصافّ الأبرار قبل فجر ذلك اليوم المقدس . فطارت روحه لتشترك فى هذه الصلوات القدسية مع الأربعة وعشرين قسيساً فى المدينة السماوية .

..... ولنقف هنيهة أمام هذا العملاق الذى خدم فى تكريس متواضع ما يزيد على النصف قرن - فلو أنه لم يفقد بصره لسار فى طريق آخر غير هذا الطريق الضيّق الذى يوسّعه رب الكنيسة ، ولما بلغ هذه القمة المدوّخة من المعرفة بألحان الكنيسة وطقوسها وعقيدتها ، ولما علّم رجالاً هذا عددهم هذا الفن الكنسى البديع الذى يليق بنا أن نعرفه وأن نحافظ عليه بكل حرص . وهو فى جهاده هذا ينطبق عليه قول الشاعر : " قد يُنعم اللّه بالبلوى وإن عظمت " . أليس فى هذه السيرة تحقيق فعلى لقول بولس الرسول المذكور آنفا من أنه وُهب له أن يتألم لأجل المسيح ؟

وإن العجب ليبلغ حد الذهول كلما إزددنا تمعّناً فى رعاية الآب السماوى لكنيسته : إنه يرسل لها فى كل مناسبة من يحمل النير ويستكمل الجهاد . فهو له المجد قد أرسل لهذه الفترة شخصاً آخر متفانياً غاية التفاني ، مكرّساً حياته كلها للإحتفاظ بالألحان القبطية فى صفائها وأصالتها : هذا الشخص هو راغب مفتاح . **وهو ينتمى إلى عائلة عريان جرجس مفتاح الذى كان مدرس اللغة القبطية فى مدرسة الأقباط الكبرى منذ أكثر من قرن وربع**(١) - أى أنه سليل عائلة عريقة فى الخدمة . وإن جميع الملتصقين بالكنيسة من أوائل هذا القرن لا يتردد على أسماعهم إسم المعلم ميخائيل حتى ينتصب على الفور أمامهم إسم راغب **مفتاح الذى بدأ منذ سنة ١٩٢٧ فى تسجيل الألحان القبطية تسجيلاً حريصاً دقيقاً** . وفى هـذا السبيل إعتاد أن ينتقى أولاداً ذوى أصوات رخيمة ويدرّبهم تدريباً

---

(١) راجع جـ ٤ من هذا الكتاب ص ٣٢١ - ٣٢٢

مستمراً إلى أن يتقنوا اللحن تمـاماً . ثم يبدأ بتسجيل الألحان تسجيلاً علمياً صحيحاً [٢] . ولم يتراجع عن أن ينفق في هذا السبيل آلاف الجنيهات .

ويقول راغب مفتاح عن المعلم ميخائيل : " إنه الأستاذ العبقرى الذى تمكّن بعبقريّته الفنية الخارقة من أن يؤدى للموسيقى القبطية خدمة تجلّ عن الوصف . فكان هو الواسطة الوحيدة فى تسليم الألحان القبطية على أصالتها إلينا . "

ولقد نجح بنعمة الله فى تسجيل القداسيْن الباسيلى والغريغورى وألحان البسخة المقدسة بواسطة شماسة ومرتّلين تسلّموا اللحن عن أستاذهم الأول المعلم ميخائيل .

ومما يجدر ذكره أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة أقامت فى موسم الميلاد المجيد سنة ١٩٦١ حفلةً دعت إليها مجموعات من الكنائس المختلفة ، طالبة إلى كل منها أن تنشد نشيداً من أناشيدها الخاصة بهذا العيد وصادراً عن آبائها . وقد نالت فرقة شمامسة راغب مفتاح تقديراً كبيراً . فقد أعلن الحاضرون بأنهم كانوا يترنّمون باللحن بصوت كله حنان ، وكأنهم كلهم شخص واحد .

تحية إكبار وتقدير إلى روح العلم الكبير ميخائيل جرجس .

وتحية مقرونة بالدعاء إلى رب الكنيسة أن يطيل فى عمر راغب مفتاح ويمنحه فرحة الشعور بأنه أكمل السعى .

وليس بالصدفة أن عدد مجلة مدارس الأحد الذى يتضمن الحديث عن هذين الرجلين المصارعيْن مع الله ، ليس بالصدفة أن يحمل على غلافه (من الظهر) صورة للسيد المسيح واقفاً أمام تلاميذه يقول لهم : " كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا " .

* * *

---

(٢) قصة حبيب المصرى للمؤلفة ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، وجدير بالذكر أن راغب مفتاح له قسم خاص فى المعهد العالى للدراسات القبطية وأنه مازال متفانياً فى تسجيل الألحان الكنسية ، وتقديراً له على مجهـوداته منحه قداسـة البابا شنـوده الثالث (أطال الله حياته) لقب دكتــــور .

كانت القيامة بدء حياة جديدة
الرسالة البابوية فى عيد القيامة المجيدة

وجه قداسة البابا كيرلس السادس رسالة راعوية إلى الشعب القبطى الأرثوذكسى لمناسبة عيد القيامة المجيدة ، تليت بعد صلاة العيد فى الكنائس مساء أمس ننشرها فيما يلى :

من كيرلس السادس : بنعمة الله بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية . . إلى إخوتنا الأحياء : صاحب الغبطة بطريرك جاثليق أديس أبابا وكل أثيوبيا ، وأصحاب النيافة مطارنة وأساقفة الكرازة المرقسية . . وإلى أبنائنا الأعزاء : الكهنة والشمامسة وكل الشعوب المحبة للمسيح .

العهد الجديد :

أحبـــائى . . .

نعيد اليوم عيد قيامة فادينا المجيد . . صانع العهد الجديد ..

« الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لاجل تبريرنا » .

ففى ظهور مخلصنا فى الجسد كانت حياته إنجيلاً ، وصارت للمؤمنين دستوراً جيلاً فجيلاً ..

وفى صليبه العجيب جعل المحبة أساساً ، ونسج للمؤمنين من البر لباساً

وفى إحتماله الآلام الجسام ، دعمنا على السلام ، وخلق فينا إحساساً .. وبقيامته من بين الأموات ، أحياناً معه وجعل الروحانية أساساً .. « ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح ، وبالنعمة أنتم مخلصون ، وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع »

تغيير جذرى :

أحبـــائى . .

لقد غير رب المجد بحياته التى عاشها على الأرض ملايين من نفوس البشر تغييراً جذرياً ، فتحولوا من اليسار إلى اليمين ، ومن الشك إلى اليقين

ذلك لأن نفوسهم تذوقت حلاوة محبته ونقاوة قلبه ، فتشوقت إلى عذب كلامه وعمق

سلامه . ثم أشرقت على الآخرين بنور باهر ، وتألقت بأمل بإسم ، وعمل جليل طاهر .

حبه الذى تجلى فى الصليب جعله للبذل أساساً ، وكان ولا يزال وسيظل نبراساً للعالم كله ألواناً وأجناساً .

وثوب البر الذى منحه للأبرار القديسين ، ثوب لا يستر الجسد فحسب ، بل يجلل الروح والنفس بالبعد عن الدنايا والزهد فى الخطايا . ثوب بر كامل . . غال .. ثمين .

وفيما عانى على الصليب خلق فى الأتقياء شعوراً عجيباً بالصبر فى الملمات ، وإقتبال تجارب الحياة فى ثبات . . فصار السلام فى حياتهم عاملاً حياً ، بعث عزاء قوياً ، فرحاً لا ينزع ، ورجاء لا يتزعزع .

والتجارب تصادف كل فرد فى حياته . . تختلف أنواعها وتتعدد ألوانها تبعاً لظروف كل إنسان ، والنصيب الأوفر منها لبنى الإيمان .

« لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله » .

فلا وجود لإيمان بغير آلام .. ولا خير فى آلام بغير إيمان .. وفى نظرتنا للصليب نتعلم إن آلامنا - بالغة ما بلغت - تتضاءل أزاء ما كابده مصدر الحياة ليمنح لنا الخلاص والنجاة « فإنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد إن يستعلن فينا »

منحتا نعمة الحَياة :

أحبــــائى . .

فى قيامة المسيح له المجد من الأموات منحنا نعمة الحياة . . وكما جبل من التراب الجسد ، منح لأتقيائه بقيــامته حياة الأبد . . منذ ذلك اليوم السعيد - يوم القيامة المجيد - صارت الروحانية مقياساً .. فلا يقاس المؤمن - أياً كان شأنه بالطول أو العرض ، بالثروة أو الجاه ، بالعلم أو الفلسفة .. وإنما يقاس بالروحانية تغمر وجدانه وتملأ كيانه ، تقوى بنيانه وتبرز للعالم إيمانه .

« فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله » لقد كانت قيامة السيد له المجد حداً فاصلاً بين عهدين . . عهد ساد فيه الموت - موت الخطية - على البشرية جمعاء ، فتفاقم الخطر وعم الضرر ، وبين عهد جديد - عهد حيــاة وتجديد - بعث به رب الحياة إلى الذين أخذوا من الله نعمة أعمق ، وشركة ألصق ، وإيماناً أوثق .

نترسم خطاه :

أحبــــائى .

* هيا نحتفل بالعيد ، بروح العهد الجديد .

* هيا نتأمل قيامته العظيمة فتتوافر لدينا الروحانية فى سجاياها الكريمة

* هيا نترسم خطاه ، ونعمل على تبليغ رسالة الحياة إلى الخطاة .

* هيا نترنم بأغاريد المجد ، ونشدو بأناشيد الحمد .

* هيا نستعيد ذات النهضة الفنية التى بعثتها القيامة بروح قوية .

* هيا لينتظم المؤمنون فى مواكب تسير بقلوب نابضة وإرادة ناهضة .

* هيا نؤدى رسالة جلية واضحة ، تهدف إلى خير البشرية ، وتزيح عوائق معطلة للنمو وعثرات تحول دون السمو .

* هيا نعمل جادين متعاونين مع إخوتنا ، لنبلغ بالقيم الروحية إلى مداها ، وندفع بالإرادة الخيرة إلى أقصاها .

* هيا نفيض عطفاً وحباً لإخوتنا المحتاجين البائسين ، وراحة وعزاء للمتعبين المتضايقين ، ونوراً ورجاء للخطاة البعيدين .

* هيا نصلى أن يمنح الله قادة الأمم رغبة أكيدة فى السلام ، حتى تزول أسباب الإضطراب وبواعث الفرقة والخصام ، فيحيا الجميع حياة كريمة ، متحابين متآلفين ، متعاونين على الخير متكاتفين .

دعــــــاء :

أحبــــائى . .

لقد دعونا الله وندعو أن يوفق بحكمته السيد الرئيس جمال عبد الناصر الذى أجمع الشعب على تجديد رئاسته لجمهوريتنا العظيمة ليعمل وصحبه الأكرمون بذات الجدارة ، فى سياسة وعزم ، فى كياسة وحزم ، لصالح المواطنين جميعاً وخير الوطن فى الداخل والخارج ، سدد الله خطاه ، وآزره ورعاه .

وحــــدة الإيمــــان :

أحبـــائى . .

فى فرصة العيد نشكر نعمة الله علينا التى تجمع نحو وحدة الإيمان التى نتطلع إليها ، فلقد إلتأم منذ شهور مؤتمر عظيم للكنائس الأرثوذكسية الشرقية لأول مرة منذ

نحو ألف وخمسمائة عام ، بدعوة من الأخ الحبيب الأمبراطور هيلاّسلاسى أمبراطور اثيوبيا ، وكان لنا بنعمة الله شرف رئاسة هذا المؤتمر ، ولمسنا فيه يوم تلاقينا كيف تآخينا وتواصينا فتواسينا مع الأحبار بطاركة وأساقفة الكنائس الأرثوذكسية ، ثم إجتمع بمقر الكـرازة المرقسية المجمع المقدس . وتدراس القرارات التى أصدرها المؤتمر ، واتخذ الإجراءات التى نرجو أن تكفل تنفيذها .

خطوة محبية إلينا :

إن الخطوة التى قام بها جلالة الأمبراطور هيلاّ سلاسى - بطل الإرثوذكسية فى القرن العشرين - فى هذا الشأن خطوة محببة إلينا عزيزة علينا ،ندعو الله أن يكافئه على صنيعه بأوفى جزاء ، وإن يحفظه ، موفقاً مؤيداً بنعمته .

إبتهــال :

كما نرفع إلى الله صلواتنا كى يشمل الأخ المحبوب غبطة البطريرك الجاثليق الأنبا باسيليوس بنعمة الشفاء ، وإن يحفظه وأصحاب السمو الأمراء وإخوتنا المطارنة والأساقفة وسائر الكهنة والشعب الأثيوبى العزيز فى سلامه الكامل ، موفقين فى كل عمل صالح . ونضرع إليه أن يحفظ شعوب الكرازة المرقسية فى كل مكان « سالكين كما يحق للدعوة التى دعينا بها ، بكل تواضع ووداعة وقوة أناة محتملين بعضنا بعضاً فى المحبة ، مجتهدين أن نحفظ وحدانية الروح برباط السلام » لنعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهين بموته »

نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب

وشركة الروح القدس مع جميعنا . آمين .

* * *

✧

طبع بشركة هارمونى للطباعة

تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الايداع ١٧٥٧ / ١٩٩٠



مكتبة

المحبة

٣٠ ش شبرا - القاهرة - ت وفاكس / ٥٧٥٩٢٤٤ - ٥٧٧٤٤٨